



السعود.. الأول الإخوان المسلمين

كراهية عبدالناصر جمعتهما
والأمريكان وحدهما



آل سعود والإخوان المسلمين
كراهية عبدالناصر جمعتهما
والأمريكان وحدهما

المؤلف:

حماده إمام

الناشر

كنوز

للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل - القاهرة تليفون: 012 7717795

kenouz55@yahoo.com

الإشراف العام

ياسر رمضان

التنفيذ الداخلى



رقم الإيداع: 2012/9145

الترقيم الدولى: 978-977-709-094-0

جميع حقوق الطبع محفوظة ولا يجوز نهائياً نشر
أو اقتباس أو اختزال أو نقل أى جزء من هذا الكتاب
دون الحصول على إذن كتابى.



حمادة إمام

ألسعود.. والإخوان المسلمون

كراهية عبدالناصر جمعتهما
والأمريكان وحدهما

كتوز

للنشر والتوزيع

أما قبل..



من حق كل قارئ لفصول هذا الكتاب أن يعرف مسبقا أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب التي صدرت في عام ١٩٩٨ تحت عنوان «دور الاسرة السعودية في اقامه الدوله الاسرائيليه»..

لم تدم في الأسواق إلا ساعات ليس لإقبال القراء عليها ولكن لصدور قرار بمصادرتها من الرئيس المخلوع شخصيا وان الأسباب العلانية التي بررت قرار المصادرة كانت مغلفه بورقه المصالح العليا للبلاد وحماية العمالة المصرية في السعودية. أما الأسباب الخفية فظلّت مجهولة حتى ١١ افرير ٢٠١١ وهو تاريخ خلع مبارك من حكم مصر وبدء حمله ضغوط سعودي على مصر من اجل منع محاكمه مبارك هو أسرته والتهديد بترحيل العمالة المصرية من هناك

وقتها بدأت ورقة السلوفان التي غلف بها قرار مصادرة الكتاب في التتهتك وتكشف أن أسباب المصادرة الخفية كانت مصالح مبارك الشخصية وليست مصالح مصر العليا .

وما بين قرار المصادرة في ١٩٩٨ وخلع مبارك في ٢٠١١ مسافه زمنيّه بلغت ١٣ عام كان مكتوب على أن أظل بعيدا كل البعد عن علاقة إل سعود بإسرائيل بشكل عام وعلاقة مبارك بالاثنان بشكل خاص

بعد أن تلقيت تهديدات في شكل نصيحة مشروطة بان ملف القضية والتحقيق معي سيظل مفتوحا حتى يتحول لسيف مسلط على رقبتى و يسمح لهم استدعائى في اى وقت اذا اقتربت مرة أخرى من منطقته ال سعود واحالتي لمحكمه امن الدولة والقضاء

العسكري بعد ان وجهت لى النيابة تهمة" (إتيان أعمال عداثيه ضد دوله اجنيه ودعوة الجند للحرب بدون اذن من القائد الاعلى للقوات) "حسنى مبارك" الأمر الذى دعا منظمه العفو الدولية ان تذكر فى تقريرها الصادر فى ١٩ سبتمبر ٢٠٠٠

(أن المنظمة تشعر بالقلق بشأن ترك السلطات المصرية التحقيق معى مفتوح لشهور وأعوام فى محاوله منها لكبتى ومنعى من التعبير).....

وهذه قصه فصولها بدأت فى ١٨ اكتوبر ١٩٩٨

فى هذا اليوم وصلت إلى نيابة امن الدولة وهو المبنى الذى اعرف كل تفاصيله والعاملين به من المحامى العام حتى اصغر موظف بحكم ترددى عليه بشكل شبه يومى لطبيعة عملى كرئيس للقسم الداخلى بجريده "العربى ومسئول عن ملف العنف"

ولكن فى ٨ أكتوبر ١٩٩٨ كان المبنى مختلف وكأنى ادخله لأول مرة فى حياتى وتاهت منى معالمه فشتان بين ان تدخله كصحفى تفتح لك كل المكاتب وبين ان تدخله كمتهم تحاصر كل الوسوس

وجلست أمام المستشار "اشرف العشماوى" لبدء التحقيق كمتهم رغم انه منذ أيام كان مصدر صحفى لى ومن قبل كان زميل دراسة بكلية الحقوق وهو ما زاد من مساحه الدهشة والغرابة التى زادت أكثر عندما تلى على قرار الاتهام.

حيث تحولت من قضيه صحافه الى قضيه تحريض على قلب الحكم وهو ما اربكنى واربك المحامين الحاضرين مع الا ان تدخل الصديقان المحاميان حمدى الاسيوطى ومنتصر الزيات سرعان ما بدد مخاوفى عقب نصيحة المستشار اشرف العشماوى للمحامين الحاضرين معى بالخروج خارج قاعه التحقيق وتهدئتى وضبط انفعالى.

وبعد ربع ساعة من الراحة عدت مرة أخرى للتحقيق ليبدأ اغرب تحقيق فى تاريخ النيابة تحقيق يكشف عمليه الخلط المتعمد بين كل ما هو اعلامى وسياسى ومحاوله ازاله وهدم الحدود الفاصلة بينهم وتطويع نصوص القانون وقولبتها لصالح خدم السلطة وللأمانة تعامل معى المستشار العشماوى بكل ما أتيح له من إمكانيات فى تهدئتى فى ظل ظروف القضية وكان على ان اقدر إن طبيعة عمله تحتم عليه ذلك وكلما أوشك التحقيق

على الانتهاء كان يخرج لمكتب المحامى العام ثم يعود حتى إذن المغرب وبدأت إشارات وعلامات تتبأ ان قرار بحبسى على وشك الصدور وان طبيعة الإجابات التى تصدر منى والمستندات التى قدمتها تسف مخطط قرار الحبس وهو ما زاد من توتر الجو وضمير المحقق حتى صدر قرار بإخلاء سبيلى بضمان وظيفتى حتى لا أتحوّل لبطل وتزيد مساحه الفضيحة وتوزيع الكتاب وقبل ان أصل إلى منزلى تلقيت اتصال بضرورة التوجه لمبنى وزارة الداخلية لمقابله مسئول هناك، الذى استقبلنى بترحاب ثم بدأ فى تهديدى ونصحيتى بضرورة البعد عن هذه المنطقة فى الكتابة مرة أخرى، بعد صدور قرار بمنع من دخول الاراضى السعودية وعدم ظهورى فى اى مطبوعة أو أذاعه أو فضائيه سعودية، واستمر هذا الوضع حتى منتصف مارس ٢٠١١، وهو تاريخ ضبط العاملين فى قرية البضائع بمطار القاهرة لشحنه مهرهه لصالح الأميرة "لمياء بنت مقرن بن عبد العزيز ال سعود" والتي شك العاملين بقرية البضائع فيها وبفتحها تبين انها محاولة تهريب تحف وانتيكات لصالح "حسين سالم" مدير ثروة الرئيس المخلوع ا وبفتحها فتح معها كنز من الإسرار والحكايات تختلط فيها السياسة بالمال وتطوع أجهزة الاستخبارات لصالح رجال الاعمال وبيع الاوطان والاعراض مقابل كرسى السلطه حيث تحولت عمليه فتح طرد بالمطار الى ما يشبه فتح ملف مضغوط يحمل بداخله عدة ملفات كلها تقود الى علاقات وصفقات سريه بعضها كان بشكل مباشر بين طرفين والبعض الاخر بالوكاله عن النفس أو عبر وسطاء وسمسرة تجاوزت فيها حد ثنائيه العلاقه بين مبارك وال سعود لتقودنا عبر سراديب وممرات الى علاقته بين الاخوان والامريكان او علاقته بين ال سعود والاخوان او بين مبارك والاخوان او مبارك وال صهيون لتشكّل فى النهايه لوحه متكامله عن العالم الخفى لصناعه القرار فى الداخل والخارج بعيدا عن القيم الدينيه والاخلاقيه لصالح المصلحه وكان مبارك هو طرف الخيط

.....

علاقة خاصة ربطت بين الرئيس السابق حسنى مبارك وال سعود وترجع هذه العلاقة إلى أيام الغزو السوفيتى لأفغانستان، عندما تولى حسنى مبارك وكان نائباً للرئيس

السادات ملف دعم المجاهدين بتمويل سعودي، بالإضافة الى مشاركته فى اجتماعات (السافارى) وهى الاجتماعات التى كانت تعقد فى جدة وطهران بين ممثلى أجهزة الاستخبارات الاوروبيه والعربيه بالإضافة لمدوبين عن رؤساء هذه الدوله بغرض احتواء تمدد النفوذ الروسى فى الشرق وافريقيا ومحاربتة وذلك بعيدا عن الادارة الامريكيه والتى كانت مشغولة بفضيحة (وتر جيت) وكان مبارك مندوبا عن السادات فى هذه الاجتماعات.

وفى هذه الفترة كان مبارك عضو مؤسس فى شركه الأجنحة البيضاء (White Wings Corporation) التى تم تسجيلها فى فرنسا، وكانت هى الناقل والمورد الرئيسى لتجارة السلاح فى مصر، وضمت أربعة مؤسسين حسين سالم وعبد الحليم أبو غزالة، وزير الدفاع المصرى آنذاك، و(محمد حسنى مبارك) نائب رئيس الجمهوريه ومدير ثابت مدير مكتب المشتريات العسكريه فى واشنطن.

وهذه الشركه بالمناسبة كان اسمها "ترسام" ومسجلة فى جنيف عام ١٩٧٩ تلك الشركه احتكرت لسنوات طويلة نقل العتاد والأسلحة التى تحصل عليها مصر شراء أو ضمن المعونة الأمريكية المقررة ونظراً لحيثية الشركاء فى هذه الشركه ومدى سطوتهم ونفوذهم تمت صياغة بند فى العقد وهو الأهم ولا يوجد له مثيل فى جميع عقود النقل البحرى التى جرى العرف فى بلاد الدنيا طولاً وعرضاً أن يحدد الأجر على أساس الكتلة أو الوزن إلا أن ثابت ومن معه أراد أن يكون سعر النقل على ١٠٪ من سعر ما يتم نقله وبحسبة بسيطة إذا كانت المركب تحمل معدات بـ ٣٠ مليون دولار فإن أجر الناقل يكون ٣٠ مليون دولار وهى بكل المقاييس أسعار مبالغ فيها للغاية وهى سرقة فاضحة، الأمر الذى لفت انتباه أجهزة الاستخبارات الأمريكية التى كانت تراقب القروض العسكرية الممنوحة لمصر والتلاعب الذى يتم بشأنها من قبل شركه الأجنحة البيضاء وشركات وهمية أخرى أنشأها ثابت وحسين سالم فى لندن لذات الغرض خاصة.

واتسع نشاط هذه الشركات ولم يعد قاصراً على النقل البحرى بل تجاوز تلك المرحلة إلى ما هو أخطر من ذلك وهو شراء السلاح من خلال سماسرة معروفين وبدأت فى

عمليات نهب الملايين بالتحايل والتزوير ووصلت عام ١٩٨٣ إلى ٧٣ مليون دولار أمريكي حسب تقارير الأجهزة الأمريكية التي اعتمدها النيابة الأمريكية بولاية فيرجينيا والتي انتهت تحقيقاتها باعتراف منير ثابت في ذلك الوقت بتقديم فواتير شحن مزورة إلى الجهات الأمريكية وتم تغريمه ٣٠ مليون دولار.

ومن هنا نشأت علاقة خاصة مع الملك فهد ثم تطورت أكثر مع الملك عبدالله بعدما توليت الشركة نقل الاسلحة والمعدات التي ترسلها الولايات المتحدة للمجاهدين الافغان بدعم مالى من السعودية.

.....

العلاقة بين مبارك والمملكة لها طابعها الخاص، تجاوزت السياسة والاقتصاد والعلاقات الثنائية إلى علاقة استثمارات خاصة تتجاوز الدول، كانت المملكة فى عهد الملك السابق فهد ذات تأثير تجاوز المادى كما كانت السعودية ونقدها خطأ أحمر.

ظهور اسم المملكة السعودية وتكراره فى أيام الثورة الأولى وبعد تنحى الرئيس فيما يخص هروبه إلى هناك، أو عروض استضافته على أرضها وحمايته من أى محاكمة أو ملاحقة قانونية، جعل المصريين يتعاملون مع السعودية على أنها "السنارة" التى تسعى لانتشال مبارك من الفرق، ودفعهم لأن يطرحوا أسئلة من نوعية: لماذا تصمم السعودية على حماية مبارك؟، العودة إلى طبيعة العلاقة التى ربطت الرئيس السابق بالمملكة العربية السعودية يمكنها أن تكشف كثيراً من أجزاء الإجابة عن هذا اللغز المتعلق بهدف السعودية فى إنقاذ مبارك من المحاكمة أو الإذلال، طبعاً الاكتشافات الأخيرة الخاصة بوجود عقارات وفنادق باسم الرئيس المصرى وأسرته فى المدينة المنورة يمكنها أن تساهم فى توضيح طبيعة العلاقة التى دفعت السعودية لمحاولة إنقاذه، خصوصاً أن ما كشفته بعض التحريات الرقابية حول امتلاك الرئيس السابق فنادق بمنطقة "السلام" بالمدينة المنورة، يساهم فيها بنسبة كبيرة تقدر بنحو ٣٠٠ مليون ريال سعودى، وما نشرته بعض وسائل الإعلام الأجنبية والإسرائيلية على وجه التحديد حول قيام مبارك وأسرته بتحويل

جزء كبير من ثروتهم من بنوك فى أوروبا إلى السعودية والإمارات وحصولهم على ضمانات شخصية من العاهل السعودى عبدالله بن عبدالعزيز، ومن رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، بعدم وصول أى أطراف أخرى إلى الأموال المحولة إلى البنوك السعودية والإماراتية، كل هذا يجعل للعلاقة شكلا آخر غير فكرة الرحمة بعزيز قوم يهرول خلفه الذل.





1

الفخ الأمريكى..
مصالح لاصداقات..!



شهد الثامن من أغسطس ١٩٨٨ نهاية الحرب العراقية الإيرانية، لكن لم يخطر ببال أحد عندئذ بأن هذا التاريخ سوف يشكل بداية أزمة الخليج في عام ١٩٩٠ - ١٩٩١ .

وكان قيام طهران أولاً باقتراح وقف لإطلاق النار كافياً لاعتبار العراق المنتصر في ذلك النزاع الذي امتد ثمانى سنوات وحصد أرواح ما يقرب من مليون من البشر. والواقع أن العراق خرج من الحرب قوياً ولكن الحرب استنزفت موارده. وكان لا يزال أقوى دولة في المنطقة : ٥٥ فرقة مقابل عشر فوق عام ١٩٨٠ مليون جندي مدرب تدريباً جيداً ؛ ٥٠٠ طائرة و ٥٥٠٠ دبابة. لكن الكارثة المالية لم تكن تقل ضخامة. فعندما بدأت الحرب كانت لديه مدخرات قدرها ثلاثون بليوناً من الدولارات. وعندما انتهت كانت ديونه قد بلغت مئة بليون دولار. ولهذا السبب لم يترك صدام حسين مناسبة واحدة إلا واغتمها ليقوم ببلاغ جميع زواره الأجنب الذين كان يستقبلهم في قصره الفخم وسط بغداد أنه كان خلال الأعوام الثمانية الماضية " الدرع الواقى للأخوة العرب من التهديد الفارسى " وأنه يتوقع أن تقوم " أكثر الأقطار العربية ثراء وهى السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت بالعون والمساعدة فى تسديد كامل ديوننا " .

.....

فى التاسع من أغسطس عام ١٩٨٨ غداة وقف إطلاق النار بين العراق وإيران أخذت الكويت قراراً بزيادة إنتاجها النفطى، مخالفة بذلك الاتفاقات المعقودة فى اطار منظمة الأوبك. وقد تم التركيز الكويتى فى تحقيق هذه الزيادة الانتاجية على آبار الرملية

الواقعة فى المنطقة الحدودية المتنازع عليها مع العراق والتى كانت موضوعاً فى السابق
لمناقشات دبلوماسية صاخبة .

واعتبر صدام حسين مبادرة الكويت الى زيادة انتاجها من النفط استفزازاً وخيانة
ومن شأنه أن يزيد أزمة زيادة الانتاج وانخفاض الأسعار حدة وأن يؤدي الى انخفاض
دخل العراق الذى يعتمد فى ٩٠ ٪ من موارده على النفط بمقدار ٧ بلايين دولار أو ما
يساوى فوائد ديونه. وكان هذا بمثابة خنقه ببطء .

.....

وقبيل ظهر ١٢ فبراير عام ١٩٩٠ يوم ذكرى مولد الرئيس أبراهام لنكولن وصل جون
كيلى الى بغداد .

كانت سفيرة الولايات المتحدة فى العراق إبريل جلاسبى تنتظره عند سلم الطائرة
بصحبة اثنين من المسؤولين العراقيين .

ولم تكن حتى مجيء كيلى قد ظفرت بمقابلة خاصة مع صدام حسين .

كانت تقارير الإدارة الأميركية عن الزعيم العراقى تدور حول ثلاثة محاور رئيسية :
أولا قدرته ورغبته فى أن يصبح الزعيم الحقيقى للعالم العربى وثانياً إعجابه الشديد
بجمال عبد الناصر وسحر زعامته وحبه فى أن يكون مثله وثالثاً تقاربه مع الغرب . وكانت
هذه النقطة الثالثة برأى كيلى ومستشاريه الأكثر أهمية . فعندما هاجمت القوات العراقية
إيران عام ١٩٨٠ كان النظام البعثى يعتبر من أقوى حلفاء موسكو فى المنطقة . وبعد توقيع
اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ رُئس العراق جبهة الرفض التى استهدفت عزل القاهرة
ومعاقبتها على تقاربها مع الدولة اليهودية . وفى ذلك الوقت كان العراق ملجأً لأكثر
الجماعات الفلسطينية الإرهابية عنفاً وفى مقدمتها أبو نضال ورجاله .

على أن العراق خرج من حرب السنوات الثمانية مع إيران أقرب إلى الغرب من أى
وقت مضى . إذ كان اقتصاده أكثر ارتباطاً بالأقطار الغربية منه بالاتحاد السوفييتى ، وفى

ترسانة أسلحته من الغرب وخصوصاً من فرنسا لا تقل حجماً عن الأسلحة السوفيتية. ودفع هذا كله الأميركيين إلى المجازفة بأموالهم في العراق بوصفه قوة ضخمة تعمل على الاستقرار في المنطقة .

استقبل صدام حسين جون كيلي بعد ظهر الثاني عشر من فبراير ١٩٩٠. وكانت المقابلة هي الأولى مع أحد الرسميين الأميركيين منذ زمن بعيد. وبادر المبعوث الأميركي مضيفة، خلال تبادل التحيات، بقوله : " انتم قوة اعتدال في المنطقة وتتمنى الولايات المتحدة إقامة أوثق العلاقات مع العراق " .

لقد سرّ صدام حسين بهذا الإطراء وغمره شعور بالفخر، كما قال لدى سماعه ذلك، وقام بعد ساعات من المقابلة بنقل ما دار فيها إلى عدد من زعماء الدول العربية وكان أول من اتصل به هاتفياً هو الملك الأردني حسين .

وبهذا أبلغ كيلي الرسالة الأولى من سلسلة طويلة من الرسائل المبهمة والمتناقضة التي سوف تكون لها نتائج خطيرة .

.....

وفي ٢٣ فبراير ١٩٩٠ وصل صدام إلى عمان. وبقي مسار الرحلة وموعد الوصول سراً حتى اللحظة الأخيرة. فخوفاً من الاعتقال ركب طائرة خاصة بلا إشارات مميزة. أما الطائرة التي كان يستخدمها في الرحلات الرسمية فكانت قد هبطت في عمان قبل ساعات وعلى متنها زملاؤه وحرسه. وعندما استقبله الملك حسين كان يبدو قلقاً ومتوتراً. وكان قد جاء إلى عمان للمشاركة في احتفالات الذكرى السنوية الأولى لمجلس التعاون العربي. وفي حين أن الملك حسين كان يعلق آمالاً كبيرة على المجلس الذي كان يضم العراق والأردن ومصر واليمن، فإن صدام حسين لم يكن يعيره اهتماماً خاصاً. والواقع أن لم تثر أيضاً اهتمام العرب والصحفيين الأجانب في عمان. ومما يذكر أنه لم يكن بوسع أحد عندئذ أن يتنبأ بما سيقال في الاجتماع وخصوصاً وراء الكواليس .

وألقى صدام خطاباً شديداً للهجة تنبأ فيه بأن تراجع قوة موسكو سوف يطلق يد الولايات المتحدة في الشرق الأوسط خلال السنوات الخمس القادمة على نطاق لم يسبق

له مثيل. قال " ألا تقوم واشنطن الآن بمساعدة اليهود السوفييت على الهجرة إلى إسرائيل ؟ ألا تقوم كذلك بتسيير دورياتها فى الخليج بالرغم من انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ؟ " وقال صدام فى خطابه الذى أذيع من عمان بأن دوافع أميركا واضحة. قال : " إن البلاد التى ستمارس أكبر نفوذ فى المنطقة وتهيمن على الخليج وبتروله سوف توطد تفوقها كقوة عظمى لا تُنافس. وهذا يبرهن على أن أهل الخليج وسائر العرب الآخرين فى غفلة عما يجرى وأن المنطقة ستحكم وفقاً لمشيئة الولايات المتحدة. وستقوم هذه بتحديد سعر البترول بشكل يخدم مصالحها لا مصالح الآخرين " .

كانت رسالة صدام لزملائه واضحة وهى أن هيمنة العراق على الخليج لا هيمنة الولايات المتحدة هى التى تخدم مصالح العرب على أفضل وجه .

.....

على أن ما قاله صدام أثار غضب الرئيس المصرى حسنى مبارك حليف أميركا الرئيسى فى المنطقة.

فالقاهرة كانت تتلقى سنوياً من واشنطن أكثر من مليارى دولار على شكل مساعدات . واقتراح صدام فى خطابه أن تسحب أرصدة البترول المستثمرة فى الغرب لتغيير السياسة الأميركية. وقال : " ليس هناك مكان بين العرب الأختيار للجنباء الذين يذهبون إلى أنه ينبغى أن يترك أمر اتخاذ القرارات لقوة عظمى هى الولايات المتحدة وأن على الجميع الرضوخ لها .

خرج مبارك، الذى اعتبر هذه الكلمات هجوماً شخصياً عليه، من القاعة ولحق به الوفد المصرى. وقال الملك حسين الذى بدت على محياه علائم القلق كان قد تبعه بعد وقت قصير :

. لا يمكن السكوت على كلام كهذا . سوف أعود إلى مصر .

وفى محاولته لتلطيف الأجواء، اقترح الملك حسين تنظيم لقاء مع الرئيس العراقى لازالة سوء التفاهم. فرفض مبارك أول الأمر هذا الاقتراح بشدة ثم عاد واقتنع بالحجج

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

بالتاريخ رقم ١٦٦ لسنة ١٩٨١

بشأن الموافقة على اتفاقية التزاي والمساعدات الإنسانية للفترة لأعضاء مكتب
القانون العسكري الأمريكي بالقاهرة والأفراد العسكريين الأمريكيين
القائمين في بعثات المهام الخاصة أثناء تواجدهم بالقاهرة والمضرب المفقود
عليه وكذلك المظالم المتباعدة بها والفرقة بين حكومتى جمهورية
مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٨١

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على المسامحة رقم ١٥١٤١٢٧ من الدستور

قصر :

(المادة الأولى)

ووفق على اتفاقية التزاي والمساعدات الإنسانية لأعضاء مكتب القانون العسكري الأمريكي
بالقاهرة والأفراد العسكريين الأمريكيين القائمين في بعثات المهام الخاصة أثناء تواجدهم
بالقاهرة والمضرب المفقود عليه وكذلك المظالم المتباعدة بها والفرقة بين حكومتى
جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٨١ وذلك مع
التحفظ بشرط التصديق .

(المادة الثانية)

ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويكون له قوة قانون .

(الجريدة في ١٩ من الشهر سنة ١٤٠٢ / ٢٦ / ١٩٨١)

حسنى مبارك

وزارة الخارجية

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية

بعد الاطلاع على قرار السيد رئيس الجمهورية بالتاريخ رقم ١٦٦ لسنة
١٩٨١ بتاريخ ١٠/٧/١٩٨١ بشأن الموافقة على اتفاقية التزاي والمساعدات
مكتب القانون العسكري الأمريكي بالقاهرة والأفراد العسكريين الأمريكيين
في بعثات المهام الخاصة أثناء تواجدهم بالقاهرة والمضرب المفقود عليه وكذلك المظالم
المتباعدة بها والفرقة بين حكومتى جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية
بتاريخ ٢٦/٧/١٩٨١ ، وبمقتضى نصيب السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ١٠/٧/١٩٨١

قصر :

(مادة وحيدة)

ينشر في الجريدة الرسمية اتفاقية التزاي والمساعدات الإنسانية لأعضاء مكتب القانون
العسكري الأمريكي بالقاهرة والأفراد العسكريين الأمريكيين القائمين في بعثات المهام
الخاصة أثناء تواجدهم بالقاهرة والمضرب المفقود عليه وكذلك المظالم المتباعدة
بها والفرقة بين حكومتى جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية
بتاريخ ٢٦/٧/١٩٨١

ويصدر هذا القرار في ١٤/٧/١٩٨١ .

كمال حسن علي

قرار يقانون أصدره مبارك بعد اغتيال السادات يمنح العسكريون

الأمريكان مزايا خاصة داخل مصر

التي قدمها الملك الأردني. وهكذا اجتمع الثلاثة مساء ٢٤ في القصر الهاشمي حيث كان الملك حسين يقطن قبل مصرع زوجته الملكة عالية إثر حادث تحطم طائرة هليكوبتر. كان جو اللقاء متشنجاً شديد الوطأة. وبدل أن يحاول صدام حسين تهدئة الأمور أعلن مطالب محددة وتكلم بلهجة لا مجال للمسايرة فيها وأشار إلى ٣٠ مليار دولار من الديون التي كانت العربية السعودية والكويت قد منحتها للعراق خلال الحرب مع إيران. وقال : " إذا لم يلغوا تلك الديون ويقدموا لى ٣٠ مليار دولار إضافية سوف أقوم بالانتقام."

ولما استبد الغضب بمبارك قال : " إن مطالبك غير معقولة. وسوف تخلق متاعب كثيرة. " ثم خرج من الاجتماع وعاد إلى القاهرة. فاضطر الملك حسين إلى الغاء اليوم الثاني من مناقشات المجلس .

على أن خطاب صدام أثار موجة عارمة من الاعجاب والاستحسان لكنه في الوقت ذاته أثار القلق وخصوصاً في الكويت والسعودية اللتين كانتا تخشيان قيام بغداد بهجوم مباغت بالصواريخ يتبعه اجتياح شامل أو القيام بسلسلة من الأعمال الارهابية تستهدف أفراداً من الأسرتين المالكتين .وفي الرياض، بادر المسؤولون السعوديون إلى الإتصال بشعبة وكالة الاستخبارات المركزية فيها وأبلغوها تهديدات صدام حسين. وقامت هذه الشعبة، بدورها، بنقل المعلومات إلى مركز القيادة العامة في لاغلى قرب واشنطن. ولكن لم يصدر أى رد فعل من الادارة الأميركية. وكانت النتيجة العملية الوحيدة هي قرار وكالة الاستخبارات المركزية بوضع العراق تحت الرقابة الدائمة وتكثيف عملية جمع المعلومات حوله. وقد واجهتها في تحركها هذا صعوبة الركون إلى مصادر معلومات جديدة بالثقة. لأن السيطرة التامة على قنوات السلطة في بغداد كافة كانت معقودة بحزم لصدام حسين ولأفراد أسرته عن طريق البوليس السرى الذى يتمتع بحضور كثيف وفعالية كبيرة. وكان وليم كيسى مدير وكالة الاستخبارات المركزية فى عهد ريجان قد اعترف بأنه ليس للوكالة عميل ماهر واحد فى العراق وأن الوضع لا يزال على حاله .

وفى تلك الأثناء كانت العواصم العربية الرئيسية تتداول تقريراً سرياً حول الوضع الاقتصادى فى العراق وضعه مصرفى من أصحاب النفوذ فى الشرق الأوسط .

يستهل المصرفى تقريره بالتذكير بالفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٨٠. أى السنة التى شهدت بداية الحرب ضد إيران ويشير إلى ارتفاع عائدات البترول العراقية فيها من مليار إلى ٢٥ مليار دولار. ويضيف أن الوضع فى بداية ١٩٩٠ لم يكن يبشر بالخبر. ثم يقول :

" إن صورة السبعينات البراقة تلاشت وحل محلها وضع اقتصادى مظلم، وخراب واسع فى جميع أنحاء البلاد، وضياح الأمل بالنسبة للأجيال القادمة.

ترى هل هناك ما يمكن عمله لتغيير هذا الواقع المؤلم ؟ يحزننى أن أقول إنه فى ظل الحكومة الحاضرة لا بد وأن يسير الوضع من سىء إلى أسوأ . "

ثم يشير صاحب التقرير إلى أن تراكم الديون وعجز بغداد حتى عن دفع فوائدها " سوف يحمل الحكومة على انتهاج سياسة متهورة خطيرة فتقبل على الاستدانه بفائدة تبلغ ٣٠ ٪ فى السنة. ويكشف التقرير عن حقيقة تثير الدهشة وهى أن العراق كان فى عام ١٩٨٩ أكبر مستفيد فى العالم من " برنامج المجتمع الأمريكى لتقديم التسهيلات المالية " الذى يستهدف بيع المنتجات الزراعية الأميركية فى الخارج .

ولعل أكثر فقرات التقرير أهمية هى الفقرة الأخيرة التى تتبأت بكثير من وضوح الرؤية بوقوع ما وقع بالفعل. فقالت " إن صدام حسين يدرك الآن تماماً حقيقة وضعه المالى ". فما هى الخيارات المتاحة له فى العراق ذاته ؟ إنها محدودة جداً . لكن الكويت موجودة دائماً على بعد أمتار من حشود قواته المرابطة على شط العرب. والعراق بحاجة إلى منفذ إلى مياه الخليج المفتوحة .

وكانت هناك دلائل على المصاعب التى تواجهها بغداد فى كثرة من مشروعاتها الطموحة والمتعثرة مثل بناء شبكة من الطرق تحت أرض بغداد ومن أكثر من ٨٠٠ I ميل من السكك الحديدية وبناء سدين مائيين الكترونيين .

* * *

وبعد فشل لقاء عمان في ٢٤ فبراير اقترح الملك على الرئيس العراقي أن يقوم بنفسه بجولة تشمل دول الخليج في محاولة منه للسعى إلى اتفاق بين الكويت والعربية السعودية والعراق. وبالفعل قام في ٢٦ فبراير برحلة استغرقت ثلاثة أيام وشملت مختلف عواصم المنطقة وأجرى خلالها محادثات مكثفة مع الزعماء الخليجين، ثم عاد إلى عمان في الأول من آذار منهوك القوى. وفي صباح الثالث من آذار اتصل به صدام حسين وقال: " الطائرة في طريقها إليك أنا في انتظارك ببغداد . "

اجتمع الرجلان أربع ساعات قدم خلالها الملك حسين تقريراً مفصلاً عن جولته، وسرعان ما تبين ان المفاوضات وصلت إلى الطريق المسدود، لأن الملك الهاشمي لم يتلق أى اشارة إيجابية من زعماء الخليج فيما يتعلق بأهداف صدام حسين الثلاثة : تسوية الخلافات الحدودية مع الكويت وبالأخص حقول الرميلة الغنية التي تقع في المنطقة المتنازع عليها. الموافقة على تأجير جزيرتي وربة وبوبيان اللتين تؤمنان له منفذاً على الخليج، وتسوية مشكلة الديون المتراكمة على العراق خلال الحرب مع إيران .

وأبلغ الملك حسين الرئيس العراقي أن أمير دولة الكويت يرفض المفاوضات المباشرة حتى يعترف العراق رسمياً بسيادة واستقلال الكويت. ومن الجدير ذكره هنا ان حكومة بغداد كانت قد اعترفت عام ١٩٦٣ باستقلال الكويت إلا أن مجلس الثورة لم يلبث أن الغى هذا القرار.

لم يظهر الغضب على وجه صدام حسين الذي كان جالساً على كنية واسعة ومريحة، يشعل بين الحين والآخر سيجارة، ويتابع باهتمام شديد ما يقوله الملك الهاشمي كما لو كان يتوقع تلك النتيجة السلبية .

وعند نهاية الاجتماع عبر صدام عن جزيل شكره لزائره على الجهد الذي بذله، وأبلغه أنه يأمل " مع الوقت أن تسود الحكمة والارادة الطيبة بالنسبة لهذا المسألة " ولم يكن من الأمور العادية صدور مثل هذه الكلمات الرصينة التي تغلب عليها روح التوفيق عن رجل عود زملاءه على الخوف من نوبات غضبه (وكان حسنى مبارك الذي لم يُخف نفوره من صدام قد وصفه أمام عدد من الزعماء العرب بأنه " مضطرب الشخصية ") .

ولم تكد تمضى ثلاثة أيام على عودة الملك حسين حتى دعا صدام جميع أعضاء القيادة العليا إلى اجتماع سرى وأمرهم بأن يضعوا الخطط لحشد القوات على الحدود مع الكويت .

وسرعان ما اشتد التوتر. وفقد الكويتيون بعد النظر الذى كانوا يتحلون به. فبالرغم من أن الفرق العراقية لم تكن قد تحركت بعد باتجاه الحدود فإن مسؤولاً كويتياً كبيراً أسر للأردنيين خلال مروره بعمان بأن " صدام حسين لا يريد الجزيرتين وحدهما بل الكويت برمتها "

.....

إعلام مبارك كان يقدم تعريفا للعلاقة مع السعودية، ملخصه أن العلاقات المصرية السعودية علاقات نموذجية بين دولتين عربيتين لهما مكانتهما المتميزة إقليمياً ودولياً، وقد بلغت هذه العلاقات مدى متقدماً للغاية فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وتجسدت هذه العلاقات المتميزة فى التنسيق والتشاور المستمرين اللذين تجريهما قيادتا الدولتين فى مختلف القضايا العربية والإسلامية التى تحظى باهتمامهما المشترك، وعلى رأسها قضايا العراق وفلسطين والملف السورى اللبناني، وتقارب مواقف الدولتين منها، وذلك من أجل التوصل إلى حلول عادلة لتلك القضايا، تحفظ حقوق الشعوب والدول العربية، وتصون الأمن القومى العربى.

هذا التعريف الكلاسيكى والدبلوماسى للعلاقة، والذى كان يتبعه كلام كثير عن إشادة العاهل السعودى، سواء كان الملك فهد أو الملك عبدالله، بحكمة الرئيس السابق مبارك، ودوره العظيم فى توحيد الصف العربى، يتناقض تماما مع حالة طأطأة الرأس التى كان مبارك ووزراؤه وأجهزته يمارسونها أمام المملكة، وأى شىء يخصها على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى أيضاً، بدليل أن الأمير ترك وزوجته هند الفاسى وابنته الأميرة سماهر ارتكبوا على الأرض المصرية شتى أنواع المخالفات

والجرائم دون أن يمسسهم أحد بسوء، وتفننوا فى إهانة وإذلال المصريين طوال سنوات طويلة دون أن يصدر تعليق أو رد فعل واحد من الحكومة المصرية، رغم بشاعة ما حدث، والذي تتوع ما بين الامتناع عن دفع إيجارات فنادق، وحجز وضرب وتعذيب مصريين، وإطلاق كلاب الحراسة لتتهش لحم أسرة مصرية كان كل ذنبها أنها اقتربت دون أن تدرى من منطقة تواجد الأسرة السعودية.

الموقف السلبي من الأمير ترك وزوجته وأفعالهم فى القاهرة لا يمكن تفسيره بأكثر من كونه امتناعا عن تطبيق القانون على تلك الأسرة، رغم بشاعة جرائمها لإرضاء العائلة المالكة فى السعودية، وهو الأمر نفسه الذى ينطبق ويشكل آخر على الأمير الوليد بن طلال ومجموعة المستثمرين السعوديين الذين فتح لهم مبارك بطن مصر برخص التراب وبالمخالفة للقانون، كما ظهر فى أزمة أراضى الوليد بن طلال فى توشكى، والتي ظلت قضية مسكوتا عنها حتى أعادت الثورة الأرض لأهلها.

طأطأة الرأس ظهرت أيضاً فى الصمت المصرى على ما يتم ارتكابه من جرائم فى حق المواطنين المصريين العاملين فى السعودية، والذي لا يمر العام إلا ونسمع عن مشكلة لمصرى مع كفيله السعودى، وكيف تضيع حقوقه بسبب عدم تدخل السفارة المصرية، أو تقاعس الدولة فى الدفاع عنه أو المطالبة بحقه، وتظهر أيضاً على المستوى السياسى، خصوصا فى السنوات الأخيرة، أو مع بداية ظهور الملك عبدالله، وهى الفترة التى ترك فيها مبارك الخطوة الأولى دوماً للملك عبدالله، وربط كل خطوات مصر فى التعامل مع القضايا العربية بالتحرك السعودى، وظهر ذلك جليا منذ تولى الملك عبدالله السلطة عام ٢٠٠٥ وهو العام الذى شهد قيام الرئيس السابق حسنى مبارك بزيارة السعودية حوالى ٤ مرات، أولها فى أغسطس لحضور جنازة الملك فهد بن عبدالعزيز،

الأمر إذن كان فى ظاهره يحتوى على بعض الندية والمنافسة بين قوتين تسعيان لريادة المنطقة سياسياً، والفوز بالدور الإقليمى الأقوى بداخلها، ولكن فى باطنه كان تعبيراً عن وضع اعتمده مبارك فى التعامل مع المملكة السعودية منذ تولى الحكم، وهو إرضاء

المملكة بأى شكل، وقد ظهر ذلك منذ البداية، وفى أول زيارة للرياض قام بها مبارك إلى المملكة عام ١٩٨٢ للعزاء فى وفاة الملك خالد، وبعدها توالى زيارته، حتى عادت العلاقات المصرية مع المملكة إلى سابق عهدها عامى ١٩٨٦ و١٩٨٧؟ ثم حدث التطور الأهم فى تلك العلاقة مع قيام السعودية بدعم الاقتصاد المصرى، ورفع مستوى التعاون الاقتصادى بين البلدين فى فبراير ١٩٩٦ من خلال الزيارة التى قام بها مبارك، والتقى عددا كبيرا من المسؤولين تقدمهم الملك عبدالله الذى كان وليا للعهد حينها.

هذا التوالى فى الزيارات، والذى وصل إلى أكثر من ٤٥ زيارة قام بها مبارك إلى السعودية منذ توليه الحكم، كشف عن حالة تبعية كان مبارك سببا فى تحول مصر إليها، ووضعت بشدة فى تعامل مصر مع الملفات الهامة فى المنطقة، وكيف انتقلت بسبب الفشل وسداجة هذا التعامل من يد مصر إلى يد المملكة، وهو الأمر الذى كشفه الخبير البريطانى فى سياسات الشرق الأوسط جون آر برادلى، صاحب الكتاب الأعلى شهرة ومبيعاً فى هذه القضية النكشاف السعودية.. داخل مملكة فى أزمة بل زاد عليه بقوله إن مبارك وضع حداً لحالة التنافس التى كانت ظاهرة على مستويات مختلفة، ولها جذور عميقة بين الدولتين، مشيراً إلى أن التنافس بين الدولتين لم يعد موجوداً بالقوة نفسها منذ تولى عبدالله دفة الأمور فى المملكة، لأن كليهما مشغول بأشياء أخرى، وبعد أن كانت مصر فى الماضى تبنى تاريخاً يتبنى الليبرالية فى السياسة، والعولة فى الثقافة، والاعتدال فى الدين، والاختلاف فى رأى، وكانت السعودية على النقيض تتبنى السياسة المحافظة، والثقافة المغلقة، وعدم الاعتدال فى الدين، وأحادية الرأى، انفتحت الأبواب على بعضها فى عصر مبارك، وحصل السلفيون وأعضاء التيارات الدينية المتشددة على حماية خاصة من الدولة، مثلما حصلت السعودية ورموزها على حماية خاصة فى وسائل الإعلام المصرية، لدرجة وصلت أن بعض الصحف اختفت، وبعض الفضائيات تلقت تحذيرات قاسية بسبب انتقاد المملكة ورموزها.

.....

شبكة عنكبوتية تضم مسئولين سعوديين مرتبطين بالأسرة المالكة وبجهاز المخابرات السعوى والسفارة السعودية فى القاهرة ومسئولين فلسطينيين وعائلة الرئيس مبارك وشركة اتصالات ضخمة يمتلكها زوج الاميرة لمياء، تم الكشف عن بعض خيوطها بعد القبض على الطرود التى حاولت الاميرة لمياء ابنة الامير مقرن بن عبدالعزيز آل سعود رئيس جهاز المخابرات السعودية تهريبها من مطار القاهرة على شكل طرد ملك رجل الأعمال الهارب حسين سالم والتى كانت ستقوم بتهريبها تحت غطاء دبلوماسى وبمساعدة من شخص فلسطينى يدعى طارق محمود أبو فول وهى الشبكة التى دارت حولها الشبهات خلال الفترة الماضية ولم يكن هناك دليل لدى احد ليكشف نشاطها والتى استطاعت تهريب مئات المليارات خلال الشهرين الماضيين سواء من المطار او من خلال اليخوت الملكية الموجودة فى البحر الاحمر والتى لم يستطع احد كشفها حتى لحظة القبض على الطرد الخاص بالاميرة السعودية والملوك لحسين سالم لتؤكد القاعدة المعروفة ان المضبوط يمثل ١٠٪ من الكميات المهربة.

الشبكة الغربية التى لم يكن يشعر بها احد تضم ابناء رئيس جهاز المخابرات السعودية الأميرة لمياء والأمير منصور وبعض ضباط المخابرات السعودية ممن يعيشون فى مصر تحت ساتر بعض الشركات التى تعمل فى مجال المقاولات والذين يرتبطون بعلاقات وثيقة مع بعض قيادات وزارة الداخلية وبالتحديد فى مطار القاهرة والموانئ الاخرى، خاصة ميناء البحر الاحمر اضافة الى العلاقة الوثيقة والدور الخفى الذى يقوم به السفير السعوى بالقاهرة والذى يمثل همزة الوصل بين آل مبارك واصدقائهم والاجهزة الاستخباراتية، وهو ما يكشف سر الزيارات التى قام بها السفير السعوى والامير منصور نجل رئيس جهاز المخابرات للرئيس المخلوع فى شرم الشيخ قبل القبض عليه وايداعه مستشفى شرم الشيخ والاجتماعات التى كانت تتم بينه وبين ابناء الرئيس، حيث كانت تتم الترتيبات اللازمة لتسفير الاموال بالطرق الدبلوماسية، فقد تم الاتفاق على استخدام الطرود الدبلوماسية السعودية لاجراج اكبر كم من الاموال والمقتنيات والمجوهرات فى صورة طرود دبلوماسية يتم استخدام شركة مصرية فلسطينية تعمل فى هذا المجال بالقاهرة ولم تعرف الشركة طبيعة اللعبة التى تتم، حيث تم تهريب كميات

كبيرة من خلال السفير السعودي ومن خلال ايضا ابناء الامير مقرن خاصة الاميرة لمياء نظرا لوجودها فى القاهرة بشكل دائم ويتم نقل الطرود بشكل هادىء من لمياء الى شقيقها الذى يسلمها لوالده فى الرياض ويبدأ التصرف فيها حسبما تم الاتفاق بين السفير السعودي والرئيس مبارك وابنائهم، كما تم تهريب الكثير من الاموال عن طريق البحر الاحمر، حيث تقبع يخوت الامراء والشيوخ السعوديين والتي تتحرك بحرية كاملة تحت شعار انها يخوت تابعة للسفارة السعودية وبالتالي لا يستطيع احد تفتيشها .

كما قام الأمير مقرن بإخراج مليارات الدولارات الخاصة بالرئيس مبارك وأبنائه عن



طريق
الطرود
الدبلوماسية
وكشفت
بعض
المعلومات
المسربة من
إحدى
الأجهزة
الامنية
السيادية ان
الرئيس
مبارك عقب

احتدام الأزمة أجرى هو وابنه جمال عدة اتصالات بالامير مقرن رئيس جهاز الاستخبارات السعودي الذى يرتبط بعلاقات صداقة قوية مع الرئيس مبارك وبنجله جمال وجرت محادثات بينهما لاجراغ اغلب ثروات الرئيس بالطرق الدبلوماسية وهو ما حدث، حيث استطاع مبارك تهريب كراتين ضخمة مليئة بالمجوهرات والتحف والآثار والمقتنيات الخاصة بالاسرة سواء به او بسوزان او بالابناء وزوجاتهم خديجة وهاندى،

حيث كانت تتم عمليات التهريب عن طريق تلك الشبكة العنكبوتية، حيث كانت تجرى عمليات التهريب الخاصة بالرئيس فى شكل طرود مرسله من السفارة السعودية الى الامير مقرن والتي كان يحتفظ بها فى خزائن البنوك السعودية باسمه .



مبارك مستلقى على سرير خلف قضبان محكمة الجنائيات بأكاديمية الشرطة

وأغلب هذه الاموال موجودة الآن بحوزة الامير السعودي، حيث كانت الخطة ان تطلب السعودية من المجلس العسكرى اخلاء سبيل

حسنى مبارك واولاده ليلحقوا بهذه الاموال، ولعل ما يؤكد ذلك ما قامت به سوزان من دعوة بعض المسؤولين العرب وخاصة المملكة السعودية أو الامارات للتدخل لدى الحكومة المصرية للافراج عن الرئيس المخلوع حسنى مبارك مقابل أى مبالغ مالية تطلبها الحكومة بعد تدهور حالته النفسية والصحية، الاغرب ان الحكومة السعودية وعدت بالتدخل لدى المسؤولين فى الحكومة المصرية من قبيل انتهاء أزمة الرئيس المصرى المريض بحسب تقارير سياسية.

اما عن الاميرة لمياء بطلة الفضيحة فان المعلومات المبدئية المتوفرة عنها تقول انها الابنة الثالثة ضمن ثمانية اشقاء انجبهم الامير مقرن من زوجته الثانية الاميرة عبطاء بنت حمود بن فهد الجبر الرشيد.

ونتيجة علاقات والدها الامير مقرن بحسين سالم خاصة فى مجال تجارة السلاح، حيث كان حسين سالم يورد صفقات السلاح للسعودية باوامر مباشرة من الرئيس مبارك وهو ما يفسر علاقة الصداقة الحميمة التى ربطت مبارك بالملك السعودى وبدوائر صنع القرار فى السياسة السعودية وكانت لهذه الزيارات التى يقوم بها حسين سالم للامير مقرن والتى كان يستضيفه فى قصره بالرياض ان وطدت الصلة بين سالم والامير منصور الابن الأصغر للامير مقرن، علاوة على الصداقة مع رئيس الجهاز نفسه ولم تقف هذه العلاقة التى تطورت الى علاقات اسرية تعرف من خلالها رجل السلاح الاول بالاميرة السعودية لمياء حتى انه كان يستضيفها عندما كانت تأتى الى مصر، كما كان يخصص لها الحراسات الخاصة حتى وهى فى قصر شقيقها الامير منصور وكان يأتى بمن يتولى امور خدمتها بعيدا عن المراسم التى كانت تجرى من جانب السفارة السعودية، حيث كانت بمثابة ضيف عليه فى قصره حتى عندما ازدادت مشاكل الاميرة لمياء الملقبة "بالفنانة ليلي علوى" لشدة جمالها كان يتدخل حسين سالم لحل هذه المشاكل وكان يوفر لها الاقامة الكريمة خاصة مع تضيق والدها وشقيقها المالى عليها بسبب مشاكلها مع زوجها التى انتهت الى الانفصال والاتجاه الى الاقامة فى القاهرة لفترات طويلة كانت تعيشها فى مصر وبالتحديد فى مدينة ٦ اكتوبر، وقد استغل سالم صداقته لزوج لمياء الامير عبدالعزيز بن مشعل والذى يمتلك شركة الاتصالات وكان يستخدمها حسين سالم فى اجراء الاتصالات من خلالها، خاصة انها متخصصة فى مجال اتصالات الفيديو والاتصالات الصوتية ورسائل نصية وخدمة البث التليفزيونى المباشر على الجوال والحاسوب، علاوة على الاتصالات التى تتم من خلال الانترنت وقد حاول سالم التوسط اكثر من مرة بين لمياء والامير عبدالعزيز باعتباره صديقا مقربا من الاسرة، الا ان كل محاولاته باءت بالفشل بسبب رغبة الاميرة لمياء فى الانفصال وهو ما ادى الى ان تسوء علاقاتها بكل افراد اسرتها حتى صارت منبوذة لذلك كانت تقضى معظم وقتها فى القاهرة .

وكشفت التحقيقات ان هذه الطرود لم تكن الاولى فقد سبقها طرود مماثلة خرجت مع مسئولين بالسفارة السعودية تعدت مليارات الدولارات، حيث كانت السعودية محطة

تخرج منها الاموال الخاصة بحسين سالم الى انجلترا يستقبلها نجله خالد حسين سالم، حيث يتم حفظها والجزء الآخر يتم ارساله الى سويسرا، حيث يعيش حسين سالم ويتنقل بين قصور أثرياء من مشايخ الخليج العربى.

.....

نقلاً عن مذكرات "حاييم وايزمان" أول رئيس للكيان الصهيونى، فإن "تشرشل" رئيس الوزراء البريطانى قد قال له: (أريد أن أرى ابن سعود سيداً على الشرق الأوسط وكبير كبراء هذا الشرق على أن يتفق معكم أولاً -يا مستر حاييم- ومتى تم هذا عليكم أن تأخذوا ما تريدون منه)، كما قال تشرشل: (إنشاء الكيان السعودى هو مشروع بريطانيا الأول، والمشروع الثانى من بعده إنشاء الكيان الصهيونى بواسطته).

كما ذكر "ناصر السعيد" فى كتابه (تاريخ آل سعود) أنه قبل وعد بلفور كتب الملك "عبد العزيز" اعترافاً يجعل فلسطين وطناً لليهود يقول نصه: (أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، أقرُّ وأُعتَرَفُ ألف مرة للسير "بيرسى كوكس" مندوب بريطانيا العظمى، لا مانع عندى من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما ترى بريطانيا التى لا أخرج عن رأيها حتى تصيح الساعة).

ويقول الأستاذ "عبد الحليم العزمى" مدير تحرير مجلة "الإسلام وطن" الصادرة عن الطريقة الصوفية العزمية أن (فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٣٣-١٩٣٩؟ أى الفترة التى تلت توقيع امتياز النفط إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، ابتليت بريطانيا ببعض المشاكل فى مستعمراتها، وبالأذات فى فلسطين فأوعزت إلى عبد العزيز أن يقوم بتهدئة الثورات فى فلسطين، فكانت له علاقات جيدة ببعض ملوك العرب وأمرائهم وبعض الزعماء الفلسطينيين، ولم تتعدَّ العلاقات الخارجية هذه الحدود إلا بالاستئذان من بريطانيا). تحالف خفى منذ ١٩٣٩

يمكن القول إن أول لقاء سعودى-صهيونى يعود تاريخه إلى عام ١٩٣٩. عندما عُقد فى لندن مؤتمر حول القضية الفلسطينية، حضره الأمير فيصل الذى كان آنئذٍ وزيراً

للخارجية، حيث اجتمع الأمير السعودي عدة مرات منفرداً بالوفد اليهودى فى المؤتمر، حيث كان الملك عبد العزيز يبذل قصارى جهده لتوطيد علاقاته بالأمريكان، وبمرور الوقت وعندما أصبحت القضية الفلسطينية أكثر التهاباً، أفلح الأمريكان فى إقناع الملك عبد العزيز بالتحايل اللفظى من أجل التخلص من المسؤولية التاريخية، وذلك بإصدار بيان شديد اللهجة ضد اليهود، ولكن دون أى تعهد من جانبه بالعمل ضدهم. آل سعود ومحاولة اغتيال عبد الناصر

وبخصوص الوحدة المصرية السورية، تذكر دراسة نشرتها شبكة (فلسطين للحوار) أنه (فى عام ١٩٥٨ ومع قيام الوحدة السورية-المصرية تدهورت العلاقات السعودية-المصرية إلى حد بعيد، وأصبح الملك سعود مقتنعاً بأن عبد الناصر بعد حرب السويس وقيام الوحدة المصرية-السورية وحلّ حلف بغداد، يطمع فى السيطرة على المنطقة العربية كلها، وكانت إسرائيل تعلم بعلاقات سعود بسورية... فبدأت بالعمل فوراً، حيث تم تشكيل لجنة سرية مؤلفة من موظفين اثنين يعملان فى شركة "أرامكو"، الأول ضابط إسرائيلى يحمل جواز سفر أمريكياً، ويعمل فى قسم العلاقات العامة بالشركة، والآخر سعودى غير معروف من أصل سورى، وقد توصلت اللجنة إلى أن "عبد الحميد السراج" -الرجل القوى الذى يرأس جهاز المخابرات السورية- يمكن أن يكون المفتاح لضرب الوحدة العربية، لأنه شخص فوق الشبهات ويتمتع بثقة عبد الناصر الخالصة، فأمطروه بالصكوك المالية التى تسلّمها بدوره، وأعلن عنها فيما بعد لفضح المؤامرة الموجهة ضد الوحدة المصرية السورية، والتى تتضمن فى تفاصيلها اغتيال عبد الناصر).

ووفقاً للمصادر الإسرائيلىة فإن السعودية قد تحركت لمهاجمة عبد الناصر وفكرة الوحدة العربية، وكان مؤتمر شتورا فى لبنان توتيجاً لهذا الهجوم، وفى الوقت نفسه شاركت الصحافة اللبنانية، التى بدأت السعودية بالسيطرة عليها، فى حملة دعائية ضد عبد الناصر لم يسبق لها مثيل، وفى هذه الأثناء تم تكوين أول مجموعة عمل إسرائيلىة-سعودية مشتركة، كانت تواصل اجتماعاتها فى إحدى الشقق فى بيروت بهدف توجيه الوضع العربى وفق خططها، وبعد ذلك انضمت إيران (الشاه) إلى المجموعة بعدما وصل عداؤها لعبد الناصر حداً لا عودة بعده، وكانت المهمة الموكولة لتلك المجموعة صياغة

نظرية سياسية تنتسب للإسلام متعاطفة مع الغرب لاحتواء أية آثار جانبية لحركة القومية العربية ضد العرب.

أما في ما يتعلق بحرب اليمن، فإن الدراسة السابقة تذكر أنه (كانت الإستراتيجية الإسرائيلية هي أن تضع ولأول مرة "فيصل" على اتصال مباشر مع إسرائيل، بواسطة عضو مجلس العموم البريطاني المحافظ الصهيوني، الذي ترأس ما سمي "جماعة السويس" المدعو "جوليان إيمري"، وذلك بالتعاون مع النائب ثم الوزير البريطاني "دنكان سانديز" الذي كان يزايد على الإسرائيليين في عدائه لعبد الناصر).

وفي كتابه "الصراع على اليمن"، ذكر "إيمري" أنه (أخبر "فيصل" بأن نجاح الكولونيل عبد الناصر في الحصول على موطن قدم في الجزيرة، التي هي مركز أهم الاحتياطات البترولية في العالم العربي والعالم قاطبةً، ينذر بالشر، وينبغي على جميع الأطراف، المتأثرة مصالحها، مقاومته، وقد أخبر فيصل أن أية محاولة لمواجهة ناصر عسكرياً سوف تُسحق، وأن الحل هو إقحام اليمن في حرب أهلية يكون لإسرائيل فيها دور أساسي ومباشر، هذا بالإضافة إلى إيجاد تحالف قوى بين النظامين السعودي والأردني وإنهاء حالة التوتر الموجودة بينهما).

وتستمر الدراسة في سرد الفضائح، حيث تذكر في فقرة لاحقة أنه (تمكن خاشقجي من الحصول على ميزانية غير محدودة، لشراء جميع الأسلحة اللازمة للمرتزقة الإسرائيليين والبريطانيين والفرنسيين والبلجيكيين والجنوب أفريقيين الذين تقرر إرسالهم إلى اليمن، وكذلك لتسليح القبائل التي انحازت إلى جانب الملكيين والسعودية). ومن ضمن الإجراءات التتسيقية المتخذة كان هناك افتتاح لمكتب ارتباط سعودي-إسرائيلي في بيروت إبعاداً لتلك الأنشطة عن الأراضي السعودية.

إسرائيل تنقذ العرش السعودي مرتين

وعن فترة النكسة يذكر الخبير العسكري الإسرائيلي "هيرش غودفان" في مقال له في صحيفة الـ"جيزوراليم بوست" في (١٢/١٠/١٩٨٠) أنه (المثال المهم يتعلق بإدراك آل سعود

فى الفترة من ١٩٦٧-١٩٧٣ أنه إذا تحرشت مصر المكتظة بالسكان والفقيرة والصديقة لموسكو بالمملكة العربية السعودية القليلة السكان والمتخمة بالمال والمؤيدة للغرب بشدة، فإن حكام السعودية يعرفون أن إسرائيل ستتدخل للدفاع عنهم لحماية المصالح الغربية).

وفى رأى المخبرات الأمريكية أن إسرائيل أنقذت العرش السعودى مرتين خلال الفترة (١٩٦١-١٩٧٦) وقد ذكر الباحث "ألكساندر بلاى"، من معهد ترومان، فى مقال كتبه فى مجلة العلوم السياسية الوطنية "جيروزاليم كوارتلى" تحت عنوان "نحو تعايش إسرائيلى-سعودى سلمى (أن المملكة العربية السعودية وإسرائيل قامتا ببناء علاقة حميمة، وكانتا على اتصال مستمر فى أعقاب حدوث ثورة اليمن عام ١٩٦٢ بهدف ما أسماه "منع عدوهما المشترك" أى "عبد الناصر" من تسجيل انتصار عسكري فى الجزيرة العربية). وذكر بلاى أنه أجرى مقابلة مع السفير الإسرائيلى السابق فى لندن "آهارون يميز" (١٩٦٥-١٩٧٠) الذى أعلمه أن الملك "سعود" والملك "فيصل" كانا على علاقة حميمة مع إسرائيل وعلى اتصال وثيق معها. وأكد الكاتب البريطاني "فريد هاليدى" ما ذكره الباحثان الآخرا، حيث ذكر فى كتابه "الجزيرة العربية بلا سلاطين" أن الملك "فيصل" طلب من إسرائيل التدخل لحمايته من "عبد الناصر" أثناء حرب اليمن، وأن إسرائيل قامت بشحن كمية كبيرة من الأسلحة مستخدمة الطائرات البريطانية العسكرية، وأن صناديق الأسلحة ألقيت من الجو فوق مناطق الملكيين اليمنيين.

وفى تقرير الشرق الأوسط الذى صدر فى ١٠/٦/١٩٧٨ جاء فيه أن راديو إسرائيل نقل عن جريدة "لوماتان" الفرنسية وثيقة الاطلاع قولها إن وزير الدفاع الإسرائيلى (عيزرا وايزمان) التقى سراً بولى العهد السعودى الأمير "فهد" فى أسبانيا أثناء رحلة سرية قام بها وزير الدفاع الإسرائيلى لأوريا فى تلك الفترة. ولم تذكر الصحيفة أسباب اللقاء، وذكرت مجلة الـ"تايم" الأمريكية (١٤/٨/١٩٧٨) تحت عنوان "موعد إسرائيلى فى المغرب"، أن الملك الحسن حثّ رابين على البدء بلقاء السعوديين الذين يمولون الاقتصاد المصرى، وقد وافق رابين على الفكرة، ووافق الأمير فهد على اللقاء، وقام الملك الحسن فعلاً بترتيب ذلك اللقاء، وقد كتب الكولونيل الإسرائيلى "رافى سينون" الذى يعمل فى

المخابرات الإسرائيلية كتاباً بعنوان "الفرص الكبرى المبددة"، تحدث فيه بإسهاب عن الاتصالات السرية التي جرت بين إسرائيل والحكام العرب في الماضي، وقد احتوى الكتاب على كمية كبيرة من الأسرار التي لم تنشر من قبل، وقد أجرت صحيفة الـ"جيزوراليم بوست" في (١٩٩٤/٦/٢٣) مقابلة مع هذا الضابط، كشف خلالها أن "فهد" حينما كان ولياً للعهد قد سعى لإجراء اتصالات سرية مع إسرائيل، بغية الوصول إلى تفاهم بين البلدين، وأنه استخدم لهذه الغاية مبعوثاً فلسطينياً أرسله لمقابلة "موشى ديان" وزير الخارجية الإسرائيلي، وقد أجرت الصحيفة المذكورة مقابلة مع المبعوث السعودي الذي يدعى "ناصر الدين النشاشيبي"، وهو صحفي فلسطيني معروف ومقرب من السعوديين، وقد اعترف النشاشيبي بالحادثة للصحيفة، وقال إنه التقى بالكولونيل "سينون" في عام ١٩٧٦، ثم سافر إلى الرياض لمقابلة ولي العهد "فهد" وسلمه هذا رسالة شفوية سرية إلى وزير الخارجية الإسرائيلي "موشيه ديان"، بخصوص العلاقات بين البلدين، وقال النشاشيبي إنه حين وصل إلى القدس المحتلة احتفى الإسرائيليون به، وأنه أعلمهم أنه يحمل رسالة شفوية سرية من ولي العهد فهد. كما ذكر "النشاشيبي" للصحيفة الإسرائيلية أنه التقى عقب ذلك بستة أعوام بشيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل في نيويورك، وإن بيريز طلب منه السفر إلى الرياض لتسليم رسالة سرية للملك فهد لم تعرف محتوياتها، كما كتب "ألكساندر بلاي" مقالاً آخر في مجلة "جيزوراليم كوارترلي"، تحدث فيه عن عمليات بيع النفط السعودي لإسرائيل، وذكر أن ناقلات النفط تغادر الموانئ السعودية، وما إن تصل إلى عرض البحر حتى تُزيّف أوراقها وتُحوّل حمولتها إلى الموانئ الإسرائيلية.

.....

ذكرت مجلة الـ"إيكونوميست" البريطانية أن إسرائيل تقوم بحماية النفط السعودي الذي يُضخ من ميناء ينبع إلى البحر الأحمر، وأن إسرائيل تقوم بذلك عملاً باتفاق سري إسرائيلي-سعودي-مصري، تحمى إسرائيل بموجبه القطاع الشمالي، وتحمى مصر القطاع الجنوبي والغربي مقابل حصولهم على مساعدات سعودية مالية.

وهناك وثيقة عُرفت فيما بعد بـ"خطة فهد للسلام"، وقد تمكن "يعقوب نيمرودى" ضابط المخابرات الإسرائيلية السابق (وتاجر السلاح فيما بعد) من الحصول عليها عبر "عدنان الخاشقجي"، حيث كان "نيمرودى" وشريكه "آل شويمر"، والذي كان رئيساً لمصانع الطائرات الإسرائيلية -وهما من أصدقاء شارون- على علاقة وطيدة بـ"الخاشقجي" حيث قاموا بعقد صفقات للسلاح وصفقات سرية أخرى. وهذه الوثيقة السياسية السرية، والتي كتبها ولي العهد "فهد"، تحدّث فيها بشكل علني عن قبول آل سعود بإقامة السلام مع إسرائيل والاعتراف الكامل بشرعية دولتهم.

وقد أعلم "نيمرودى" الإسرائيليين أن "الخاشقجي" نقل مطالب آل سعود لهم برفع علمهم على الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس المحتلة، كرمز ضمنى يعترف بأنهم حماة تلك الأماكن المقدسة. وكانت الصحف البريطانية والأمريكية قد ذكرت في تلك الفترة أن آل سعود عرضوا الاعتراف بإسرائيل مقابل سماحها لهم برفع العلم السعودي على المسجد الأقصى، وعرضوا على إسرائيل مبلغ خمسة مليارات دولار كرشوة، إلا أن إسرائيل رفضت العرض السعودي، وسارع آل سعود كالعادة لنفى الخبر!

.....
.....
.....

وفي الثمانينيات بدأت الصحف العبرية تتحدث بشكل جاد وعلني عن الاتصالات السعودية الإسرائيلية. حيث كشفت مجلة "هعولام هازيه"، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٠/١٠/٢٦؟ أن السعودية بعثت رسالة إلى إسرائيل حملها وزير الخارجية التونسية عام ١٩٧٦.

وذكرت جريدة "دافار" بتاريخ ١٩٨٦/٢/١٢ أن عدداً من مقربي "شيمون بيريز" اجتمعوا مع اثنين من المبعوثين السعوديين في المغرب، وأشرف وزير الداخلية المغربي على ترتيب اللقاء، وقد قدّم الإسرائيليون معلومات حول مخطط لاغتيال عدد من أفراد الأسرة السعودية المالكة. كما ذكرت جريدة "عل همشمار". بتاريخ ١٩٨٧/١١/١٧ أن الرئيس

"حسنى مبارك" أبلغ وزير الطاقة "موشيه شاحال" أن الملك "فهد" هو الذى شجعه على تعزيز علاقات السلام مع إسرائيل، ونقلت جريدة "هاآرتس" الإسرائيلية عن السفير السعودى فى واشنطن أن السعودية تضغط على منظمة التحرير الفلسطينية - وخاصة على زعيمها "ياسر عرفات" - لإصدار بيان تعترف فيه بإسرائيل وقال "بندر بن سلطان" - السفير السعودى فى واشنطن وقتها- - إن السعودية اقترحت على عرفات إصدار البيان من خلال التطرق إلى قرار التقسيم الدولى رقم (١٨). وقالت الجريدة إنه جاء فى تقرير مفصل وصل إلى القدس حول اجتماع السفير "بندر" مع مجموعة من الزعماء اليهود، أن السفير بندر قال إن السعودية غير مستعدة للقبول بالحل المبني على إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وإنها ستؤيد فقط إقامة اتحاد كونفدرالى بين الأردن والفلسطينيين.

وفى تعليق للإذاعة الإسرائيلية عن الموضوع نفسه قالت: (اجتمع السفير السعودى فى واشنطن الأمير "بندر بن سلطان" مع مجموعة من زعماء الجالية اليهودية فى نيويورك. وذكرت صحيفة "معاريف" التى انفردت بنشر هذا النبأ أن الاجتماع كان سرياً فى منزل المليونير اليهودى "تسفى شلوم" فى نيويورك، ووصف الحضور هذا الاجتماع بأنه عُقد فى جوٍّ ودّى للغاية، وأن السفير السعودى أكد أن الرياض ليست لديها تحفظات على سياسة إسرائيل فى مواجهة العنف فى المناطق المحتلة، وأن السعودية تبذل جهوداً جبارة لإقناع منظمة التحرير الفلسطينية بوجوب الاعتراف بإسرائيل. وأشارت الصحيفة إلى أن اجتماعاً آخر كان قد عُقد قبل ثلاث أشهر بين الأمير "بندر" وشخصية يهودية مرموقة فى منزل أحد السفراء العرب فى واشنطن.

وفى تعليقه على لقاءات لاحقة نقل راديو إسرائيل بتاريخ ١٩٩١/١١/١٩ عن السفير "بندر" (أنه يلتقى بالزعماء اليهود ممثلاً عن الملك فهد، وأن السعودية لا تعتبر نفسها الآن طرفاً فى النزاع شرق الأوسطى)، وقد صرح رئيس المؤتمر اليهودى العالمى "هنرى سيغمان" فى أعقاب الاجتماع الذى ضم كلاً من زعماء الجاليات اليهودية الأمريكية

والأمير بندر، بأنه -أي "سيغمان"- كان المبادر للدعوة لعقد مثل هذا الاجتماع. وأضاف أن اجتماعات عديدة جرت خلال العام الحالى، وخاصة خلال حرب الخليج، ضمت الأمير "بندر" والعديد من زعماء الجاليات اليهودية الأمريكية، وأضاف سيغمان أن الأمير بندر قام بدور مركزى لدفع بلاده إلى لعب الدور الأساسى فى حرب الخليج.

وعلى صعيد العلاقات الخاصة مع بعض الشخصيات ذكرت "هاآرتس" يوم ١٠/١٠/١٩٩٠ أن "بيريز"، رئيس حزب العمل الإسرائيلى، يقوم بالتزهد منذ عدة أيام على ظهر سفينة النزهة "الملكة إليزابيث" برفقة بعض رجال الأعمال العالميين، ومن بين المدعوين والمتواجدين على ظهر السفينة وزير النفط السعودى السابق الشيخ "أحمد زكى يمانى"، ورئيس حكومة جنوب أفريقيا. كما ذكرت "حداشوت" بتاريخ ٢٠/٥/١٩٩١ أن الأمير السعودى "تركى بن عبد العزيز" أرسل برقية لحجز جناح له فى فندق بالقدس، وألغيت الزيارة بعد تسرب خبرها.

وبعد حرب الخليج سنة ١٩٩١ أطلق الأمريكيون عملية سلام بدأت بقمة مدريد، التى شارك فيها السعوديون، وكان للأمير "بندر" ارتباط مباشر بالسفارة الإسرائيلية فى واشنطن أيام اتفاق أوسلو، وقد عقد محادثات غير رسمية مع السفير الإسرائيلى "هكتيفونيبار راماتى"، وخلال محادثات السلام التى أجراها "يهود باراك" أصبح دور الأمير شديد الأهمية. وفى أواخر عام ٢٠٠٠ تركزت الجهود على المسار الفلسطينى، فبعد فشل "كامب ديفيد" واندلاع الانتفاضة، حاول "بندر" الضغط على "ياسر عرفات" لقبول مبادرة "كلينتون".

كما تقول وسائل الإعلام الغربية عن أحدث الاتصالات أن هناك لقاء قد جمع بين "عادل الجبير" - سفير السعودية الجديد فى واشنطن - ونائب وزير الدفاع الإسرائيلى "إفرايم سنيه" ضمن لقاءات ثلاثية منفصلة (سعودية وأمريكية وإسرائيلية) حول "مبادرة

السلام" مع إسرائيل التي طرحتها المملكة، وذلك قبيل انعقاد القمة العربية المقررة في الرياض نهاية آذار/مارس ٢٠٠٧ وعندما سارعت الرياض إلى نفي الخبر رسمياً قائلة إن تلك التقارير لا أساس لها من الصحة، فإن صحيفة "يديعوت أحرونوت" أكدت أن "ديفيد وولش" رئيس قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية قد جمع الرجلين وتبادلا الحديث.

كما ذكرت الصحيفة أن "إفرايم سنيه" توجه إلى "الجبير" -والذي يُعتبر من أشد المقربين لدوائر صنع القرار بالمملكة- وصافحه قائلاً: (أنا سعيد بلقائك وجهاً لوجه.. ماذا يحدث من المشاكل في منطقتنا؟) وأجاب "الجبير": (أمل أن نصعد في الأسابيع المقبلة إلى مسار إيجابي).

.....

وفي أعقاب هجمات ١١ /سبتمبر سعى "عادل الجبير" -الذي كان يعمل في الخارجية آنذاك- إلى تنظيم رحلة لوفد من اليهود الأمريكيين الأعضاء في الكونغرس إلى الأراضي السعودية حتى تتوقف هجمات اللوبي اليهودي ضد المملكة على خلفية الهجمات.

قالت صحيفة "جيروزاليم بوست" (إن "الجبير" ظل -منذ بداية التسعينيات- على اتصال وتتسيق مع الجماعات اليهودية، بما فيها منظمة اللوبي اليهودي الأمريكي "إيباك"، وسبق أن التقى بيوسى بيلين حينما كان وزيراً في حكومة العمل الإسرائيلية)، كما تقول مقدمة كتاب "التغلغل الإسرائيلي في الخليج" -والذي يغطى الندوة المتخصصة حول الموضوع ذاته- إن (الملك عبد الله بعد حصوله على التشجيع السياسي والدبلوماسي أمر "بندر" بأن يجري مباحثات مع رئيس الموساد الجنرال "مائير داغان"،

.....





2

القدس..

مسرح للجريمة



المساهمة فى أى جريمة تعنى القيام بدور فى تنفيذها، والمساهم يُسأل عن الجريمة بصفته فاعلاً أصيلاً فيها، والمساهمة تفترض سبق وجود اتفاق، قوامه اتحاد الإيرادات بين الذين قاموا بأدوار فى تنفيذها سواء كانت أدواراً رئيسية أو ثانوية.

فالفاعل فى الجريمة ليس هو المنفذ فقط بل كل من يقف على مسرحها ليؤدى دوراً طبقاً للخطة المرسومة فهو فاعل أصيل فيها. وقيام إسرائيل بجريمة مسرحها كان أرض فلسطين، ووقف على ذلك المسرح العديد من الدول والأسر والشخصيات، ومن بين هذه الأسر أسرة آل سعود التى ساهمت فى قيام إسرائيل، وإن كان دورها قد بدا غير مباشر إلا أنه انتهى من حالة السرية إلى حالة العلانية، وتضمنت المرحلة السرية قيام أسرة آل سعود بدور الأداة فى يد بريطانيا للقضاء على الثورة العربية وجيوش الشريف حسين، وقد انتقلت الأسرة من مرحلة السرية إلى مرحلة العلانية وذلك بتحويل منابر الأماكن المقدسة إلى إذاعة للدعوة إلى بريطانيا وتبرير تواجد جيوشها فى البلاد الإسلامية، بالإضافة إلى إجهاد أى محاولة للقضاء على إسرائيل والتى بدأت مراحل الشروع فى زراعتها منذ أواخر القرن التاسع عشر داخل أروقة القصر الملكى ببريطانيا، وتحديداً منذ أن لفت الوطن العربى وموقعه المتميز والاستراتيجى نظر العسكريين الإنجليز إلى خطورة البقعة على مستعمراتها وإمكانية اتخاذها قاعدة للانقضاض على المستعمرة البريطانية فى الهند عقب انتهاء حرب السنوات السبع بين بريطانيا وفرنسا واستيلاء الإنجليز على كامل التركة الفرنسية وتحرك نابليون إلى الشرق قاصداً مصر واحتلالها.

وقتها اكتشف الساسة الإنجليز مدى خطورة هذا الموقع إذا ما وقع تحت يد الفرنسيين ولجأت بريطانيا إلى تأمين جميع المنافذ المؤدية إلى مستعمراتها في الهند. ولم تكد تنتهي من فرنسا وطردها من مصر والقضاء على قوة محمد علي وتحجيمها، إلا واستيقظت بريطانيا على نباء تمرد المستعمرة الأمريكية عندما فرضت بريطانيا قانون الضرائب على المستعمرات الأمريكية لتعويض خسائرها في الحروب. وقد تطور الأمر ليصل إلى حد الثورة وإعلان الاستقلال لإنشاء دولة جديدة بعيدة عن العالم القديم بكل مشاكله، وقد تزامن ذلك مع قيام الثورة الصناعية وحدث نوع من الدارونية الاجتماعية وحراك اجتماعي صاعد بين طبقات المجتمع الإنجليزي، وأصبح الصعود والترقي في المجتمع طريقه سهل بعد أن أصبح الانتقال للعمل في إحدى المستعمرات وسيلة لتحقيق الطموح وتحول العديد من المواطنين للعمل الصناعي وترك الزراعة، الأمر الذي ساعد على وجود طبقة برجوازية جديدة استخدمت الطبقات الدنيا في صراعها مع الإقطاع وأصبح رأس المال الجديد يضغط على القصر الملكي للبحث عن سوق جديدة لتصريف الإنتاج الصناعي بعد أن تراكم المخزون عقب غلق المستعمرة الأمريكية.

فكان لابد من البحث عن سوق جديدة وأرض جديدة لاستيعاب الطموح الإنجليزي فكانت أفريقيا هي الوسيلة الجديدة لتخفيف الضغط على القصر الإنجليزي، بعد أن ظلت مهمة ولم تكن تمثل أدنى اهتمام للإنجليز سوى كونها محطات تموين للسفن الإنجليزية بالإضافة إلى مناخها الذي لا يتلاءم مع الطبيعة الأوروبية، وطبيعتها المغلقة ووجود منفذ وحيد لها عبارة عن بوابة سرية لآبد من التحكم فيها والسيطرة عليها، لإمكان احتلال أفريقيا، تلك البوابة هي شبه جزيرة سيناء وتحديدًا منذ قناة السويس، لذا كان لابد للإنجليز من احتلال مصر لإمكان التحكم في البوابة السرية لأفريقيا، ولكن احتلال مصر ليس بالأمر الهين فهي دولة لها جيشها وأسطولها وسبق أن هددت الخلافة العثمانية ذاتها، لكن هذا الأمر يهون أمام الخروج من المأزق الموجود داخل بريطانيا وضغط رأس المال ولكن المغامرة باحتلال مصر للقفز على أفريقيا يتطلب هذه المرة تأمينها، خوفاً من أن تواجه نفس مصير المستعمرة الأمريكية، وقد لاحت في الأفق

إشارات تبرر لها احتلال مصر أهمها أزمة الديون التي نشأت نتيجة حفلة افتتاح قناة السويس وانخفاض أسعار القطن. وقتها تخلى الإنجليز عن مبدئهم الذي كان يقتضى عدم التدخل لحماية أى مستثمر أراد الاستثمار خارج بريطانيا. واتخذت بريطانيا من مطالبة الرعايا الإنجليز مبرراً لاحتلال مصر بحجة حماية أموال رعاياها وتحصيلها، ولكن هذا الاحتلال كان يلزمه حماية من نوع خاص، حماية تأمن فيها بريطانيا ثورات المصريين لحماية البوابة السرية لأفريقيا، فكان لابد من زرع قاعدة بشرية تفصل العربى الأفريقى عن العربى الآسيوى بعد أن أكسبت الحروب الصليبية الغرب خبرة ودراية بجغرافيا الوطن العربى وأن أمن مصر يبدأ من الشام وتهديدها يبدأ من هناك أيضاً، ومن هنا كان الحل هو البحث عن أناس يقبلون القيام بدور الحاجز البشرى وتزامن البحث الإنجليزى مع ثورة المسيحيين على اليهود ومطالبتهم بضرورة تخليص أوروبا منهم بعد أن زادت ظاهرة الإحياء الدينى وعدم نسيان المسيحيين أن اليهود هم قتلة المسيح، وجاء حادث مقتل القيصر فى روسيا وحادث المدفعية فى فرنسا ليكون الشرارة الأولى لثورة المسيحيين على اليهود. وقد أرادت بريطانيا أن تستغل ثورة المسيحيين وتظهر بمظهر مُخلص أوروبا من شرود اليهود وفى الوقت ذاته تظهر أمام اليهود بمظهر المدافع عن حقوق الإنسان، ولكى تستفيد أيضاً من ثروات اليهود واستغلالهم ليقوموا بدور الحاجز البشرى على جانبى قناة السويس والإقامة على أرض فلسطين لحماية البوابة السرية لأفريقيا. وإذا كانت بريطانيا قد وجدت فى اليهود من يقوم بدور الحاجز البشرى إلا أن زراعة هذا الحاجز فى وسط تكوين إسلامى عربى ضرب من ضروب المستحيل، فكافة الدول العربية ومنها مصر كانت خاضعة للخلافة العثمانية ومصر تحديدا دولة صعبة المنال واحتلالها ليس بالأمر الهين، فكان لابد من ظروف قاهرة تبرر إقدام بريطانيا على احتلال مصر. وجاءت الفرصة مع افتتاح قناة السويس وأزمة الديون التى أصابت مصر وقتها، اتخذتها بريطانيا ذريعة لاحتلال مصر ولكن هذا الاحتلال إن كان سهلاً للإنجليز استعمار مصر إلا أنه لم يكن يُسهّل زرع الدولة اليهودية على أرض فلسطين لفصل الشام عن مصر وحماية قناة السويس، فكان الحل هو القضاء على

الخلافة الإسلامية أولاً تحت دعاوى يقبلها المسلمون في بقاع الأرض خوفاً من أن يعلن الخليفة العثماني الجهاد فتهب كل الشعوب الإسلامية للاستجابة للنداء. وقد ساعدت الظروف وأتاحت الفرصة أمام الإنجليز لبث بذور الخلاف بين العرب المسلمين والخلافة الإسلامية أو هو بمعنى أدق استغلال شعار القومية العربية ضد شعار الخلافة الإسلامية. وقد استخدمته بريطانيا في الوقت المناسب عندما وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم في تركيا وبدأت في تترك المستعمرات العثمانية وحلت اللغة التركية محل اللغة العربية وقد خشى العرب من ضياع لغتهم ودينهم. وقتها بدأت بريطانيا في تأجيج مشاعر الثورة والتمرد لدى الشريف حسين باعتباره رجلاً من نسل الرسول وإعلانه الثورة والتمرد أثناء الحرب العالمية الأولى سوف يساعد بريطانيا في إجبار الجيوش التركية في الإبقاء على قواتها داخل مستعمراتها حتى تمهد الطريق أمام بريطانيا لإعادة صياغة العالم وفق أهدافها، وبالفعل استطاعت بريطانيا تنفيذ مخططاتها والقضاء على الخلافة الإسلامية وأصبح الأمر سهلاً في الشروع في إقامة الدولة اليهودية. وإذا كانت بريطانيا قد استخدمت شعار القومية العربية ضد الخلافة الإسلامية، إلا أنها عادت واستخدمت شعار الخلافة الإسلامية ضد القومية العربية عندما رفض الشريف حسين تنفيذ مطالبها في إقامة دولة اليهود على أرض فلسطين، فكان الحل هو القضاء عليه. ولكن مثل هذا القضاء لا بد أن تكون بريطانيا بعيدة عن كل البعد لأسباب عديدة، لعل أهمها أن الرجل من نسل الرسول "صلى الله عليه وسلم". ولا تجرؤ بريطانيا على المساس به بالإضافة إلى اشتعال الثورات في العديد من المستعمرات البريطانية، فكان الحل هو خلق صراع عربي خالص تظهر فيه بريطانيا وكأنها بعيدة عنه. ووجدت بريطانيا ضالتها المنشودة في أسرة آل سعود التي كانت تبحث عن دور في الجزيرة العربية أياً كان المقابل الذي تقدمه. وبالفعل استطاعت بريطانيا أن تجعل من آل سعود دمية في يدها يؤمرون فينفذون وتطور دورها إلى جعلهم يلعبون دور بابا الإسلام فكانت بدايتهم هي القضاء على قوات الشريف حسين باعتباره القوة العربية الوحيدة المؤهلة للحرب والمتحدثة باسم العرب، ومع مرور الأيام حولوا الأماكن المقدسة إلى إذاعة

للدعوة إلى بريطانيا وعندما أيقن أهل فلسطين أن عدوهم الحقيقي هو الإنجليز وثاروا عليهم ثورتهم المشهورة في عام ١٩٣٦ وبدأت بريطانيا تعيد حساباتها وفكرت في التخلص من مساندة اليهود وتركهم يواجهون مصير الموت نتيجة الضغوط التي هددت مستعمراتها في الهند وأفريقيا.

تدخل عبد العزيز آل سعود ليلعب أخطر دور في التاريخ الحديث وخذاع أهل فلسطين من فوق منبر الحرمين، ووجه نداء باعتباره بابا للإسلام وكان فحواه أن أهل فلسطين عليهم أنى يصدقوه أنه في حالة إيقاف ثورتهم سوف يساعده ذلك على إلزام بريطانيا بالتخلي عن اليهود وطردهم من الأراضي العربية. وقد تعهد بتنفيذ كافة المطالب الفلسطينية ومنها طرد اليهود، وعندما استجاب الفلسطينيون للنداء كان رد الفعل البريطاني أنها لم تطلب من أحد التدخل وأن آل سعود تدخلوا طواعية ولم ينته الدور السعودي عند هذا الحد، فعندما قامت الحرب العالمية الثانية وكان هتلر على الأبواب حول آل سعود الأراضي الحجازية إلى محطات تموين لقوات الحلفاء بالإضافة إلى إقامة قواعد عسكرية للقوات، وعندما انتهت الحرب وتخلت بريطانيا عن دور الحاكم الأوحد للعالم غير آل سعود قبلتهم إلى ناحية أمريكا ليلعبوا نفس الدور حتى إعلان قيام دولة اليهود.

.....

في رائعة جمال حمدان "شخصية مصر" حدد الراحل الشروط والمواصفات التي لو توافرت في أي وحدة سياسية على ظهر الأرض صارت مؤثرة في مجريات الأحداث، حافرة اسمها في سجلات التاريخ.

في مقدمة هذه الشروط الموقع الجغرافي الذي يصنع الخصائص التي تتأثر بها الوحدة السياسية، وهذا الموقع لا تقاس أهميته بعدد الكيلو مترات ولكن أهميته تقاس بما يتوافر فيه من مصادر للطاقة وطاقات بشرية قادرة على الوفاء بالعمل الذي يستهدف استغلال الموارد المتاحة وزيادة حجم الإنتاج زيادة تكفل المحافظة على مستوى

معيشى مناسب للسكان، ثم هى تقاس من ناحية أخرى بما يحقق فيها من خدمات النقل التى تقى بحاجات التجارة وحاجات الاستراتيجية العسكرية ومتطلبات الدفاع عن كيان الوحدات السياسية فى وقت الخطر الذى يتهدها. هذه الشروط والمواصفات لو طبقت على عالمنا العربى نجد أنه يحتل مساحة تمتد من جنوبى غرب آسيا إلى شمال أفريقيا بحيث تشرف وتسيطر على القلب من جزيرة العالم وتحتل المركز المتوسط بين آسيا وأفريقيا. فإذا كان لهذا الوطن أهميته فهى مرتبطة بالموقع الجغرافى وحساسيته التى تضى على خصائصه كل مظاهر الأهمية والاعتبار، فهو يقع فى رقعة الأرض التى تجعله يشرف على أخطر ثلاثة أذرع مائية من وجهة نظر الملاحة والتجارة؛ هذه الأذرع هى البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى والتى يرتبط بكل ذراع منها مسطح مائى هام وخطير من حيث حركة الملاحة وحجم التجارة العالمية فذراع البحر الأحمر يتصل بالمحيط الهندى الذى تمر به كل تجارة العالم الآسيوى وشرق أفريقيا وأستراليا، أما بالنسبة لذراع البحر المتوسط الذى يتصل بالمحيط الأطلنطى فتتجمع فيه وتمر به كل تجارة العالم الأوربى والأمريكى. هذه الأذرع الممتدة فى وطننا العربى تتناسب والملاحة البحرية وأضفت على موقع العالم العربى أهمية بالغة الأثر من حيث وجهة النظر الاستراتيجية ومن حيث وجهة نظر النقل والمواصلات، فتتجمع الطرق البرية من قل ووسط آسيا ومروراً بسهول الرافدين وأرض الشام إلى ساحل البحر المتوسط ومن قلب أفريقيا فيما وراء الصحراء ومرورها فى اتجاه الشمال إلى ساحل البحر المتوسط، كان يضى على الموقع الجغرافى لهذا الوطن مزيداً من الأهمية. وهذا الموقع المتميز بقدر أهميته بقدر ما كان نقمة وبلاء تعود إلى ما يمليه القادة العسكريون من اهتمام بالمواقع المؤثرة فى العالم. فقد اتفق العسكريون منذ القدم على الأهمية الاستراتيجية لموقع الوطن العربى وأن امتداد مساحة هذا الوطن الكبير يجعل منه وحدة استراتيجية ذات خطر عظيم فى أى حرب عالمية وعلى أى مستوى من مستويات الأسلحة المستخدمة فى القتال. فإتساع رقعة الأرض العربية وموقعها الجغرافى المشرف على البحرين الأحمر والمتوسط والخليج العربى والمحيط الهندى يكفل العمق الاستراتيجى المناسب سواء

بالنسبة للتخطيط الإنتاجى وتوزيع مناطق الإنتاج ضمانا لتأمينها أو بالنسبة لتوزيع القواعد العسكرية برية كانت أو جوية وتشغيلها واشتراكها فى المعارك. هذه الأهمية لهذا الموقع كانت مسؤولة فى كل وقت من الأوقات عن كل المحاولات التى بذلت وتبذل من جانب القوى الكبرى فى العالم لفرض نوع من السيطرة أو النفوذ للاستفادة من هذا الموقع أو لمجرد التصدى لآى محاولة خلاقة تكفل قيام قوة ذاتية كبيرة فى حدود هذا الوطن. ورغم المزايا والأهمية المتوافرة فى موقع عالمنا العربى إلا أنه لم يلفت نظر القوى الاستعمارية الكبرى إلا فى عام ١٧٩٨ وتحديدا قبل هبوط الحملة الفرنسية على شواطئ مصر. فبريطانيا كانت على علم بأن فرنسا تنوى غزو جهة ما فى الشرق الأوسط تمهيدا لمهاجمتها فى الهند، وهو الأمر الذى كانت لا تقبله بريطانيا فالهند ليست بالمستعمرة السهل التصريف فيها. فمنذ أن قرر الملك جيمس الثانى ١٦٨٥ قيام شركة الهند الشرقية بغارات على الموانئ التجارية الواقعة على سواحل الهند الشرقية للانتقام من حكام الهند والمغول الذين كانوا يعارضون مشروعاتها التجارية ويضعون أمامها العراقيل وكانت هذه الشركة قد أنشأت لها مراكز تجارية على سواحل الهند، ولكنها كانت تصادف متاعب على يد الحكومة المركزية للهند التى يحكمها المغول. لذا فقد تم تجهيز أسطولين وأمرت أحدهما بأن يربط على مقربة من ميناء سوارات لكى يهاجم ويدمر وينهب، وقد أدى استخدام هذا السلاح إلى تنازل حكومة المغول والسلطات الإقليمية للحكومة الهندية عن موقعها المتشدد والذى كانت تقفه تجاه شركة الهند الشرقية. ومع بدايات القرن الخامس عشر بدأ بناء إمبراطورية المغول يتهاوى بالتدرج وبدأت الأقاليم الكبرى فى الهند وخاصة البنغال تتحول إلى شبه دويلات مستقلة، وكان يحكم البنغال نائب للإمبراطور يسمى جفير خان وكان يمارس سلطات مطلقة ويعارض المشروعات الاستغلالية لشركة الهند، الأمر الذى دفع الشركة إلى إرسال اثنين من القادة إلى إمبراطور المغول المقيم فى دلهى وقد حملا معها الهدايا والرشاوى، وبعد عامين وأثناء احتفال الإمبراطور بزواج ابنه أصدر فرمانا بمنحهما حقوقاً إقليمية فى البنغال وقد استمر هذا الوضع حتى خلف الفردى خان نائب الإمبراطور ابن اخته سراج الدولة وكان محل كره وسخط الشعب كله.

لذا فقد عرفت الميكافيلية البريطانية طريقها إلى منافس سراج الدولة وساعدته على الإغارة عليه ولكن استطاع الانتصار عليه وبقي أن يتخلص من شركة الهند الشرقية والتي كانت في إقليم كلكتا، فهاجم قلعة فورت ولیم في يونية ١٧٥٦ وأصبح مركز البريطانيين في البنغال مهدداً بالزوال وقد أحدث هذا الهجوم أثراً سيئاً على بريطانيا، وذلك لأن الذي حدث أن سراج الدولة عندما هاجم القلعة وقع في أسره "١٢٠" إنجليزياً سجنوا بداخلها، وذات صباح استيقظ الحراس ليكتشفوا موت المائة والعشرين وهو الحادث الذي عرف باسم "بلاك هول". وقد استغل البريطانيون هذا الحادث في حشد الرأي العام البريطاني لدرجة أن البريطانيين الذين فروا من قلعة فورت ولیم استماتوا في الدفاع عن مقر الشركة ليس من أجل بريطانيا ولكن خوفاً من حياة التشرد والضياع، فالعودة تعنى ضياع حلم التجارة والثراء لذا فقد قرر العاملون في الشركة مهاجمة قلعة فورت ولیم، والغريب أن حراس سراج الدولة فروا وتركوا القلعة واستعادها البريطانيون، وتفرغوا بعد ذلك لمهاجمة تحصينات الفرنسيين منافسيهم في الهند وهزموهم وأجبروهم على الخروج من الهند. وأدت هزيمة الفرنسيين وسقوط القلعة إلى حدوث انقسام بين قوات سراج الدولة وأعلن قائد جيشه "ميرجافير" رغبته في التخلص من سراج الدولة. وقد وصل هذا إلى علم البريطانيين فجرى الاتفاق معه في سرية تامة على التخلص من سراج الدولة في مقابل دفع تعويضات للبريطانيين الذين تعرضوا للخسائر عن كلكتا. وكانت القوات البريطانية بقيادة كلايف ترابط على تخوم البنغال انتظاراً لأي فرصة للانتفاض داخل البنغال ومساعدة مير جافير. وعندما تأججت مشاعر الثوار قادوا انقلاباً ضد سراج الدولة وتمكن مير جافير من الاستيلاء على الحكم هناك، وكان قد وقع تعهات والتزامات لصالح شركة الهند الشرقية وبمجرد تنصيبه حاكماً قام بتحويل البريطانيين من مجرد لاجئين إلى حكام شرعيين للبلاد. وكانت البنغال هي بداية استعمار طويل وعملية نهب منظم لثروات البلاد، فلم يكن البريطانيون يتصورون أن بالهند كل هذه الكنوز الطبيعية والأسواق الصالحة لترويج المنتجات البريطانية. فبمجرد وصول "مير جافير" إلى الحكم قام البريطانيون خلال العشر سنوات الأولى وهي الفترة

ما بين ١٧٨٣ : ١٩٧٣ بتحويل سبائك ذهبية تبلغ "٢٣" مليون جنيه استرليني بقيمة ذلك الوقت، وتواكب ذلك مع بداية الثورة الصناعية فى بريطانيا وكانت بحاجة إلى أموال لبناء المصانع وإنتاج الآلات والتي أحدثت بدورها ثورة زراعية تمثلت فى تقليل الأيدي العاملة فى الزراعة وتفرغها للعمل فى الصناعة. وأحدث ذلك ثورة فى البناء الاجتماعى فى بريطانيا فبدلاً من وجود طبقتين: إقطاع ودينا، ظهرت طبقة وسطى جديدة وأصبح حلم الصعود فى سلم الحراك الاجتماعى الصاعد يراود كل البريطانيين، واستخدمت الرأسمالية الجديدة حلم الإنجليز فى تغيير أوضاعهم الاجتماعية فى الضغط على طبقة النبلاء والحكام فى التوسع يفت المزيد من التوسعات الاستعمارية، فالثورة الصناعية أحدثت زيادة فى رأس المال وزاد فائض الإنتاج، فكان لا بد من تصريف هذا الفائض فى المال والإنتاج، وكانت المستعمرات هى المنفذ الوحيد لتصريف هذا الفائض لأن رأس المال أصبح عاجزاً عن استخدامه فى الوطن وارتبط هذا العجز فى قلة الطلب على البضائع الاستهلاكية رغم وفرة الإنتاج، وهذا بدوره مرتبط بوجود ميل فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة إلى ادخار جانب كبير من دخل الوطن. ودفعت هذه العوامل مجتمعة شهية بريطانيا فى الاندفاع ناحية المزيد من الفتوحات داخل القارة الهندية، التى لعبت دوراً هاماً فى إحداث تغييرات فى البناء الاجتماعى البريطانى. وأصبحت المستعمرات الجديدة وسيلة من وسائل تحقيق الطموح لأبناء الطبقات الدنيا فى بريطانيا، فالبريطانى داخل المستعمرات يعامل معاملة الحاكم ويحتل المناصب العليا.

لذا فمجرد أن وصل إلى بريطانيا نبأ تحريك الأسطول الفرنسى ناحية مصر وإعلان مالارتيك حاكم جزيرة مروييتش تعاونه مع "تبو" زعيم الأمراء الهنود المعارضين للوجود البريطانى، بدأت شركة الهند الشرقية منذ عام ١٧٩٨ اتخاذ كافة التدابير لتأمين المنافذ المؤدية إلى المستعمرة، منها إرسال حملة بحرية بقيادة الأدميرال بلانكيف وتعيين ممثل سياسى فى بغداد يشرف على حركة سير البريد عبر العراق الذى قد يصبح بعد نجاح الحملة الفرنسية الممر الوحيد البرى بين أوروبا والهند، ولم يكن هذا هو التدبير الوحيد فقد قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية مع سلطان مسقط لمنع الفرنسيين من التسرب إلى الخليج العربى.

وعندما وصل نبأ استقرار الفرنسيين في مصر تم توقيع معاهدة وإرسال بعثة إلى جدة لتكون حلقة اتصال بين بريطانيا وشرق مكة، وفي أكتوبر ١٧٩٨ كانت الحروف الأولى لاتفاقيات ومعاهدات بريطانيا قد ظهرت وكانت أول الاتفاقيات هي اتفاقية مسقط الخاصة بعدم قبول أية وكالة فرنسية أو توابعها مع الوعد بطرد جميع الرعايا الفرنسيين من مسقط. وترجع أسباب نجاح بريطانيا في توقيع المعاهدات وقبول الأمراء العرب لها إلى خوف الأمراء العرب في شبه الجزيرة العربية من احتلال فرنسا لمصر وإرسال بونابرت رسائل تهديدية إلى الأمراء العرب للتعاون معه. وعندما أوشك عام ١٧٩٨ على الانتهاء كان الاطمئنان قد عاد إلى بريطانيا بعد سد كافة المنافذ أمام الفرنسيين ولم يبق إلا سد منفذ "فارس"، لذا فقد أرسلت بريطانيا الضابط "وليم ملكولم" في بعثة خاصة لدى الشاه وحددت له أهدافاً محددة هي التعاون ضد زمان شاه ملك الأفغان الذي احتل البنجاب وأصبح يهدد الممتلكات البريطانية في الهند. وكان الهدف الثانى هو عدم السماح للفرنسيين أو سفنهم بالدخول إلى فارس ونجح وليم ملكولم في استصدار فرمان من الشاه بقتل كل فرنسى يظهر في فارس وكلت بعثة ملكولم في الحصول على معاهدة تقضى بالتحالف ضد أى قوة تغزو الهند بالنجاح. وكانت القوة الوحيدة التى تهدد بريطانيا في ذلك الوقت هي فرنسا التى كانت تنازلت بعد حرب السنوات السبع "١٧٥٦ - ١٧٦٣" لبريطانيا بعد معاهدة الصلح الموقعة في فبراير عام ١٧٦٣ لبسط نفوذها حول المناطق المتاخمة للمحيط الهندي. ولم يكن أمام فرنسا وسيلة لتهديد بريطانيا سوى البحر الأحمر باعتباره الطريق البحرى الأكثر أهمية من الناحيتين التجارية والبحرية، إذ كان لفرنسا وكلاء يستطيعون الاتصال بجزيرة موريش عن طريق البحر الأحمر وبحكم موقع موريش الجغرافى يصبح هذا الطريق أقصر الطرق ما بين فرنسا وبين غزو الهند باعتباره الأنسب لمروء حملة عسكرية. لذا بمجرد استقرار الفرنسيين في مصر ظهرت أهمية موقع الوطن العربى ولفت نظر وانتباه الدولتين الفرنسية والإنجليزية، وانطلقت كل منهما في تسابق حول احتلال هذا الموقع. وكان أول ما اتخذته بريطانيا لوضع أقدامها هو استخدام الخليج العربى طريقاً

للمواصلات بإنشاء قنصلية فى البصرة الواقعة فى نهاية خط الملاحة فى الخليج، وكانت الخطة المرسومة لسير البريد هى أن تكون البصرة محطة نقل الرسائل من الطريق البحرى إلى طريق القوافل الذى يسير غرب الفرات ثم عبر بادية الشام وينتهى إلى حلب وهناك تتولى الوكالة الإنجليزية التابعة لشركة شرق البحر المتوسط نقلها إلى جزر بريطانيا. وقد استمرت بريطانيا فى استخدام هذا الطريق حتى جلاء الفرنسيين عن مصر وبمجرد خروجهم بدأت بريطانيا فى إعادة ترتيب أوراقها ونظرتها إلى العالم العربى بصفة عامة والخليج بصفة خاصة.

.....

حتى أوائل القرن التاسع عشر لم تكن هناك سوى دولتين فى منطقة الخليج العربى بالمعنى السياسى وهما فارس وسلطنة عمان. ومع مرور السنوات بدأت تظهر بجوار هاتين الدولتين قبائل أصبحت ذات شأن، ولعل أهم تلك القبائل هى قبائل العتوب والقراصنة. وقبيلة العتوب ظهرت أول ما ظهرت على سواحل الخليج عام "١٧١٦" بعد الجفاف وال فقر الذى اصاب الجزيرة العربية فى ذلك الوقت، ولم تكف هذه القبيلة المدينة التى استقرت فيها على ساحل الخليج والتى لم تكن تتعدى ميناء لمدينة لبناء السفن فانتقل من هذه القبيلة فرعان هم آل خليفة والجاهمة إلى شبه جزيرة قطر سنة ١٧٦٦، وبانتقال الجاهمة وخليفة أصبح لقبيلة العتوب سيطرة على الجزء الساحلى من الكويت حتى قطر وعلى جزر البحرين. وأصبح لقبيلة القراصنة ومنهم القواسيم سيطرة على المنطقة الممتدة من قطر حتى شمال سلطنة عمان. وقد أيقظ الموقع الجغرافى لتلك الجزر أطماع الأسر العربية فى حكمها، وجاءت أول الفرص إلى آل خليفة بعد وفاة حاكمها كريم خان الزندى فطلب محمد ابن خليفة من الشاه توليه حكم هذه الجزر، فقبل الشاه هذا العرض على أساس أن يدفع له الحاكم العربى جزية سنوية ولما عادت الفوضى والاضطرابات إلى بلاد فارس صادف ذلك حكم شخص طموح من آل خليفة هو أحمد بن محمد الذى استولى على البحرين فى يوليو "١٧٨٣". وحدد أحمد بن محمد الحاكم الجديد استراتيجية منذ البداية على أساس الالتصاق بالقوى

الكبرى بشرط ألا تحل محله فى الحكم. لذا فبمجرد ظهور بريطانيا كقوة فى الخليج العربى وقع معها معاهدة تحالف عام "١٧٨٤". ولم تكن القبائل العربية التى ظهرت والتى خرجت من بطن قبيلة العتوب متماثلة فى حظوظها، فعرفت بعض القبائل حياة الفقر والقحط، الأمر الذى دفع بعضها إلى الالتجاء إلى أعمال القرصنة لى تستطيع أن تعيش، وكان أبرز تلك القبائل هى قبيلة القواسم والتى ظهرت كقوة مناوئة للملاحة فى الخليج فى منتصف القرن الخامس عشر، ولم تكن توجد وقتها قوة تستطيع فرض احترامها على سفنها. ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ منحى قبيلة القواسم ونجمها يصعد إلى أعلى بحيث أصبحت القرصنة إحدى وسائل القبيلة لفرض سيطرتها على القبائل الأخرى. ومع عام ١٨٠٣ تحالف القواسم والوهابيون ووجد القراصنة مبرراً لأعمالهم واعتبروا أن أعمالهم تدخل ضمن أعمال الجهاد وغلفت بمبرر شرعى، واعتقد القواسم العقيدة الوهابية والتى كانت بمثابة دافع قوى إليهم لدرجة أن قوتهم البحرية بلغت "٩٣" سفينة من الحجم الكبير و٨٠٠ سفينة من الحجم الصغير، وهى قوة بحرية لا يستهان بها فى ذلك الوقت. وأغرى هذا التفوق البحرى القواسم للإغارة على الدول الكبرى فى الخليج مثل سلطنة مسقط وقتل حاكمها لدرجة أن النزاع قد دب بين أهل السلطنة حتى اضطر أحد المتنازعين على العرش أن يعلن تبعيته إلى ابن سعود. وقد حدد القواسم استراتيجيتهم منذ البداية على تجنب التعرض للسفن التى تحمل العلم البريطانى وكانت تكتفى بالاستيلاء على السفن الصغيرة ولكن بمجرد التحالف مع الوهابيين تشجعوا على مهاجمة السفن البريطانية لدرجة أن المعتمد البريطانى فى منطقة الخليج أرسل إلى حكومة الهند الشرقية ينبه إلى خطر القواسم. وفى عام ١٨٠٨ حدثت واقعة جعلت الإنجليز يصممون على ضرورة التخلص من القواسم فأثناء رحلة الجنرال ملكولم إلى فارس استولى القواسم على طرادين كانا فى الرحلة، الأمر الذى اعتبرته بريطانيا تهديداً لدور الشرطى الذى قررت أن تلعبه فى منطقة الخليج، لذا فقد تقرر تجهيز حملة بحرية بقيادة الأدميرال وتيرايت وحددت له أهدافاً معينة وهى تدمير مراكز القرصنة والبحث عن أنسب جزيرة لإقامة قاعدة بريطانية ثابتة. وبدأ تنفيذ

المخطط في أكتوبر "١٨٠٩" حيث خرجت من بومباي ثلاث سفن بحرية وثلاث معدات وبدأت تطوف مراكز القراصنة، وهذه الحملة أدت إلى اختفاء القراصنة لمدة عامين من منطقة الخليج ولكن سرعان ما عاد القواسم مرة أخرى عام "١٨١١" ولكن تحت شعار الجهاد، وقرروا تخطى مرحلة الإقليمية والإغارة على ممتلكات بريطانية حتى وصلوا إلى الساحل الباكستاني ومهاجمة السفن البريطانية على بعد ٦٠ ميلا من بومباي. وقد أحس البريطانيون بقوة القواسم عقب تحالفهم مع الوهابيين وتجنبوا منذ البداية التعرض للوهابيين، ولما فشلت رحلة السيد بروس للتفاهم معهم عام "١٨١٦" تقرر وبشكل جدي استخدام القوة للتخلص نهائيا من القواسم. وفي عام "١٨١٨" كانت بريطانيا قد تمكنت من إخضاع اتحاد المهراتا بعد حرب طاحنة في شبه الجزيرة الهندية عام ١٨١٨ ووضعت اختيارات وبدائل القضاء على القواسم. وكان أهم هذه الاختيارات هو الاكتفاء بتدمير مراكز القرصنة وعدم التدخل في الشؤون السياسية إلى قائل بضرورة رسم خريطة جديدة للخليج.

وفي أبريل عام "١٨١٩" استقر الرأي على المبادئ الآتية:

١. احترام الأوضاع السياسية الداخلية في الخليج فلا تتدخل بريطانيا لصالح أحد الرؤساء إلا إذا طلب منها ذلك.

٢. لا يجب على الهند تشجيع الأتراك على بسط نفوذهم في منطقة الخليج بعد أن استولى إبراهيم باشا على نجد وجميع البلدان التابعة للوهابيين. وعلى ضوء هذه القرارات خرجت حملة بحرية كبرى من بومباي في ٣ نوفمبر سنة "١٨١٩" لتنفيذ التوصيات، ووصلت الحملة إلى هدفها الأول في رأس الخيمة في أوائل ديسمبر سنة "١٨١٩" بتدمير قوة القواسم ووقعت معاهدة مع شيخ القواسم صالح بن صقر جاء فيها:

(أ) يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن الحربية الموجودة في رأس الخيمة أو في الشارقة وأبو ظبي.

(ب) يتعهد الإنجليز بألا يدخلوا أحياء القبائل بغرض تخريبها.

(ج) يرد العرب مالديهم من أسرى من الرعايا البريطانيين، ورغم ذلك لم يكن فى وسع بريطانيا أن تحتفظ بسيطرتها على دويلات الخليج ومنتجاتها من غير أن تحول دون امتداد نفوذ الدول الكبرى الواقعة فى المنطقة. ولم تلق بريطانيا أمامها سوى فارس ومصر، وبالنسبة للأولى كانت لا تملك أية قوة بحرية واكتفت بريطانيا معها بالمناورات السياسية لإبعادها عن أى توسع وبقيت قوة واحدة كانت تخشاها بريطانيا هى قوة مصر والتي وصلت فى عهد محمد على إلى منطقة الإحساء عام ١٨٣٨، وعلاقة المصريين بالمنطقة لم تكن جديدة، ففي عام ١٨١٨ تمكن محمد على من تدمير الدرعية والدولة السعودية الأولى واكتفى بالتدمير ورفض توقيع أية معاهدات مع الإنجليز لإنشاء إدارة منتظمة تحت سلطته معه واكتفى بالقضاء على الحركة الوهابية.. ولكن حدث أن ضم محمد على الشام إلى ممتلكاته فبدأت تراوده فكرة وضع العالم العربى كله تحت سلطته وكانت أولى الخطوات لتنفيذ ذلك المخطط هى طرد الحاكم السعودى فيصل بن تركى من عاصمته الرياض سنة "١٨٣٨" وبسط نفوذ مصر على جميع ما كان تحت سلطته، وكان ضمن هذه الممتلكات إقليم الإحساء الذى يحتل جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج، وزاد من خوف بريطانيا قيام خورشيد باشا باتخاذ ميناء القطيف مركزاً للاتصال بالإمارات العربية، الأمر الذى اعتبره الإنجليز تهديداً لسلامة خطوط الملاحة التى تربط بين بريطانيا ومستعمراتها بصفة خاصة وتهديداً للملاحة الأوربية بصفة عامة، وزاد هذا الخوف بعد أن تبين أن وجود قوة مثل قوة محمد على تستطيع أن تتحكم فى الخط البحرى الذى يربط السويس ببومباى والخط الذى يربط بين مرسيليا والإسكندرية وبذلك تقع الإمبراطورية تحت رحمة محمد على. وزاد من مخاوف بريطانيا ما حدث عام "١٨٣٥" عندما تمكنت بريطانيا من الحصول على فرمان من الخليفة العثمانى يتيح لباخرتين إنجليزيتين

الملاحة فى نهرى دجلة والفرات، هذا الفرمان زاد من أهمية الخليج وتجارته لصالح بريطانيا لأنه فتح أسواقاً تجارية جديدة كانت بمثابة مصرفٍ للمنتجات البريطانية فى آسيا الوسطى. لذا كان لابد من القضاء على الأطماع التوسعية لمحمد على وكانت أولى الخطوات التى تدل على زعر الإنجليز هى الترخيص للقائد العام للأساطيل البحرية باتخاذ كافة التدابير التى راها فى الصالح البريطانى. وقامت قوة بحرية برئاسة القائد العام لأساطيل السير متلند على رأس قوة بحرية لتهديد كل من يجرؤ على تحدى بريطانيا، ورخصت له باستعمال القوة وتواكب هذا الذعر البريطانى مع زعر الخليفة العثمانى وكراهيته لفتوحات محمد على. وتلاقى الخوف العثمانى مع الطمع الإنجليزى ومقابل التقرب من بريطانيا والوالى العثمانى فقد وافق الأخير على التنازل عن عدن ومحمياتها التى كانت بمثابة شوكة فى حلق بريطانيا، فهذه المنطقة تعود أهميتها إلى أنه فى حالة حدوث أى هجوم من ناحية الشمال سيكون الخليج العربى أحد أهدافه ومنه يمكن النزول إلى شواطئ شبه الجزيرة العربية وعزلها والالتفاف حولها وجعلها قاعدة للهجوم على شواطئ بجانب أن هذه المنطقة غنية ببترونها، لذا كان لابد من إقامة قاعدة بريطانية فيها. وقد تنازلت عنها الدولة العثمانية فى مقابل وقوف بريطانيا فى وجه محمد على.

ووقتها لم تكن الدولة العثمانية تعرف أن غزو عدن سوف يتيح لبريطانيا تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إنجليزية. وفى عام "١٨٢٩" وصلت البحرية البريطانية إلى الخليج للوقوف ضد توسعات "محمد على" ولم يجد الأسطول أية مقاومة من قبل قوات خورشيد باشا التى كانت لا تستطيع مواجهة القوة البريطانية، وكانت أولى نتائج هذه الزيارة البريطانية هى إعادة ترتيب أوضاع منطقة الخليج، وقامت بريطانيا بوضع استراتيجية جديدة تقوم على تفتيت القبائل والإمارات على أساس أنه كلما صغر حجم الإمارة كلما كانت بحاجة إلى الالتصاق والحماية البريطانية بالإضافة إلى انقطاع

وتحجيم قوات محمد على فى هذه النقطة. وفى عام "١٨٥٣" قامت بريطانيا بتنفيذ مخططها فى المنطقة بتوقيع اتفاقية سلام نظمت أسس علاقات بريطانيا بهذه المنطقة، هذه الاتفاقية وقعت بين بريطانيا وبين كل من سلطان بن صقر عن القواسم وخليفة بن شخبوط عن بنى ياس ومكتوم بن يوطى عن العجمان وعبد الله راشد عن أم القوين وسيف بن راشد وسعيد بن راشد عن أبو ظبى وتعهدوا جميعا على احترام معاهدة "١٨٤٣" والتي كانت شروطها:

١. تحريم أى اشتباك بحرى مسلح ابتداءً من يونيو سنة "١٨٤٣" لمدة عشر سنوات.
٢. فرض عقوبة على كل من يخالف هذا الشرط بمجرد أن يبلغ نبأ الاعتداء إلى أحد الرؤساء.
٣. قبل توقيع أى عقوبة يتعهد الرؤساء العرب بنقل مضمونها إلى المقيم العام.
٤. فى نهاية العشر سنوات يتعهد الرؤساء العرب ببذل ما فى وسعهم لمد هذه الهدنة أو جعلها دائمة.

ولكن شهر العسل بين بريطانيا وتركيا لم يدم طويلاً، فطوال السنوات السابقة كان هذا الجزء من العالم العربى لا يدخل ضمن اهتمام تركيا، فقد كان مهملاً حتى عام "١٨٦٩" وهو العام الذى شهد حادثين هامين؛ الأول: هو تولى "مدحت باشا" ولاية بغداد وكان من دعاة الإصلاح فى الدولة العثمانية وكان طموحاً فأراد ترتيب أوراق المملكة العثمانية مرة أخرى فى المنطقة.. والحادث الثانى: هو فتح قناة السويس للملاحة البحرية، وقتها اكتشفت تركيا أن هذا الطريق يبسر للأسطول التركى العبور إلى البحر الأحمر والخليج الفارسى وصولاً إلى الأستانة بالبصرة مباشرة.





3

غزو أفريقيا يبدأ من سيناء



وبافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية وتحجيم القوة العسكرية المصرية بدأت صفحة جديدة من صفحات الاستعمار الأوروبى بصفة عامة والبريطانى بصفة خاصة، ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن فتح قناة السويس للملاحة البحرية كان هو السبب المباشر فى إقامة إسرائيل على أرض فلسطين والاستعمار الأوروبى فى أفريقيا. ساهمت فى ذلك عوامل خارجية ليس للمصريين والأفارقة دور فيها. فهذه القارة السمراء ظلت لقرون خارج دائرة اهتمام الاستعمار واتجاه المستعمر الأوروبى إلى الأمريكتين لاستيعاب الفائض من المنتجات والذى ظهر مع الثورة الصناعية. وكانت بدايات الاستعمار الأوروبى مع أفريقيا مجرد نواة من التنافس بين الدول الأوروبية صاحبة الأساطيل التجارية على احتلال مواقع محددة ونقاط ارتكاز على امتداد السواحل الأفريقية من أجل خدمة حركة التجارة المتزايدة من الشرق والهند بالذات عن طريق رأس الرجاء الصالح. وقد تحملت هذه المواقع مسؤولية حماية تحركات السفن على امتداد وقت طويل وكانت محطات خدمة السفن هى النواة الأولى لما عرف فيما بعد باسم الاستعمار الإستراتيجى. ومع بدايات القرن التاسع عشر تغيرت طبيعة محطات خدمات السفن وأصبحت مراكز تجمع لتجارة العبيد وتصديرهم إلى أمريكا لمواجهة الطلب المتزايد على الأيدي العاملة للعمل فى الزراعة. وقد ظلت علاقة الاستعمار الأوروبى مع أفريقيا علاقة محدودة لا تقوم على مفهوم الاستعمار الاستيطانى، وهو نوع من الاستعمار يقوم على الإقامة الدائمة وتغيير الهيكل التنظيمى للمجتمع وبنيته الاجتماعية.

ولكل حدث أمر هام عدل من نظرة الأوروبيين إلى أفريقيا وجعل الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها إلى حد الصدام للفوز بأى مستعمرة فى أفريقيا، والأمر الذى عجل بتغيير نظرة الأوروبيين إلى أفريقيا هو قيام الثورة الأمريكية وغلغ أسواقها فى وجه الأوروبيين وذلك بسبب عدة إجراءات اتخذتها إنجلترا فى وجه المستعمرة الجديدة فالنظرة البريطانية للمستعمرة كانت أنها مجرد مورد تمويل للوطن وأن أى إجراء يتخذ ضدها هو إجراء طبيعى. وكانت بريطانيا قد خرجت منتصرة من حرب السنوات السبع مع فرنسا والهند، وكلفها ذلك نفقات باهظة. وقتها بدأ جورج الثالث ووزراؤه يتلفتون من حولهم باحثين عن طرق ووسائل يمكن منها الحصول على مال لسداد الدين العام الكبير ولتغطية نفقات وفتح المستعمرات الكبرى إذ بلغت المساحة الاستعمارية البريطانية أربعة ملايين و٧٥٤ ألف ميل مربع يسكنها ٨٨ مليون نسمة. وتحول وادى النيل كله من البحيرات الكبرى من وسط أفريقيا حتى البحر الأبيض المتوسط واقعا تحت السيطرة البريطانية. هذه المساحة من المستعمرات كانت بحاجة إلى نفقات وتواكب مع خروج بريطانيا من حروبها ضد فرنسا.

وجد المستعمر البريطانى ضالته المنشودة فى المستعمرات الأمريكية لتكون مورداً لسداد الدين. وبدأت بريطانيا خطوات استفزازية مع المستعمرة الجديدة، كانت أولها إرغام المستوردين على ألا يصدرُوا بضاعتهم إلا على سفن إنجليزية يعمل عليها بحارة إنجليزية كما تمنع تصدير البضائع لغير الموانئ الإنجليزية. وهى فكرة كانت تتماشى مع النظرة الأوروبية عن الغرض من إنشاء المستعمرات وجاء القرار صدمة للمستوطنين الذين أحسوا بالحيرة والاختناق وخاصة أنهم قد أوجدوا لأنفسهم نظاما للحكم الذاتى ومارسوا قوة ابتكار فى تنظيم شؤونهم وصياغة حضارتهم الخاصة بهم. وصار المستوطنون أكثر اعتمادا على أنفسهم وخاصة أن الملك ووزراءه لم يكن لهم مصلحة فى المستعمرات ولا يعنون بأمرها، لذا فقد نما على الجانب الآخر من الأطلسى شعب جديد كانوا برغم ولائهم للتاج البريطانى يضعون تفسيراً خاصاً للدستور الإنجليزى لذا فقد أصيبوا بالحيرة من القوانين والفرمانات التى كان يصدرها القصر وخاصة أن إنجلترا

كانت لا تتقاضى ضرائب من كندا وأستراليا وغيرها من الدول الأعضاء في الكومنولث البريطاني بل إن الضرائب كانت تفرض في هذه المستعمرات بقوانين تصدرها المجالس النيابية والجمعيات المختلفة في هذه البلاد. هذه المفارقة في التعامل بين المستعمرات جعلت المهاجرين الجدد يعلنون ثورتهم ضد التاج البريطاني ويحصلون على استقلالهم بموجب معاهدة الصلح في ٣ سبتمبر سنة "١٧٨٣" ومع إعلان مبدأ مونرو وهو مبدأ عدم التدخل في صراعات العالم القديم أو أى صراعات إلا من أجل مصالح التجارة الأمريكية.

وبقيام الثورة الأمريكية وغلق أسواقها أصيب الوطن الأم بأزمة حقيقية تمثلت في غلق سوق للمنتجات ووقف وصول المواد الخام، وأصبح رأس المال يضغط على القصر لإيجاد سوق جديد كبديل للسوق التي أغلقت، لذا فقد ولى الإنجليز وجههم شطر أفريقيا لمواجهة الطلبات المتزايدة لثورتهم الصناعية وتابع الإنجليز باقى الدول الأوروبية وشهدت أفريقيا صراعاً عنيفاً بين الدول الأوروبية للحصول على أية مساحات من أراضيها وكادت أن تحدث حروب بين هذه الدول. الأمر الذى حرك ملك بلجيكا إلى الدعوة لعقد مؤتمر بين الدول الأوروبية الكبرى من أجل تنظيم خطة الاستكشاف وتوزيعها بين الدول الأوروبية المختلفة، ومع تزايد الصراع بين الدول السابقة لجأ كل منهم إلى وسائل لتدعيم وجوده فى القارة الجديدة. ورأت إنجلترا أن الحل الأمثل للحفاظ على قوتها ومستعمراتها هو غلق كافة المنافذ المؤدية إليها، لذا فكان لابد من تحويل البحيرات والممرات الموجودة فى العالم القديم تحت يدها. وكان افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية كشرى مائى أسهل الوسائل فى يد بريطانيا للحفاظ على مستعمراتها فى الهند وفى أفريقيا، لأن أفريقيا، بطبيعتها الجغرافية أشبه بالقلعة المنعزلة إلا أن أبوابها السرية على ندرتها قد تسمح بالدخول إليها؛ وأهم هذه الأبواب شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر، وهما اللذان تسرب منهما الاستعمار القديم. وأما غير هذين البابين فلن يجد المستعمر طريقاً للدخول فكافة المنافذ الأخرى عبارة عن سلاسل من المرتفعات الضخمة ذات التدرج الوعر تقوم على ساحلها الضيق ذى المعالم الغامضة، باعتبارها البوابة

الوحيدة إلى المستعمرة الجديدة. وكانت القوة المصرية أيام محمد على تخشى ويعمل حساب لها بين قوات العالم القديم وظل الإنجليز منتهزين فرصة تواتهم لغزو مصر فى عام ١٨٧٨. وعندما كانت حكومة الخديوى على وشك التوقف عن دفع الديون لحاملى الأسهم فى القناة تخلى الإنجليز عن مبادئهم القديمة القائمة على فكرة أن الرعايا الإنجليز الذين يستثمرون أموالهم فى دولة أجنبية إنما يفعلون ذلك على مسؤوليتهم الخاصة. وتحت شعار تحصيل الدين المستحق للرعايا البريطانيين غزت إنجلترا مصر وهزم أحمد عرابى فى موقعة التل الكبير فى "١٣" سبتمبر "١٨٨٢". ولما كان الاستعمار الإنجليزى هو استعمار استيطانى فى المقام الأول، فكان لابد أن يتفرع منه استعمار استراتيجى حتى لا تضيق منه مستعمرات جديدة مثل المستعمرة الأمريكية، فكان لابد من منع أى محاولة لقيام أى قوة مصرية وعربية. وبخبرة السنين عرف الإنجليز أن أمن مضر يبدأ من الشام وأن المصريين دائماً حققوا انتصاراتهم خارج أراضيهم لأنهم عرفوا ومنذ البداية أن أمنهم يبدأ من عند سوريا. ولما كانت فلسطين ثغرة بين تركيز القوة السياسية والحضارية فى كل من وادى النيل فى مصر وأراضى النهرين فى العراق، أى أنها كانت دائماً فاصلاً بين العربى الأفريقى والعربى الآسيوى، وبافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية تحولت مصر من أهم قاعدة عربية إلى أهم قاعدة بحرية فى العالم، وعرف البريطانيون أن خط الدفاع الأول عن القناة - البوابة الوحيدة لأفريقيا - يبدأ من فلسطين، تلك الثغرة بين سوريا ومصر ولحماية هذه البوابة السرية كان لابد من زرع جسم غريب داخل الجسم العربى الموحد، ذلك الجسم هو مزرعة الخنازير المسماة بإسرائيل. ولتبرير زرع هذا الجسم بدأ الاستعمار يروج لفلسفة غريبة تقوم على أن بلاداً لها مثل هذه الأهمية لباقى دول العالم لا يمكن أن تكون مستقلة لأهميتها لكل الدول الاستعمارية.

وحتى لا تتأجأ بريطانيا بثورة جديدة مثل الثورة الأمريكية فى أفريقيا ولضمان السيطرة على البوابة السرية لأفريقيا كان لابد من أن تقيم بريطانيا دولتين جديدتين فى الوطن العربى. الأولى كانت دولة آل سعود على الأراضى الحجازية والثانية دولة اليهود

ويتمتع الدول المتاخمة ببحر الشمال بحلاصة التجارة وترويضها ويسلم

التيان إلى مجازاة لخدمة .
مادة ٢ - تعهد الدول المتاخمة بالتجارة البحرية وتجاه المياه العميقة .
والتيان والأحواض الخاصة بالتجارة البحرية .

مادة ٤ - بما أن التجارة البحرية تظل في زمن الحرب طريقا حرا ولو كان ذلك كره السخط البحرية التابعة للدول المتحاربة عملا بتجارة الأورلة من هذه الاتفاقية ، قد اعتقدت الدول المتاخمة على عدم جواز الاستئصال أي حق من حقوق الحرب أو اتيان أي فعل عدائي أو أي عمل من جنائنه يتطابق حرية الملاحة في التجارة أو في الموانئ التي يمسكها إليها أو في دائرة نصف قطرها ثلاثة أميال بحرية من هذه الموانئ، حتى ولو كانت الدولة المتاخمة إحدى الدول المتحاربة .

ويستجيب عن التوزيع البحرية للدول المتحاربة أن يتأخر داخل التجارة أو في الموانئ الأورلة إليها عمليات التفتيش أو التفتيش إلا بقدر الضروري جدا . ويجب مبرود السفن المذكورة في التجارة في التفتيش ومن يمكنه وقتلها والاتطية للسفون بها ولا يجوز لها التوقف إلا لمرور في وقتها معطلة العمل .

٧ - يجوز أن يزيد مدة تفتيشها في بورد سفيد أو في خليج السفوس على ٢٤ ساعة فقط في حالة التوقف الجبري ، وفي الحالة يجب عليها الرجوع في أقرب فرصة ممكنة . ويجوز أن تعفى فترة ٢٤ ساعة بين خروج سفينة متحاربة من أحد موانئ السفول وبين قيام سفينة أخرى تابعة للدول المتاخمة .

مادة ٥ - لا يجوز في وقت الحرب للدول المتحاربة أن تعلق أو تنزل في التجارة أو التزوية أو في أيها جيوغرافيا أو معدات وأدوات بحرية . غير أنه في حالة حدوثها تلحق طابع التجارة في السفن الأخرى كركوب أو تزول الجوهري في التزوية المدخول على سفنك بحيث لا تدمر السفينة الواحدة التي تحمل مع السفن البحرية الخاصة بهم .

مادة ٦ - تخضع السفن في جميع الأحوال النظام نفسه للامسوح للسفن البحرية التابعة للدول المتحاربة .
مادة ٧ - لا يجوز للدول أن يتخذ سفنا بحرية في مياه التجارة بما في ذلك تجارة التمساح والتميرات البرية . ولكن يجوز للسفن البحرية أن توقف

التأقفة ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨
الخاصة بضمون حرية استعمال قناة السويس البحرية

إن رؤساء الدول الأربع : بريطانيا ، النمسا ، المجر ، وإيطاليا ، فرنسا ،

اعتمدت تركيا ثمانية من مصر هذه الاتفاقية مع الدول الأوربية ، إلا أن مصر كانت جارية للاتفاقية في ذلك الوقت وقد استقلت مصر عن المرات المتتالية في سنة ١٩١٤ وحلت محل تركيا في الحقوق والإجراءات المذكورة في تلك الاتفاقية وذلك دائما لبقاء الأثرات الدول في القانون الدولي .

وغيرية منهم في إبرام اتفاق أيضا بينهم تخاض بوضع نظام نهائي لضمان حرية جميع الدول في استعمال قناة السويس في كل وقت وفي كعمل نظام التزويد في التجارة المذكورة التزود بمتفقى الوضمان المتساوي من الجانبين على تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٨٦٧ في القعدة سنة ١٢٨٢) والتيه للشروط التي وضعها سمو الخديوي قد عينوا ممثلين لهم المذكورين بعد الذين اتفقوا بعد تقديم أوراق الإصماف والتفتيش من صحفها ، على الشروط التالية :

مادة ١ - تظل قناة السويس البحرية بحرية دائمة حرة ومفتوحة في زمن السلم ، كما في زمن الحرب ، لجميع السفن التجارية والبحرية بدون تمييز بين جنسياتها .

ويطلب على ذلك قد أرفقت الدول العظمى المتاخمة ببحر الشمال أي سفن بحرية لاستعمال القناة ، سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب .
ولن تكون القناة مغلقة باستعمال حق الفصل البحري .

مادة ٢ - تقرر الدول المتاخمة ، نظرا إلى أهميتها لزوم قناة المياه العميقة وترويضها لقناة البحرية ، أنها تحافظ على صيغتها حسن التعمير قبل شرح قناة السويس العمالية أيضا بحيثين بقناة المياه العميقة بوهي الصيغات المتفق عليها في الاتفاق المبرم بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٨٦٢ ، والتشمل على ديتاجة وتوزيع موانئ .

على فلسطين. وقام كل من أسرة آل سعود واليهود بمهام محددة لخدمة المشروعات الاستعمارية البريطانية فى أفريقيا حتى لا يستطيع أى منصف أن ينكر أن عرش وملك آل سعود كان مهره وثمره أرض فلسطين. أما عن تفاصيل الدور الذى قام به اليهود لحماية البوابة السرية لأفريقيا، ودور آل سعود لتسهيل مهمة بريطانيا فى زرع الجرثومة اليهودية فى الجسم العربى فهى التى سوف نتعرف عليها من خلال الفصلين القادمين.

.....

لماذا اختار الأنجليز اليهود تحديداً ليزرعوههم على أرض فلسطين كقاعدة بشرية تهدد أمن مصر وتقطع الصلة بين العربى الأفريقى والآسيوى ولتحمى قناة السويس البوابة السرية للقارة الأفريقية، وهذا الاختيار هل كان بدافع انسانى أم كانت هناك صفقة مشبوهة عقدت بين الإنجليز وقادة اليهود؟ والإجابة عن مثل هذه التساؤلات تجعلنا نفوس فى أعماق التاريخ البعيد منذ نجاته نبي الله موسى حتى استقرار اليهود فى الأحياء الأوروبية المعروفة باسم الجيتو ثم ثورة المسيحيين والمطالبة بتخليص أوروبا منهم، حيث تزامن ذلك كله مع المشروع البريطانى بضرورة استيطان قاعدة بشرية لتحمى قناة السويس وظهور الصهيونية العالمية ودعوتها بضرورة البحث عن وطن لليهود فى أى مكان فى العالم بعد ثورة المسيحيين بسبب أعمالهم وتصرفاتهم، واليهود لديهم شعور بالتمايز والاختلاف عن الآخرين أدى إلى اعتناقهم فكرة النقاء العنصرى. وهذا بدوره كان راجعاً إلى تصورهم عن الله عز وجل، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وشعوب العالم فى مركز منحط يطلقون عليهم كلمة الأممين وأن يهوه إله شعب إسرائيل قد أكد تمييز اليهود عن باقى البشر، فقد قال "تميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده". ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فهى مأوى الكفار. وبما أن اليهود جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، لذلك فقد جاء فى التلمود "أنه إذا ضرب أسمى إسرائيلياً فالأسمى يستحق الموت". وقد صور التلمود غير اليهود بأنهم حيوانات فى صور إنسان، وهم حمير وكلاب

وخنازير بل الكلاب أفضل منهم "وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم". والربا محرم فى اليهودية فقد قال النبى نحميا فى الإصحاح الخامس من كتابه: "أنى يكبت العظماء والولاة وقلت لهم أنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه" والمقصود هنا بإشارة نحميا أن الربا المحرم هو الربا الذى يأخذه الإسرائيلى من أخيه لأن الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى مباح. والإصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية صريح فى إباحة أخذ الربا من الأجنبي حيث يقول مخاطبا شعب إسرائيل: "وللأجنبي تعرض بربا ولكن لأخيك لا تعرض بربا لكى يبارك العمل فى كل ما تمتد إليه يدك". هذه كانت عقيدة اليهود فى المعاملات الاقتصادية، أما عن عقيدتهم الحربية فالأسرى يعاملون كالطريدة من الحيوان. فالإصحاح العشرون من كتاب التثنية يقول: "حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبده لك وإن لم تسلمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإن دفعها الرب العمل إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهاائم وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فاغتمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب العمل هكذا تفعل جميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست مدن هؤلاء الأمم هنا أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً". أما عن علاقة اليهود بباقى الشعوب وباقى الخلق فهو ما نتعرف عليه من سفر التكوين حيث زعم أن إسرائيل سأل إلهه قائلاً: "لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختارة؟" فأجابه قائلاً: "لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم". هذه الأكاذيب اليهودية عن المعاملات المالية والعلاقة بين الآخرين كتبت كلها فى التيه. ولعل أخطر أكاذيب اليهود هى الأكذوبة المنسوبة فيه العودة إلى فلسطين إلى وعد إلهى، فعندما تمكن رمسيس ومن بعده ابنه بنفتاح من تخلص مصر من سيطرتهم وأنقذهم سيدنا موسى وأخوه عبر بهم البحر ظلوا هناك فى التيه أربعين عاماً وعندما أرادوا العودة مرة أخرى كتبوا فى سفر التكوين الإصحاح ١: ٩ - ٦.

وقد جاء في السفر: "اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابرا الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكثر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء قوماً وطولاً وبنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بنى عناق فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة وهو يبدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً، كما كلمك الرب لا تفعل في قلبك حين يتغيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل كلى يعنى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صك الرقية". هذا التزوير والزيف "لله" أصبح عقيدة لليهود يتحركون بها وأصبحت هذه المبادئ استراتيجيتهم، لذا فعندما وصلوا عام ١١٨٦ ق.م إلى بلاد الأردن بقيادة "يوشع بن نون" عبروا النهر واستولوا على المدينة ونهبوا أموالها واختاروا شاول ملكاً لهم ولكن فى عام ٥٩٧ ق.م أغار عليهم بختصر ملك الكلدانيين على مملكة يهودا واستولى على اورشليم وأحرقها ودمر هيكل سليمان وأخذ معه خمسين ألفاً من اليهود كأسرى إلى بابل وفى عام ٥٣٨ ق.م سمح كورشى الفارسى لسبايا اليهود بالعودة إلى ديارهم فعاد القليل وفضلت الغالبية البقاء فى المنفى. وفى عهد الحاكم الرومانى "هاو ريان" تكرر مشهد غدر اليهود فبعد أن مكنتهم وأبعدهم عن الاضطهاد توغلوا فى البلاد مرة أخرى وأرادوا الثورة عليه، فما كان منه إلا أن قتلهم وفرت الغالبية العظمى منهم إلى قلعة على قمة البحر الميت. وكانت بها حامية رومانية وطالبوا قائد الحامية بالاستسلام مقابل عدم قتله، ولكنهم بمجرد أن استسلم القائد قاموا بقتل كل الرومانيين، الأمر الذى أثار نائرة الرومان، وطاردوا اليهود وقتلوا كل من فى القلعة وفرت البقية الباقية منهم إلى مملكة الخرز فى روسيا واعتنق بولان ملك الخرز الديانة اليهودية فى عام ٤٧٠ ميلادية وتبعته حاشيته وأصبحت اليهودية هى الديانة الرسمية للمملكة ولكنه حلم لم يدم طويلاً فقد غزت الدولة البيزنطية المملكة والتي كانت تسمى كارزیه عام "٩٦٩" وتفرق اليهود فى كل أوروبا. وبتفرقهم قررت أوروبا الحيطه والحذر منهم بسبب عقيدتهم وأطماعهم وأصدرت الكنيسة عام ١١٧٩ فى مؤتمر لاتيران الثالث توصيات بفصل المسيحيين عن اليهود وكانت حكومة فينسيا أول من طبق

هذا القرار حيث صدر قرار بإيداع اليهود الموجودين بالمدينة فى حى المسبك القديم والذى عرف فيما بعد باسم الجيتو. وهو حى كان يوجد على أطراف المدينة، وقد روعى فى تأسيسه أن يكون محدد المساحة محاطاً بأسوار عالية تفتح أبوابه فى الصباح وتغلق بالليل ويحظر على أى يهودى التواجد خارج الجيتو، ولا يسمح لأى مسيحي بالتواجد داخله. وإذا أراد يهودى الخروج إلى خارج الجيتو فعليه أن يرتدى علامات وإشارات تحدده بحيث يتعرف الناس عليه فكانت شارة حمراء وقبعة حمراء فى إيطاليا وفى ألمانيا كانت شارة صفراء وكانت الحكومات الأوروبية جميعاً متفقة على عدم منح اليهود أية مساحة لتوسيع الجيتو فأصبح اليهود يواجهون الزيادة السكانية بالتوسع الرأسى الأمر الذى سبب انهيارات المنازل على رؤوسهم وتحولت أفراحهم إلى مآتم. وهذا السجن سبب لليهود إحساساً بالاضطهاد، فكانوا على استعداد تام لتنفيذ مطالب أية دولة فى مقابل تخليصهم من هذا السجن، خاصة بعد مقتل القيصر اسكندر الثانى فى روسيا عام ١٨٨١. وحامت الشبهات حول اليهود فاندلعت عاصفة من ذبح اليهود، زاد من تأكدها تكرار نفس الحادث فى فرنسا حيث اتهم الفريد دريفوس الضابط بالمدفعية الفرنسية بالتجسس وبيع الوثائق لصالح ألمانيا وقدم إلى المحاكمة وتمت إدانته، وثارت ثائرة الفرنسيين وطالبوا بطردهم من فرنسا. وهكذا كان حال أوروبا واليهود فيها قوماً غير مقبولين من أى شعب، وقتها كانت الإمبراطورية البريطانية قد توطدت أقدامها فى البلدان العربية ولكن شعوبها دائماً فى حالة ثورة. وقتها قدم اليهود أنفسهم على أنهم يمكن أن يكونوا مندوباً عنهم وقطعة مرتبطة بها أبقى لها من أى جيش مسلح، فإذا غطت إنجلترا مصلحتها فى وجود هذا الجسم الغريب فى الجسم العربى بغطاء إنسانى شفاف هو الرغبة فى حل المشكلة الأوروبية وحل مشكلة اليهود، فإذا تحقق ذلك تحول كل يهود العالم إلى عملاء لها بأموالهم وانتشارهم فى أوروبا، وهكذا استطاع الإنجليز مزج أهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات تبدو إنسانية. وكانت أولى الخطوات عام ١٩١٤ عندما كتب حايم وايزمان إلى صديقه رئيس تحرير المانشيستر جارديان شارحا الخط الصهيونى والتي جاء فيها: " من الممكن الآن أن نقول أنه إذا وقعت فلسطين فى دائرة النفوذ البريطانى وإذا شجعت إنجلترا بعد ذلك توطن اليهود هناك، مستعمرة بريطانيا

فإننا نستطيع أن نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالى مليون يهودى فى تلك البلاد فيطورونها وينقلون الحضارة إليها ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس". وبتلك الرسالة حدد الطرفان شروطهما فكانت الطلبات اليهودية هى تسهيل استيطان اليهود فى فلسطين فى مقابل استمرارهم فى خدمة مصالح إنجلترا بحراسة قناة السويس لحسابهم، وفى مارس ١٩١٥ بدأت بريطانيا تتخذ الخطوات الرسمية لتنفيذ زرع اليهود فى فلسطين فأرسل سير إدوارد جارى وزير الخارجية إلى سير إدوارد بوكانان سفير إنجلترا فى سان بطرسبورج عاصمة روسيا القيصرية فى ذلك الوقت مذكرة يشرح فيها رأى الحكومة البريطانية فى العلاقة بين فلسطين والصهيونية. وقد رد الروس على المذكرة بالموافقة بشرط المحافظة على مصالح الكنيسة الروسية فى الأراضى المقدسة وقد عين فى نفس السنة "مارك سايكس" مساعداً لوزير الحربية البريطانى وأصبح الشرق الأوسط داخلاً فى اختصاصه وبعد وصول مذكرة سير إدوارد جارى إلى سان بطرسبورج بقليل وصل سايكس إلى العاصمة الروسية والى انتهت باتفاقية "سايكس - بيكو"، المعروفة فى التاريخ العربى وقد أقتع مارك سايكس جورج بيكو وزير خارجية فرنسا بأهمية إعطاء الصهيونية حق إقامة وطن قومى فى فلسطين وانتهت الاتفاقية بتسليم فلسطين إلى إنجلترا دون البت فى مسألة منح اليهود حق إقامة وطن لهم فى فلسطين، ولكن بعد تشكيل الوزارة الجديدة فى بريطانيا بشهرين عقد فى منزل "موسى جاستر اليهودى" لقاء بين مارك سايكس وهربرت صموئيل وحاييم وايزمان وهارى ساشر، وقد تكلموا فى ضرورة إعطاء اليهود صفة قومية ووضعاً رسمياً فى فلسطين مع منح نفس القومية لكل يهود العالم دون أن يكون لها أثر على وضعهم فى بلادهم من الناحية السياسية، كما طالبوا بإباحة الهجرة إلى فلسطين دون قيد، ورد سايكس أن هناك بعض الاعتبارات التى قد تحول دون تحقيق هذه المطالب كلها فروسيا مترددة والعرب سوف يعارضون وفرنسا ما زالت ترى أن تكون "سوريا الكبرى" كلها من نصيبها بعد الحرب بما فيها فلسطين. وكان الرد اليهودى أن الكيان الذى سيولد سيكون جزءاً من الإمبراطوية البريطانية وحارساً مضموناً لها فى المنطقة. وبدأ الطرفان مساعيهما لحل العقبات التى تواجه تنفيذ الحلم.

وحل اليهود مشكلة روسيا بالموافقة على مبدأ إقامة هيئات دولية تشرف على الأماكن المقدسة، فبقيت فرنسا التي تطلب سوريا كلها بما فيها فلسطين ثم إيطاليا التي يوجد فيها نفوذ البابا المسيحي. وفي ٨ فبراير ١٩١٧ رتب سايكس لقاء بين سوكولوف وزير خارجية روسيا وجورج بيكو وزير خارجية فرنسا بمقر السفارة الفرنسية بلندن. وقال سوكولوف: الصهيونيون يعتقدون أنه من المهم جدا لمصالحهم أن تكون إنجلترا هي التي تشرف على فلسطين بعد الحرب ونجح سوكولوف في كسب جورج بيكو ولكن بقي أن يكسب ثقة الوزارة الفرنسية التي كان معظم أفرادها يتمسكون بضرورة استيلاء فرنسا على سوريا الكبرى كلها.

وفي مارس سافر سوكولوف مع سايكس إلى باريس حيث تمكن حاييم وايزمان من إقناع أسرة روتشيلد اليهودية وأغنى الأسر في فرنسا على الإطلاق بضرورة التدخل بكل نفوذها وثقلها المالي للضغط على الوزراء والحكومة الفرنسية وعندما سافر سايكس إلى إيطاليا لإقناع البابا عاد مرة أخرى إلى فرنسا ليجد "جول كامبون" سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية يسلمه بياناً بإعلان تأييد الحكومة الفرنسية لمطالب اليهودية "الصهيونية" وأصبحت بذلك روسيا وإيطاليا وفرنسا. وهكذا أعلن بلفور في نوفمبر ١٩١٧ وعده الشهير في صورة كتاب إلى روتشيلد. وكانت رسالة بلفور إلى روتشيلد نصها كالاتي: "يسرني أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحبة الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانى اليهود والصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته وأن حكومة صاحبة الجلالة لتتظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية". وقد احتوت الرسالة على مفهومي أساسيين الأول تأييد إنجلترا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والثاني تعاون إنجلترا مع اليهود لتحقيق هذا الهدف. وبعد مرور شهرين على هذا الوعد في ٧ ديسمبر من العام ذاته استولت قوات الحلفاء على بيت المقدس وسلم ورئيس البلدية العربي مفاتيح المدينة إلى قائد فرقة الستين، وفي "٩" ديسمبر سار الجنرال للنبي في المدينة المقدسة بصحبة ممثلي قوات التحالف وأعلن قيام إدارة عسكرية باسم الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة ودخلت فلسطين في تلك الإدارة، وكانت سوريا الداخلية

حتى العقبة إدارتها عربية وعلى رأسها فيصل بن الشريف حسين، أما لبنان وسواحل سوريا فجعلت لفرنسا. وقد اتضح من هذا التقسيم نية الحلفاء في توزيع التركة وتنفيذ وعد بلفور، وعندما أرسل فيصل إلى النبي يعلمه عن عجزه كبح جماح العرب ما لم يصدر بياناً رسمياً عاجلاً يوضح فيه نواياهم. وأصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية في ٧ نوفمبر ١٩١٨ بياناً جاء فيه أن غرضهما هو التحرير التام للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها وإقامة حكومة قومية فيها. وفي هذه الأثناء حرصت بريطانيا على جعل إدارة فلسطين في يدها هي فقط، وقد شعر العرب منذ بداية تأسيس الحكم العسكري بخطرهم؛ الأول هو شعورهم بالانفصال عن الوطن الأم سوريا، والخطر الثاني مخاوفهم الشديدة الناجمة عن تصريح بلفور، وفي ذلك الوقت تحديداً لم يكن في فلسطين جهاز سياسي وطني ولا منظمات ولم يكن لعرب فلسطين من يتكلم باسمهم في بداية الاحتلال العسكري سوى الشريف حسين. وحرصاً من بريطانيا على أن تجعل تصريح بلفور أمراً نافذاً فقد وافقت على إرسال بعثة صهيونية برياسة وايزمان إلى فلسطين، وكانت لها مهمة محددة وهي أن تكون حلقة الوصل بين السلطة البريطانية ويهود فلسطين وأن تقوم بمساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين وتجديد المستعمرات وتطويرها وتنظيم اليهود بشكل عام، وأن تدرس إمكانية وضع خطة لتأسيس جامعة يهودية، وفي ٨ مارس ١٩١٨ رحلت أول بعثة صهيونية إلى فلسطين برئاسة وايزمان وقد استقبلها الملك جورج الخامس وأظهر له اهتماماً عظيماً بمشروعات الصهيونية وتمنى له النجاح في مهمته. ووصلت البعثة إلى يافا في ٤ أبريل ١٩١٨ ورحبت السلطة العسكرية بأعضائها وحل وايزمان ضيفاً على اللورد النبي وأعطيت لها كافة التسهيلات في تنقلاتها لتقديم المساعدة لليهود وتلقى الإعلانات المالية من الولايات المتحدة وبريطانيا والقيام بما تراه من التحريات والتدخل المباشر الصريح وعمدت اليهود مظاهر الفرح إثر دخول البعثة فلسطين. وفي ٢٧ أبريل ١٩١٨ أتيح لوايزمان فرصة مبكرة للتمهيد لغرض الزيارة عندما أقام الكولونيل ستورس حاكم القدس مأدبة عشاء دعا إليها النخبة الموجودة في فلسطين، ووقف الحاكم العام فقال أنه بالنظر إلى سوء الفهم والمخاوف المستفحلة عند العرب بشأن الصهيونية أنتهز فرصة وجود الوفد الصهيوني في القدس

ليتيح لوايزمان الفرصة لبسط مقاصد الصهيونية وأغراضها. ووقف وايزمان ليقول أن اليهود يعودون إلى الماضي ليصلوا الماضي بالحاضر من أجل إعادة خلق مركز فكرى وأدبى، وأن هذا المظهر الروحي هو المعنى الحقيقي للوطن القومي. ولكن هذا الوطن يجب أن تكون له جذوره فى أرض فلسطين وأن يأخذ القوة منه، لذلك فقد حرص الصهيوينيون على خلق الظروف التى تجعل التطور القومى والروحي لليهود الذين يرغبون.

.....

فى يناير ١٩١٩ عقد مؤتمر الصلح فى فرنسا ولم يحضر أى ممثل من فلسطين وحضر الأمير فيصل نيابة عن أبيه الشريف حسين، ومن وقت وصول فيصل إلى باريس وبريطانيا تحاصره واستخدمت كل نفوذها لتجعل وضع وعد بلفور موضع التنفيذ وأن تكون هى الدولة المنتدبة. ووضعت فى وجه فيصل العراقيين وشتت عليه حرب أعصاب لكى يستسلم لها ورأى فيصل نفسه فى موقف حرج لأنه لا يستطيع أن يواجهها بمفرده فضلاً عن أنه يرى أصدقاءه البريطانيين يلاحقونه ويضغطون عليه لقبول الاقتراحات البريطانية. وكان والده قد طلب منه تعليمات محددة فى التعامل مع بريطانيا بشأن إلزامها بتحقيق وعدها، وقامت فرنسا من ناحيتها بالضغط عليه حتى فكر فى ترك المؤتمر، ولكن بريطانيا التى كانت قد رسمت منذ البداية مخطط توزيع التركة العثمانية واستطاعت الحصول على مذكرة من الأمير فيصل يقول فيها أن اليهود قريبون جدا من العرب، وليس هناك تعارض بينهم فى المبادئ لكن العرب لا يمكنهم المخاطرة بتحمل مسؤولية إدارة الأمور فى إقليم تتصادم فيه الأجناس والديانات وطالب بأن تتحمل إحدى الدول الكبرى المسؤولية وطالب بأن تقوم إدارة محلية تمثل سكان البلاد وتستطيع توفير الرخاء لهم. وقدم فيصل هذه المذكرة مقابل أن تؤيده بريطانيا فى مطالبه بتنفيذ وعدها لكن بريطانيا اكتفت بالمساعدة فى أن يكون للحجاز مقعدان فى مؤتمر الصلح. وبذلك حصلت بريطانيا على موافقة المتحدث الرسمى باسم العرب وفلسطين على مذكرة تتيح لها التصرف فى فلسطين بالطريق التى تراها لتحقيق المطالب التى قالها فيصل فى مذكرته أثناء مؤتمر الصلح. وهى عدم قدرته على تحمل مسؤولية إدارة دولة تتصارع فيها الأجناس، ولعبت فرنسا دور المساعد على تنفيذ المشروع البريطانى فعندما طلب ممثلو

الدول فى جلسة سرية يوم ٢٠ مارس ١٩١٩ إرجاء البحث فى القضية العربية إلى أن تتألف لجنة تحقيق تتولى دراسة الحالة فى سوريا وفلسطين لوضع تقرير عن وجهة النظر السورية والفلسطينية رفضت الدولتان هذا الاقتراح. لينتهى مؤتمر الصلح وقد تمخض عن وضع نظام الانتداب ونظام عصبة الأمم وفى ٢٨ يونية ١٩١٩ تم التوقيع على ميثاق عصبة الأمم ودخلت فلسطين تحت الإدارة البريطانية رغم أن نص المادة "٢٢" من ميثاق العصبة والذى بنى عليه صك الانتداب البريطانى نص على إعطاء فلسطين اختيار الدولة المنتدبة، لكن شيئاً من هذا لم يحدث، هذا هو الدور البريطانى الخارجى لتمهيد الطريق لإقامة وطن قومى لليهود. ولعبت بريطانيا دوراً داخلياً فى فلسطين لتمكين اليهود من السيطرة.

.....

فى يوم ٤ أبريل من كل عام يخرج أهل القدس حسب عاداتهم لاستقبال أهل الخليل الذين يزورون القدس فى نفس اليوم من كل عام قاصدين زيارة مقام النبى موسى وتصادف هذا اليوم أن يكون عيد الفصح عند المسيحيين وأثناء الاحتفال حدث أن صيدليا يهودياً يدير صيدلية فى باب الخليل أهان المتظاهرين العرب وحاول الاعتداء على علم الخليل فطارده المتظاهرون فلجأ إلى الصيدلية فهجموا عليه وضربوه حتى أدموه، وجاء بعد ذلك شاب يهودى ومعه سبعة من الجنود البريطانيين وهجموا على المتظاهرين وأطلقوا النار عليهم فأدى ذلك إلى موت تسعة أفراد وجرح المئات ولم يكتف الإنجليز بالتدخل ضد الأهالى بل شكلوا محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين وتشكلت لجنة لبحث أسباب الاضطرابات والتي أرجعت السبب إلى اليهود، وألغى تقرير اللجنة وتقرر عزل الجنرال موين القائد العسكرى البريطانى فى فلسطين وعزل معه عدد من الضباط بعد أن اكتشف تعاطف هؤلاء الضباط مع أهل فلسطين وأدانوا فى تقريرهم اليهود. ومنذ ذلك الوقت اكتشفت اليهود أن بريطانيا لن تتردد فى تنفيذ أية مطالب لهم طالما كانوا هم ملتزمين بقبول وضعهم كقاعدة عسكرية لتخدم بريطانيا. وقد تواكبت أحداث الاضطرابات فى القدس مع عقد مؤتمر سان ريمو فأسرت بريطانيا بالضغط على الدول الأعضاء فى المؤتمر لقبول فكرة الانتداب وتنفيذ نص المادة "٢٢" من صك

الانتداب. وأسرعت الدول الأعضاء بتصفية خلافاتها خاصة دول الحلفاء لدرجة أنهم أضافوا مادة جديدة إلى معاهدة سان ريمو، وهذه الفقرة "توافق الدول الموقعة على هذه المعاهدة بموجب المادة "٢٢" من صك الانتداب وتعهد بإدارة فلسطين بالحدود التي ستقرها دول الحلفاء إلى دولة وصية تختار من الدول المذكورة وتكون الدولة الوصية مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي فاه به بلفور في تشرين الثاني في "١٩١٧" بالنيابة عن الحكومة البريطانية والذي وافقت عليه دول الحلفاء والواردة في تأسيس فلسطين. وقد اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في ٢٥ أبريل ١٩٢٠ وقرر وضع العراق تحت الانتداب الإنجليزي ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ودخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ وعد بلفور. وبوضع فلسطين تحت الانتداب بدأت مرحلة جديدة ضمن مراحل تنفيذ حلم الدولة اليهودية على الأرض العربية، وهذه المرحلة تعد أهم المراحل فطوال الفترة السابقة كانت البلاد موضوعة تحت إدارة عسكرية، وكان اليهود يرون أن الإدارة العسكرية لن تحقق لهم الآمال المرجوة، لذا قامت بريطانيا باستبدال الحكومة العسكرية بحكومة مدنية ووضعت على رأس هذه الحكومة المدنية رجلاً صهيونياً لعب دوراً هاماً في تاريخ اليهود، هذا الرجل هو السيد هيربرت صموئيل أول حاكم مدني لفلسطين وكان تعيين هذا الرجل أول إعلان صريح عن إقامة الدولة فهو رجل يهودي الديانة وأحد المشاركين في صياغة وعد بلفور وقد حددت له مهمة أساسية وهي إرساء دعائم الدولة اليهودية في المنطقة العربية. وقد بدأ الرجل في تنفيذ المخطط اليهودي الإنجليزي بوضع البلاد في حالة اقتصادية وسياسية تخدم مصالح اليهود على حساب العرب. فعن مخططة الاقصادى قام بمنع تصدير الحبوب والزيتون وهما أساس ثروة البلاد، وذلك كي تصاب الأسواق بحالة من الكساد وتهبط أسعار الحبوب المصدرة ويعجز بالتالى الفلاح عن سداد الضرائب المستحقة عليها فيضطر لبيع أرضه لسداد الضرائب والديون. وكانت الخطوة الثانية هي تصفية البنك الزراعى العثمانى والذي كان يقرض الفلاحين وقام بالاستيلاء على حصيلته بالإضافة إلى تحصيل ديونه قسراً من الفلاحين. وأمام هذا الضغط على صغار الفلاحين لبيع أراضيهم خطة دعائية تقوم على

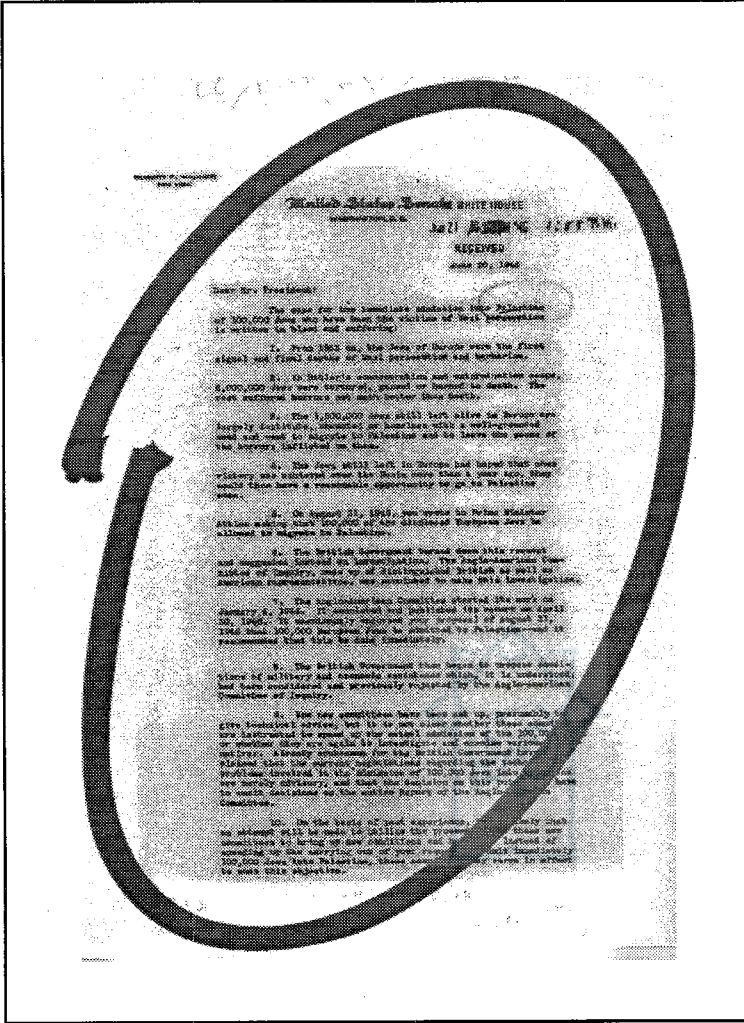
أن العرب هم الذين باعوا أراضيهم عن طيب خاطر إلى اليهود. وهذه القصة عارية تماماً من الصحة وحكاية بيع العرب أراضيهم إلى اليهود دل التاريخ على كذبها. ففي الماضي كانت العادة تقوم على أن يهب الفلاحون أراضيهم إلى الخليفة العثماني ولكنهم يستمرون في زراعتها واستثمارها مقابل حصول الخليفة على خمس ريع زراعة الأرض، مقابل ذلك تعفيهم الحكومة من حصة العشر ورسم الويركو وهذه الأراضي بعد الاحتلال البريطاني كان طبيعياً أن تنتقل إلى الحاكم الجديد للبلاد وهم الإنجليز الذين أصبحوا ملاكاً لهذه الأرض، وهذه ليست نهاية الأكدونية فلها بقية، فكافة ملاك هذه الأراضي كانوا من كبار العائلات في لبنان وسوريا، وكانوا جميعاً يستأخرون أهل القرى في زراعتها، وذلك كله مقابل اعترافهم بملكية الخليفة لها وبهذه الطريقة استطاع كبار الإقطاعيين الحصول على مساحات شاسعة في البلاد وعقب انتهاء الخلافة العثمانية وصيرورة الحكم إلى الإنجليز أصبحت كافة الأملاك ملكاً خاصاً للحكومة الإنجليزية وخاصة أن قرار الانتداب فصل سوريا ولبنان ووضع الدولتين تحت الانتداب الفرنسي فكان طبيعياً أن تصبح التركة العثمانية في فلسطين ملكاً للإنجليز وعرفت تلك الأراضي باسم الأرض المدورة وقام هريبرت صموئيل بتوزيع هذه الأراضي على اليهود داخل فلسطين وأصبح اليهود هم الملاك الحقيقيون لهذه الأراضي. هذا على الجانب الاقتصادي والدور التخريبي الذي لعبه هريبرت صموئيل.

وبعيداً عن الجانب الاقتصادي فقد لعب هذا الرجل دوراً هاماً في إحداث توازن في عدد السكان بين عدد اليهود وعدد العرب في فلسطين وقد ساعده على ذلك ما حدث بعد ٢٩ نوفمبر ١٩٢١ عندما بدأت إنجلترا في تنفيذ صك الانتداب بعدما اعترفت المادة الثانية والعشرون من هذا الصك بمسؤولية الدول المنتدبة في وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية تضمن إنشاء وكالة يهودية تسدى المشورة والنصيحة إلى إدارة فلسطين وتتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وقد سارعت بريطانيا على الفور بإصدار دستور فلسطين، وكانت المادة الأولى هي أهم المواد والتي نصت على تعيين "مندوب سامي" يخول كافة السلطات اللازمة لتنفيذ جميع الواجبات المقترنة بوظيفته وتطبيق شروط الانتداب وتأسيس وطن قومي لليهود.

وقد عمل هذا الرجل على نقل عملية الهجرة من حالة الخفاء إلى حالة العلانية، فمئذ عام ١٩٢١ كان يدخل فلسطين شهرياً ألف يهودى عن طريق الرحلات التى تأتى من الناحية الشمالية وعن طريق السفن التى تلقى بالمهاجرين الجدد فى الأماكن المنعزلة من الشواطئ وأصبح هذا التهريب يتم بشكل منظم، الأمر الذى دفع الفلسطينيين أن يقوموا بأنفسهم بحراسة الشواطئ. وحدث ذات يوم أمام قرية أم خالد قرب مستعمرة ناتانيا اليهودية أن اكتشفت كشافة أبى عبيدة فى طولكرم محاولة لتهريب اليهود فهاجموا اليهود وحدث تشابك بين العرب واليهود وخشيت بريطانيا أن يسفر قيام الشباب العربى بحراسة الشواطئ عن كشف مخططاتها، لذا فقد أصدرت بياناً أوضحت فيه بأن الجيش الإنجليزى سوف يقوم بنفسه بحراسة الشواطئ الفلسطينية لمنع دخول اليهود، حيث اعتمد الأسلوب الإنجليزى على إبراز أن الإنجليز ليسوا أعداء العرب وأن العداء هو عداء عربى يهودى ليس للإنجليز دور فيه، فى الوقت ذاته بدأت فى بث روح الخلاف والعداء بين أبناء فلسطين وتأسيس أحزاب مؤيدة لسياساتها ومعارضة لها ثم بث الخلاف بين المسيحيين والمسلمين لضرب الوحدة الوطنية. واستمر هذا الوضع حتى وصول هتلر إلى الحكم فى ألمانيا وإعلان عدائه لليهود ورغبته فى التخلص منهم، هنا فقط أحست بريطانيا بالخطر على مخططاتها الاستعمارية وأعلنت عن وجهها القبيح فكافة اليهود الأوروبيين كانوا يرفضون فكرة الهجرة إلى فلسطين مفضلين الحياة فى أوروبا وعندما زاد الضغط الألمانى رفضت بريطانيا استقبال يهود أوروبا فى جزرها بحجة أنها عاجزة عن استيعابهم ووضعت خطة دعائية لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين فانطلقت أجهزة الاستخبارات التابعة لها فى كل أنحاء العالم توزع تأشيرات الهجرة على بياض ووضعت أسطولها فى خدمة هجرة اليهود حتى وصل معدل الهجرة الشهرى إلى فلسطين من اليهود "٦١٨٥٤". وبذلك تمكنت بريطانيا من إحداث توازن فى عدد السكان بين العرب واليهود وهذا التوازن لا يكفى، فكان لابد من إحداث تفوق نوعى لليهود على العرب، وذلك عن طريق تسليح اليهود. وجاءت أول فرصة لتسليح اليهود بطريقة علانية أثناء حدوث اضطرابات "١٩٢٩" والتى عرفت باسم ثورة البراق بين اليهود والعرب وتفوق فيها العرب على اليهود وخشى على حياتهم من شدة العرب، وقتها قررت بريطانيا توزيع

السلاح على بعض شباب اليهود وأعدوا منهم قوة مسلحة تحت اسم بوليس المستعمرات وجعلوه تابعاً لإدارة الأمن العام ورخصوا في الوقت ذاته بتأليف فرق عسكرية تابعة للوكالة اليهودية بحجة الدفاع عن اليهود في حالة الطوارئ وانتدبوا لذلك بعض القادة البريطانيين لتدريبهم وكانت تلك الفرق هي نواة الجيش الإسرائيلي والتي أصبحت مع بداية الحرب العالمية الثانية فرقة مستقلة تحمل العلم الإسرائيلي وأصبحت أثناء الحرب لها علمها الخاص، وبذلك أصبح اليهود ملاك الأراضي داخل فلسطين وأصبح أيضاً لهم بوليسى خاص وأصبح لهم جيش مستقل ولا ينقصهم سوى إعلان دولتهم.

وهذا الإعلان قد تأخر لقيام الحرب العالمية الثانية والذي تواكب مع بدء اختفاء نجم بريطانيا وبداية النجم الأمريكى فى الصعود والتي كانت حريصة كل الحرص على حسن علاقاتها مع أمريكا والتي لم تكن قد دخلت الحرب بعد، وكانت بريطانيا ترغب فى دخولها إلى جانبها. ووقتها قرر اليهود تغيير قبلتهم من بريطانيا إلى أمريكا وعرضوا أنفسهم على الأمريكان ليقوموا بنفس الدور الذى قاموا به لصالح إنجلترا، وذلك فى مقابل الاعتراف لهم بوطن قومي فى فلسطين. وقد بدأ عام "١٩٤٠" باتصالات قام بها الأب الروحي لليهود حاييم وايزمان والذي كان يؤمن فى اتصالاته بحقيقة غريبة ثبت أنها فى محلها، كان لا يضيع وقته مع الخبراء وكبار الموظفين الرسميين، لأن هؤلاء على خبرة كاملة بمثل هذه الموضوعات التى تدخل ضمن أعمالهم، وكثير منهم يعرفون الشرق الأوسط فكان من الصعب أن تجد الصهيونية ولكنه استطاع التأثير على عقلية كبار المسؤولين وعندما غيرت إسرائيل قبلتها ناحية أمريكا طبقت هذا المبدأ وكان أول لقاء بين وايزمان وروزفلت عام "١٩٤٠"، وحاول وقتها جس نبض روزفلت وانتزاع اعتراف منه بإقامة دولة يهودية إلا أن روزفلت كان سياسياً واعياً لا يورط نفسه فى تصريح يؤخذ ضده، كما كان يعرف أهمية بترول العرب فى المستقبل، لذا فشل وايزمان أن يحصل على اعتراف منه، واكتفى روزفلت بقوله له: "أعتقد أن أى حل لمشكلة فلسطين يجب أن يكون حلاً عربياً يهودياً" وبعد وفاة روزفلت خلفه ترومان وكان أقل خبرة سياسية من روزفلت وهو الذى أعطى البيت الأبيض للصهيونية، وكانت زيارة الكاهن اليهودى وايزمان له هى بداية اندفاعه ناحية الصهيونية رغم تحذير وزير خارجيته له ادوارد ستيتيوس وإفهامه



طبيعة السياسة
السابقة للرئيس
روزفلت وفشل وزير
الخارجية في
إقناعه. وفي صيف
١٩٤٥ أصبح نفوذ
الصهيونية على
ترومان واضحاً
وكان أول اختبار
لذلك عندما طلب
من المستر كليمنت
اتلى رئيس الوزراء
البريطاني أن يقبل
مائة ألف يهودي
مهاجرين إلى
فلسطين.

وعام "١٩٤٦"
كان عام الانتخابات
في الولايات المتحدة،

عريضة من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي للرئيس ترومان في ٢٠ يونيو ١٩٤٦ يطالبونه
بتنفيذ ما أوصت به اللجنة الأنجلو أمريكية وسرعة نقل اليهود لفلسطين

وانتهز اليهود الفرصة وكانت البداية ولاية نيويورك حيث أعلن المرشح توماس ديوي
مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة بأنه سوف يصدر بياناً انتخابياً يؤيد فيه الصهيونية،
وعلى الفور قام ليمان وميذ المرشحان عن الحزب الديمقراطي لمنصب محافظ المدينة
ونائبها في الكونجرس إلى ترومان ليبلغاه النبأ ويلحا عليه في ضرورة إصدار بيان مماثل
باسم الحزب الديمقراطي، وكانت النتيجة أن صدر بيان آخر من ترومان أعلن فيه

تصميمه على ضرورة إدخال مائة يهودى إلى فلسطين وأصبحت الدولة والحزبان على السواء فى تأييد منغمس فى الصهيونية تماما، وكانت الحكومة الأمريكية فى ذلك الوقت أداة الضغط على حكومة حزب العمال فى بريطانيا، فعندما ألقى أرنست بيجن بيانا فى يونيو سنة ١٩٤٦ عارض فيه قبول مائة ألف يهودى فى فلسطين رفع عضوا الكونجرس الأمريكى عن ولاية نيويورك احتجاجا مباشراً إلى الوزير البريطانى ولكن الأخطر من ذلك أن الصهيونية اتجهت مباشرة إلى أعضاء الكونجرس المرتبطين بها، لتحركهم فى اتجاه هام. وفى ذلك الوقت تحديدا كان الكونجرس يدرس مشروعا لمنح إنجلترا قرضا قدره ثلاثمائة وخمسة وسبعون مليون دولار، وقتها هددت الصهيونية بعرقلة هذا القرض فى الكونجرس، الأمر الذى كان له أثر بالغ فى إرغام بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف ملائم وأصيبت إنجلترا بالشلل التام إزاء التأييد الأمريكى للصهيونية وأصبحت عديمة الدور فى تحديد الأمور. وعندما ظهرت فى الأفق فكرة التقسيم فى الأمم المتحدة سارعت الصهيونية بالحصول على التأييد الأمريكى للتقسيم والذى وإن كان لا يحمل كامل الطموح الصهيونى إلا أنه كان يحقق لهم فكرة الاعتراف بحقهم فى إقامة دولة سياسية. وفى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الأمم المتحدة قرارها بالتقسيم، وبقي فقط صدور قرار الاعتراف بالدولة وكان لابد من الحصول على اعتراف أمريكا أولا لتسهيل الباقي. وفى ١٤ مايو وبعد لقاء دام عشر دقائق بين وايزمان وترومان أعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالدولة اليهودية.

.....





4

وعد بافـور..

يدخل مرحلة التنفيذ



فى يناير ١٩١٩ عقد مؤتمر الصلح فى فرنسا ولم يحضر أى ممثل من فلسطين وحضر الأمير فيصل نيابة عن أبيه الشريف حسين، ومن وقت وصول فيصل إلى باريس وبريطانيا تحاصره واستخدمت كل نفوذها لتجعل وضع وعد بلفور موضع التنفيذ وأن تكون هى الدولة المنتدبة. ووضعت فى وجه فيصل العراقيل وشتت عليه حرب أعصاب لكى يستسلم لها ورأى فيصل نفسه فى موقف حرج لأنه لا يستطيع أن يواجهها بمفرده فضلاً عن أنه يرى أصدقاءه البريطانيين يلاحقونه ويضغطون عليه لقبول الاقتراحات البريطانية. وكان والده قد طلب منه تعليمات محددة فى التعامل مع بريطانيا بشأن إلزامها بتحقيق وعدها، وقامت فرنسا من ناحيتها بالضغط عليه حتى فكر فى ترك المؤتمر، ولكن بريطانيا التى كانت قد رسمت منذ البداية مخطط توزيع التركة العثمانية واستطاعت الحصول على مذكرة من الأمير فيصل يقول فيها أن اليهود قريبون جداً من العرب، وليس هناك تعارض بينهم فى المبادئ لكن العرب لا يمكنهم المخاطرة بتحمل مسؤولية إدارة الأمور فى إقليم تتصادم فيه الأجناس والديانات وطالب بأن تتحمل إحدى الدول الكبرى المسؤولية وطالب بأن تقوم إدارة محلية تمثل سكان البلاد وتستطيع توفير الرخاء لهم. وقدم فيصل هذه المذكرة مقابل أن تؤيده بريطانيا فى مطالبه بتنفيذ وعودها لكن بريطانيا اكتفت بالمساعدة فى أن يكون للحجاز مقعدان فى مؤتمر الصلح. وبذلك حصلت بريطانيا على موافقة المتحدث الرسمى باسم العرب وفلسطين على مذكرة تتيح لها التصرف فى فلسطين بالطريق التى تراها لتحقيق المطالب التى قالها فيصل فى مذكرته أثناء مؤتمر الصلح. وهى عدم قدرته على تحمل مسؤولية إدارة دولة تتصارع فيها

الأجناس، ولعبت فرنسا دور المساعد على تنفيذ المشروع البريطاني فعندما طلب ممثلو الدول في جلسة سرية يوم ٢٠ مارس ١٩١٩ إرجاء البحث في القضية العربية إلى أن تتألف لجنة تحقيق تتولى دراسة الحالة في سوريا وفلسطين لوضع تقرير عن وجهة النظر السورية والفلسطينية رفضت الدولتان هذا الاقتراح. لينتهي مؤتمر الصلح وقد تمخض عن وضع نظام الانتداب ونظام عصبة الأمم وفي ٢٨ يونية ١٩١٩ تم التوقيع على ميثاق عصبة الأمم ودخلت فلسطين تحت الإدارة البريطانية رغم أن نص المادة "٢٢" من ميثاق العصبة والذي بنى عليه صك الانتداب البريطاني نص على إعطاء فلسطين اختيار الدولة المنتدبة، لكن شيئاً من هذا لم يحدث، هذا هو الدور البريطاني الخارجى لتمهيد الطريق لإقامة وطن قومي لليهود. ولعبت بريطانيا دوراً داخلياً في فلسطين لتمكين اليهود من السيطرة.

.....

في يوم ٤ أبريل من كل عام يخرج أهل القدس حسب عاداتهم لاستقبال أهل الخليل الذين يزورون القدس في نفس اليوم من كل عام قاصدين زيارة مقام النبي موسى وتصادف هذا اليوم أن يكون عيد الفصح عند المسيحيين وأثناء الاحتفال حدث أن صيدليا يهودياً يدير صيدلية في باب الخليل أهان المتظاهرين العرب وحاول الاعتداء على علم الخليل فطارده المتظاهرون فلجأ إلى الصيدلية فهجموا عليه وضربوه حتى أدموه، وجاء بعد ذلك شاب يهودى ومعه سبعة من الجنود البريطانيين وهجموا على المتظاهرين وأطلقوا النار عليهم فأدى ذلك إلى موت تسعة أفراد وجرح المئات ولم يكتف الإنجليز بالتدخل ضد الأهالى بل شكلوا محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين وتشكلت لجنة لبحث أسباب الاضطرابات والتي أرجعت السبب إلى اليهود، وألغى تقرير اللجنة وتقرر عزل الجنرال موين القائد العسكرى البريطانى فى فلسطين وعزل معه عدد من الضباط بعد أن اكتشف تعاطف هؤلاء الضباط مع أهل فلسطين وأدانوا فى تقريرهم اليهود.ومنذ ذلك الوقت اكتشفت اليهود أن بريطانيا لن تتردد فى تنفيذ أية مطالب لهم طالما كانوا هم

ملتزمين بقبول وضعهم كقاعدة عسكرية لتخدم بريطانيا. وقد توافقت أحداث الاضطرابات في القدس مع عقد مؤتمر سان ريمو فأسّرت بريطانيا بالضغط على الدول الأعضاء في المؤتمر لقبول فكرة الانتداب وتنفيذ نص المادة "٢٢" من صك الانتداب. وأسّرت الدول الأعضاء بتصفية خلافتها خاصة دول الحلفاء لدرجة أنهم أضافوا مادة جديدة إلى معاهدة سان ريمو، وهذه الفقرة "توافق الدول الموقعة على هذه المعاهدة بموجب المادة "٢٢" من صك الانتداب وتعهد بإدارة فلسطين بالحدود التي ستقرها دول الحلفاء إلى دولة وصية تختار من الدول المذكورة وتكون الدولة الوصية مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي فاه به بلفور في تشرين الثاني في "١٩١٧" بالنيابة عن الحكومة البريطانية والذي وافقت عليه دول الحلفاء والواردة في تأسيس فلسطين. وقد اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في ٢٥ أبريل ١٩٢٠ وقرر وضع العراق تحت الانتداب الإنجليزي ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ودخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ وعد بلفور. وبوضع فلسطين تحت الانتداب بدأت مرحلة جديدة ضمن مراحل تنفيذ حلم الدولة اليهودية على الأرض العربية، وهذه المرحلة تعد أهم المراحل فطوال الفترة السابقة كانت البلاد موضوعة تحت إدارة عسكرية، وكان اليهود يرون أن الإدارة العسكرية لن تحقق لهم الآمال المرجوة، لذا قامت بريطانيا باستبدال الحكومة العسكرية بحكومة مدنية ووضعت على رأس هذه الحكومة المدنية رجلاً صهيونياً لعب دوراً هاماً في تاريخ اليهود، هذا الرجل هو السيد هربرت صموئيل أول حاكم مدني لفلسطين وكان تعيين هذا الرجل أول إعلان صريح عن إقامة الدولة فهو رجل يهودي الديانة وأحد المشاركين في صياغة وعد بلفور وقد حددت له مهمة أساسية وهي إرساء دعائم الدولة اليهودية في المنطقة العربية. وقد بدأ الرجل في تنفيذ المخطط اليهودي الإنجليزي بوضع البلاد في حالة اقتصادية وسياسية تخدم مصالح اليهود على حساب العرب. فعن مخططة الاقتصادى قام بمنع تصدير الحبوب والزيتون وهما أساس ثروة البلاد، وذلك كي تصاب الأسواق بحالة من الكساد وتهبط أسعار الحبوب المصدرة ويعجز بالتالى الفلاح عن سداد الضرائب المستحقة عليها فيضطر لبيع أرضه لسداد

الضرائب والديون. وكانت الخطوة الثانية هي تصفية البنك الزراعى العثمانى والذى كان يقترض الفلاحين وقام بالاستيلاء على حصيلته بالإضافة إلى تحصيل ديونه قسراً من الفلاحين. وأمام هذا الضغط على صغار الفلاحين لبيع أراضيهم خطة دعائية تقوم على أن العرب هم الذين باعوا أراضيهم عن طيب خاطر إلى اليهود. وهذه القصة عارية تماماً من الصحة وحكاية بيع العرب أراضيهم إلى اليهود دل التاريخ على كذبها. ففى الماضى كانت العادة تقوم على أن يهب الفلاحون أراضيهم إلى الخليفة العثمانى ولكنهم يستمرون فى زراعتها واستثمارها مقابل حصول الخليفة على خمس ريع زراعة الأرض، مقابل ذلك تعفيهم الحكومة من حصة العشر ورسم الويركو وهذه الأراضي بعد الاحتلال البريطانى كان طبيعياً أن تنتقل إلى الحاكم الجديد للبلاد وهم الإنجليز الذين أصبحوا ملاكاً لهذه الأرض، وهذه ليست نهاية الأكذوبية فلها بقية، فكافة ملاك هذه الأراضي كانوا من كبار العائلات فى لبنان وسوريا، وكانوا جميعاً يستأخرون اهل القرى فى زراعتها، وذلك كله مقابل اعترافهم بملكية الخليفة لها وبهذه الطريقة استطاع كبار الإقطاعيين الحصول على مساحات شاسعة فى البلاد وعقب انتهاء الخلافة العثمانية وصيرورة الحكم إلى الإنجليز أصبحت كافة الأملاك ملكاً خاصاً للحكومة الإنجليزية وخاصة أن قرار الانتداب فصل سوريا ولبنان ووضع الدولتين تحت الانتداب الفرنسى فكان طبيعياً أن تصبح التركة العثمانية فى فلسطين ملكاً للإنجليز وعرفت تلك الأراضي باسم الأرض المدورة وقام هربرت صموئيل بتوزيع هذه الأراضي على اليهود داخل فلسطين وأصبح اليهود هم الملاك الحقيقيون لهذه الأراضي. هذا على الجانب الاقتصادى والدور التخريبى الذى لعبه هربرت صموئيل.

وبعيداً عن الجانب الاقتصادى فقد لعب هذا الرجل دوراً هاماً فى إحداث توازن فى عدد السكان بين عدد اليهود وعدد العرب فى فلسطين وقد ساعده على ذلك ما حدث بعد ٢٩ نوفمبر ١٩٢١ عندما بدأت إنجلترا فى تنفيذ صك الانتداب بعدما اعترفت المادة الثانية والعشرون من هذا الصك بمسؤولية الدول المنتدبة فى وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية تضمن إنشاء وكالة يهودية تسدى المشورة والنصيحة إلى إدارة فلسطين

وتتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وقد سارعت بريطانيا على الفور بإصدار دستور فلسطين، وكانت المادة الأولى هى أهم المواد والتي نصت على تعيين "مندوب سامى" يخول كافة السلطات اللازمة لتنفيذ جميع الواجبات المقترنة بوظيفته وتطبيق شروط الانتداب وتأسيس وطن قومى لليهود.

وقد عمل هذا الرجل على نقل عملية الهجرة من حالة الخفاء إلى حالة العلانية، فمنذ عام ١٩٢١ كان يدخل فلسطين شهرياً ألف يهودى عن طريق الرحلات التى تأتى من الناحية الشمالية وعن طريق السفن التى تلقى بالمهاجرين الجدد فى الأماكن المنعزلة من الشواطئ وأصبح هذا التهريب يتم بشكل منظم، الأمر الذى دفع الفلسطينيين أن يقوموا بأنفسهم بحراسة الشواطئ. وحدث ذات يوم أمام قرية أم خالد قرب مستعمرة ناتانيا اليهودية أن اكتشفت كشافة أبى عبيدة فى طولكرم محاولة لتهريب اليهود فهاجموا اليهود وحدث تشابك بين العرب واليهود وخشيت بريطانيا أن يسفر قيام الشباب العربى بحراسة الشواطئ عن كشف مخططاتها، لذا فقد أصدرت بياناً أوضحت فيه بأن الجيش الإنجليزى سوف يقوم بنفسه بحراسة الشواطئ الفلسطينية لمنع دخول اليهود، حيث اعتمد الأسلوب الإنجليزى على إبراز أن الإنجليز ليسوا أعداء العرب وأن العداء هو عداء عربى يهودى ليس للإنجليز دور فيه، فى الوقت ذاته بدأت فى بث روح الخلاف والعداء بين أبناء فلسطين وتأسيس أحزاب مؤيدة لسياساتها ومعارضة لها ثم بث الخلاف بين المسيحيين والمسلمين لضرب الوحدة الوطنية. واستمر هذا الوضع حتى وصول هتلر إلى الحكم فى ألمانيا وإعلان عدائه لليهود ورغبته فى التخلص منهم، هنا فقط أحست بريطانيا بالخطر على مخططاتها الاستعمارية وأعلنت عن وجهها القبيح فكافة اليهود الأوروبيين كانوا يرفضون فكرة الهجرة إلى فلسطين مفضلين الحياة فى أوروبا وعندما زاد الضغط الألمانى رفضت بريطانيا استقبال يهود أوروبا فى جزرها بحجة أنها عاجزة عن استيعابهم ووضعت خطة دعائية لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين فانطلقت أجهزة الاستخبارات التابعة لها فى كل أنحاء العالم توزع تأشيرات الهجرة على بياض ووضعت أسطولها فى خدمة هجرة اليهود حتى وصل معدل الهجرة الشهرى إلى فلسطين

من اليهود "٦١٨٥٤". وبذلك تمكنت بريطانيا من إحداث توازن فى عدد السكان بين العرب واليهود وهذا التوازن لا يكفى، فكان لابد من إحداث تفوق نوعى لليهود على العرب، وذلك عن طريق تسليح اليهود. وجاءت أول فرصة لتسليح اليهود بطريقة علانية أثناء حدوث اضطرابات "١٩٢٩" والتي عرفت باسم ثورة البراق بين اليهود والعرب وتفوق فيها العرب على اليهود وخشى على حياتهم من شدة العرب، وقتها قررت بريطانيا توزيع السلاح على بعض شباب اليهود وأعدوا منهم قوة مسلحة تحت اسم بوليس المستعمرات وجعلوه تابعاً لإدارة الأمن العام ورخصوا فى الوقت ذاته بتأليف فرق عسكرية تابعة للوكالة اليهودية بحجة الدفاع عن اليهود فى حالة الطوارئ وانتدبوا لذلك بعض القادة البريطانيين لتدريبهم وكانت تلك الفرق هى نواة الجيش الإسرائيلى والتي أصبحت مع بداية الحرب العالمية الثانية فرقة مستقلة تحمل العلم الإسرائيلى وأصبحت أثناء الحرب لها علمها الخاص، وبذلك أصبح اليهود ملاك الأراضى داخل فلسطين وأصبح أيضاً لهم بوليسى خاص وأصبح لهم جيش مستقل ولا ينقصهم سوى إعلان دولتهم.

وهذا الإعلان قد تأخر لقيام الحرب العالمية الثانية والذى تواكب مع بدء اختفاء نجم بريطانيا وبداية النجم الأمريكى فى الصعود والتي كانت حريصة كل الحرص على حسن علاقاتها مع أمريكا والتي لم تكن قد دخلت الحرب بعد، وكانت بريطانيا ترغب فى دخولها إلى جانبها. ووقتها قرر اليهود تغيير قبلتهم من بريطانيا إلى أمريكا وعرضوا أنفسهم على الأمريكان ليقوموا بنفس الدور الذى قاموا به لصالح إنجلترا، وذلك فى مقابل الاعتراف لهم بوطن قومى فى فلسطين. وقد بدأ عام "١٩٤٠" باتصالات قام بها الأب الروحى لليهود حاييم وايزمان والذى كان يؤمن فى اتصالاته بحقيقة غريبة ثبت أنها فى محلها، كان لا يضيع وقته مع الخبراء وكبار الموظفين الرسميين، لأن هؤلاء على خبرة كاملة بمثل هذه الموضوعات التى تدخل ضمن أعمالهم، وكثير منهم يعرفون الشرق الأوسط فكان من الصعب أن تجد الصهيونية ولكنه استطاع التأثير على عقلية كبار المسؤولين وعندما غيرت إسرائيل قبلتها ناحية أمريكا طبقت هذا المبدأ وكان أول لقاء بين وايزمان وروزفلت عام "١٩٤٠" وحاول وقتها جس نبض روزفلت وانتزاع اعتراف منه

بإقامة دولة يهودية إلا أن روزفلت كان سياسياً واعياً لا يورط نفسه فى تصريح يؤخذ ضده، كما كان يعرف أهمية بتروول العرب فى المستقبل، لذا فشل وايزمان أن يحصل على اعتراف منه، واكتفى روزفلت بقوله له: "أعتقد أن أى حل لمشكلة فلسطين يجب أن يكون حلاً عربياً يهودياً" وبعد وفاة روزفلت خلفه ترومان وكان أقل خبرة سياسية من روزفلت وهو الذى أعطى البيت الأبيض للصهيونية، وكانت زيارة الكاهن اليهودى وايزمان له هى بداية اندفاعه ناحية الصهيونية رغم تحذير وزير خارجيته له ادوارد ستيتنبوس وإفهامه طبيعة السياسة السابقة للرئيس روزفلت وفشل وزير الخارجية فى إقناعه. وفى صيف ١٩٤٥ أصبح نفوذ الصهيونية على ترومان واضحاً وكان أول اختبار لذلك عندما طلب من المستر كليمنت اتلى رئيس الوزراء البريطانى أن يقبل مائة ألف يهودى مهاجرين إلى فلسطين. وعام "١٩٤٦" كان عام الانتخابات فى الولايات المتحدة، وانتهز اليهود الفرصة وكانت البداية ولاية نيويورك حيث أعلن المرشح توماس ديوى مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة بأنه سوف يصدر بياناً انتخابياً يؤيد فيه الصهيونية، وعلى الفور قام ليمان وميد المرشحان عن الحزب الديموقراطى لمنصب محافظ المدينة ونائبيها فى الكونجرس إلى ترومان ليبلغاه النبأ ويلحا عليه فى ضرورة إصدار بيان مماثل باسم الحزب الديموقراطى، وكانت النتيجة أن صدر بيان آخر من ترومان أعلن فيه تصميمه على ضرورة إدخال مائة يهودى إلى فلسطين وأصبحت الدولة والحزبان على السواء فى تأييد منغمس فى الصهيونية تماماً، وكانت الحكومة الأمريكية فى ذلك الوقت أداة الضغط على حكومة حزب العمال فى بريطانيا، فعندما ألقى أرنست بيجن بياناً فى يونيو سنة ١٩٤٦ عارض فيه قبول مائة ألف يهودى فى فلسطين رفع عضوا الكونجرس الأمريكى عن ولاية نيويورك احتجاجاً مباشراً إلى الوزير البريطانى ولكن الأخطر من ذلك أن الصهيونية اتجهت مباشرة إلى أعضاء الكونجرس المرتبطين بها، لتحركهم فى اتجاه هام. وفى ذلك الوقت تحديداً كان الكونجرس يدرس مشروعاً لمنح إنجلترا قرضاً قدره ثلاثمائة وخمسة وسبعون مليون دولار، وقتها هددت الصهيونية بعرقلة هذا القرض فى الكونجرس، الأمر الذى كان له أثر بالغ فى إرغام بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف ملأثم وأصيبت

إنجلترا بالشلل التام إزاء التأييد الأمريكى للصهيونية وأصبحت عديمة الدور فى تحديد الأمور. وعندما ظهرت فى الأفق فكرة التقسيم فى الأمم المتحدة سارعت الصهيونية بالحصول على التأييد الأمريكى للتقسيم والذى وإن كان لا يحمل كامل الطموح الصهيونى إلا أنه كان يحقق لهم فكرة الاعتراف بحقهم فى إقامة دولة سياسية. وفى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الأمم المتحدة قرارها بالتقسيم، وبقي فقط صدور قرار الاعتراف بالدولة وكان لابد من الحصول على اعتراف أمريكا أولاً لتسهيل الباقي. وفى ١٤ مايو وبعد لقاء دام عشر دقائق بين وايزمان وترومان أعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالدولة اليهودية.

.....

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كانت المصالح البريطانية العثمانية متعارضة وكان هدف الطرفين هو الاستحواذ على المنطقة العربية وليس الجزيرة العربية فقط. وكانت بريطانيا فى موقف أضعف من تركيا التى كانت تسيطر على الشام والعراق وتهدد المستعمرة البريطانية فى الهند عن طريق البحر الأحمر وخليج فارس لكن كل هذه الأخطار لم تكن بنفس درجة خطورة وخوف بريطانيا من إعلان الخليفة العثمانى إعلان الجهاد للشعوب الإسلامية والتى كانت تستعمرها بريطانيا وخاصة أن تركيا لم تكن وحدها بل كانت ألمانيا حليفها. وقتها اهتدى تفكير الساسة البريطانيين إلى ضرورة صناعة شخصية تصنع نوعاً من التوازن فى حالة إقدام الخليفة العثمانى على إعلان الجهاد ضد الإنجليز وذلك بهدف هزيمة تركيا من الداخل عن طريق رعاياها لإجبارها على الاحتفاظ بجيوشها داخل الدول التابعة لها. وكانت الشخصية التى وضعتها بريطانيا نصب عينها للقيام بهذا الدور هى الشريف حسين، واختياره لم يكن من فراغ من نسب الرسول ويشرف على الأماكن المقدسة، فإذا نادى الخليفة بإعلان الجهاد فإن هذا الإعلان سيكون عديم الجدوى إذا لم يؤيده الشريف حسين. وكان المناخ السياسى موافقاً لتحريض الشريف حسين لإعلان ثورته لدرجة أن الشريف حسين لم يكن بحاجة لنصيحة إنجلترا للقيام بهذا الدور، فحدث فى عام "١٩٠٨" أن نجحت جمعية الاتحاد

والترقى فى تركيا فى الوصول إلى الحكم ومع وصولهم للحكم ظهرت على السطح فكرة الطورانية وهى تعنى إحياء أمجاد الأتراك وربط الأتراك المحدثين بتراتهم الحضارى القديم وتخليص التركى من كل رابطة تصله بالأدب الفارسى أو العربى وكانت قناعتهم بأن الأمة التركية كانت وستظل الأمة الحاكمة فى السلطنة العثمانية وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين للدول الأخرى. لذا فإن الدستور الذى يجب أن يسود هو الدستور التركى، ومن هنا ظهرت معهم فكرة تترك المستعمرات العثمانية، الأمر الذى يعنى استعمال اللغة التركية كلغة رسمية فى كل المستعمرات واستعمال الدستور التركى. وبدأ تطبيق هذه المفاهيم على الشكاوى التى كانت تقدم فأصبح لزاما على الجميع كتابة الشكاوى باللغة التركية. وكانت أخطر الخطوات التى أقدمت عليها جمعية الاتحاد والترقى هى ترجمة القرآن إلى اللغة التركية عام "١٩١٣"؟ وأصبح سلوك الأتراك يتصادم مع الطبيعة العربية فأتثناء إجراءات الانتخابات البرلمانية فى المستعمرات التابعة لتركيا ينص الدستور التركى فى المادة "٧٢" منه على أنه من الواجب على الناخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالى دائرة الولاية التى هم منها إلا أن الاتحاديين عمدوا إلى ترشيح المبعوثين من الترك فى مختلف الولايات العربية وفاز فيها الأتراك الممثلون للعرب بـ"١٥" مقعدا ليمثلوا الشعب العربى.. وبذلك نجحت سياسة جمعية الاتحاد والترقى فى ربط الولايات العثمانية التى تتمتع بقدر من الاستقلال مثل مكة والحجاز بعاصمة الدولة العثمانية. وقتها أحس الشريف حسين بالخطر خاصة عندما عين وهيب باشا والياً على الحجاز وتم تفويضه بالقيام بكل السلطات بموجب ذلك والاستعداد لمد خطوط السكة الحديد لربط الشام بالمدينة بمكة. أصبحت الحجاز كلها فى سلطة وهيب باشا واختفى وتضاءل دور الشريف حسين.

حدث هذا فى الوقت الذى كانت بشائر الحرب العالمية تلوح فى الأفق وظهرت تيارات سياسية تتنادى بضرورة الثورة على الدولة العثمانية والارتباط بدولة عظمى وظهر تيار آخر ينادى بتشكيل جبهة إسلامية للوقوف ضد الدول الأوروبية وانتصر الرأى الأول وساعده فى ذلك وجود حالة من السخط والغضب لدى العرب بسبب ممارسات وزير الحربية العثمانى جمال باشا والذى أعدم الكثيرين من القوميين العربى فى سوريا

وسببت تلك الممارسات حالة من البركان، وأصبح البحث عن زعيم يتولى قيادة الثورة وعن مصدر خارجي للمساعدة هدف كل القوميين العرب، واختير للقيام بهذا الدور الشريف حسين نظراً لبعده عن مركز الثقل العثماني ونسبه للرسول "صلى الله عليه وسلم" ووجوده في مكان يسمح له بالقيام بالثورة ومع نشوب الحرب العالمية الأولى كان على العرب والشريف حسين اختيار حل من حلين إما الثورة على الأتراك والانحياز إلى جانب الحلفاء أو التزام الحياد وضياع لغتهم ودينهم. هذه الحيرة التي أصابت الوطن العربي كانت موضع رصد من قبل جهاز الاستخبارات البريطانية والذي كان يرصد هذه الحيرة خوفاً من وصول الألمان إلى المنطقة لعمل خط سكة حديد، وقام بتقريب وجهات النظر ضابط تركي اسمه الفاروقى كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية، نقل رسالة إلى بريطانيا تؤكد على أن هناك مجموعة من الضباط يلتقون وسراً بالشريف حسين من أجل حثه على القيام بثورته ضد الخلافة العثمانية. وعلى الفور أرسلت بريطانيا برسالة إلى الشريف حسين عن طريق تاجر قطن يمني اسمه على أصغر تستعلم فيها عن موقف الشريف حسين في حالة دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا، ولم يرد الشريف حسين وظل متردداً في الرد خوفاً من أن يقال أن رجلاً من أهل الرسول تحالف مع الكفرة ولكن حدث أمر هام عجل بإعلان ثورته، وهو تصميم تركيا على تطبيق نظام الولايات ود خطوط السكة الحديدية وتهميش دوره بوضع كل السلطات في يد وهيب باشا، ورفض الاتحاد والترقى العدول عن فكرتهم هذه. كل ذلك زاد من حماسه لإعلان ثورته وكانت الحاجة لدعم خارجي ومساعدة هي شاغله إلا أن أعين أجهزة الاستخبارات البريطانية كانت في انتظاره، فأرسلت إليه العديد من الشخصيات العربية تحرضه على القيام بثورته وأرسلت إليه شخصيات ذات شعبية وجماهيرية مثل فوزى البكرى ويوسف حيدر من سوريا، وأعلن الأمير سعود ومبارك الصباح والإداريون تأييده في حالة قيامه بثورة، وعلق الشريف حسين إعلانة الثورة مقابل قبول بريطانيا شروطه والتي وضعت في اتفاقية دمشق وكان أهم مطلب فيها هو استقلال الدول العربية ومنحه لقب الخليفة وقد وافقت بريطانيا على شروط الشريف حسين، وبموجب توقيع الاتفاقية أعلن الشريف حسين ثورته وثارَت الشعوب ضد الخلافة العثمانية وبذلك تحقق الهدف البريطاني في

إبقاء العديد من القوات التركية في أماكنها لقمع ثورات شعوبها، واستغلالا للموقف أرسلت بريطانيا إلى مبارك الصباح حاكم الكويت الكولونيل دلامين في ٣ نوفمبر ١٩١٤ رسالة قال فيها: "قد أمرتني الحكومة البريطانية أن أبلغ سعادتكم الشكر لولاثكم وعرضكم المساعدة وأطلب الآن أن تهاجموا أم القصير وصفوان ويوبيان خان وأن تحتلوا وعليكم التعاون مع الشيخ خزعل خان والأمير عبد العزيز وغيرهما من المشايخ لتحرروا البصرة". وبمجرد وصول الرسالة قام مبارك الصباح بتجهيز الكويت كقاعدة لتموين القوات وساعد الجنرال آرثر باريت في الزحف على البصرة وكان دور عبد العزيز آل سعود هو منع الإمدادات من الوصول إلى الأتراك عبر الخليج والعمل على تحييد آل الرشيد المواليين في الجزيرة العربية. وباستخدام شعار القومية العربية ضد الخلافة الإسلامية تمكنت بريطانيا من تحجيم الأتراك وقواتهم وإجبارهم على البقاء في أماكنهم لقمع ومواجهة ثورات الشعوب ضدهم، الأمر الذي انتهى بانتصار بريطانيا في الحرب وهزيمة تركيا وانهايار الخلافة العثمانية، وبذلك يكون الشريف حسين قد أدى الدور المرسوم على أكمل وجه وثار العرب على الخلافة العثمانية وتحقق لانجلترا ما تريد، وعندما وضعت الحرب أوزارها استعد الشريف حسين للحساب والحصول على مقابل خدماته بتنفيذ انجلترا وعدها في اتفاقية دمشق.

وقتها لم يكن يعلم أن هناك اتفاقية وقعت في الخفاء بين دول الحلفاء لتوزيع المغانم والتركة العثمانية وأن هناك خلافا بين فرسنا وانجلترا على الاستحواذ على النصيب الأكبر من التركة بالإضافة إلى أن هناك اتفاقا بين انجلترا واليهود على إقامة دولة لهم في المنطقة العربية ليقوموا بدور الحارس لقناة السويس لحماية البوابة السرية للمستعمرات البريطانية في أفريقيا، تلك الاتفاقية التي كانت أول خطواتها عام ١٩١٤ عندما كتب حايم وايزمان إلى صديقه رئيس تحرير المانشستر جارديان شارحا الخط الصهيوني وقال بالحرف الواحد "من الممكن الآن أن نقول أنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وإذا شجعت انجلترا بعد ذلك توطن اليهود كمستعمرة بريطانية، فإننا نستطيع أن نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالى مليون يهودى في تلك البلاد فيطورونها وينقلون الحضارة إليها ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس".

وبناء على تلك الرسالة حددت أهداف الاتفاقيات السرية التي وقعت بين الإنجليز والفرنسيين من ناحية وبين الإنجليز واليهود حيث استهدفت الخطة:

١ - أن ينتصر الحلفاء وعلى رأسهم إنجلترا.

٢ - أن تكون فلسطين من نصيب إنجلترا.

٣ - أن تسهل إنجلترا استيطان اليهود في فلسطين.

٤ - أن ينتهي الأمر بسيطرة اليهود على فلسطين في مقابل استمرارهم في خدمة إنجلترا بحراسة قناة السويس لحسابهم. وظلت تلك الاتفاقيات خفية على العرب حتى قيام الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ ونشر الثوار لكافة بنود الاتفاقيات السرية التي وقعها القيصر في جريدة برافدا في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر ١٩١٧. ومنذ هذا التاريخ دخلت العلاقات البريطانية والشريف حسين منحى جديداً بعد أن أنكرت بريطانيا وعددها للشريف حسين بتنفيذ اتفاقية دمشق، بل استهانت به وطلبوا منه أن يعترف بحقيقة وضعهم في مصر والعراق وفلسطين، وطلبوا منه أيضاً عقد معاهدة جديدة على هذا الأساس مقابل ترك حكم الحجاز له. ولم يكن في استطاعته الموافقة أمام الضغوط التي كان يتعرض لها من الشعوب التي استجابت لثورته ورفض الدخول في أية معاهدات جديدة مع بريطانيا وأصبح يطاردتهم في كل مكان. الأمر الذي أصبح معه وجوده في الحكم ومكانته التي يتمتع بها وسط الشعوب الإسلامية مصدر إزعاج لبريطانيا، فكان لابد من التخلص منه لأنه أصبح لا يخدم مصالحها، ولم تكن تستطيع التخلص منه بنفسها لأن له مكانة مميزة وسط المسلمين وأيضاً لأن بريطانيا كانت تمر بظروف صعبة في مستعمراتها، فكان الحل هو بث الخلافات بين الدول العربية وتهديد عرش الشريف حسين لإجباره على قبول فكرة الوطن القومي لليهود.





5

آل سعود..
خنجر فى يد بريطانيا



وكان الحل هو البحث عن أداة لتنفيذ هذا المخطط. هذه الأداة كانت عبد العزيز آل سعود رجل كل المناسبات والذي يقبل القيام بأى دور فى مقابل استعادة عرش أجداده، واختياره لم يأت من فراغ فهناك علاقة بين بريطانيا وتلك الأسرة والتي علا نجمها وبدأت فى الظهور كقوة منذ عام ١٧٤٥ وهو العالم الذى سببت آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب إزعاجاً للعلماء والمشايخ فى منطقة العينية بالجزيرة العربية لمهاجمته البدع والخرافات التى أصبحت فى حكم العبادات بل إنه أمر بهدم الأضرحة والقبور التى أصبحت بالنسبة للكثيرين فى حكم العبادات وهاجم العلماء. الأمر الذى اعتبره العلماء والمشايخ بداية لفقدان مكانتهم الاجتماعية، وخوفاً على وضعهم طالبوا عثمان بن معمر حاكم العينية بطرده لانتشار آرائه وحركته لدرجة تهديد حاكم الإحساء بوقف المعونة المالية عن حاكم العينية، وأمام هذا الضغط اضطر عثمان بن معمر إلى طرد محمد بن عبد الوهاب والذي لم يجد مكاناً يلجأ إليه سوى الدرعية مسقط رأس آل سعود، وعندما وصل إلى الدرعية زاره محمد بن سعود واشترط عليه عدم مغادرة الدرعية وعدم معارضته فى فرض ضرائب مقابل السماح له بالإقامة. وقد وافق ابن عبد الوهاب على الأولى ولم يعط إجابة فى الثانية. ومنذ ذلك التاريخ وجد كل من الطرفين ضالته المنشودة، فالشيخ أصبح له مكان مستقر يساعده فى نشر دعوته وآل سعود وجدوا فيه المبرر لتنفيذ أحلامهم السياسية، فالعلاقة بين الحركات السياسية والدينية علاقة تبادلية. فالحركة الدينية تسعى دائماً لطلب الحماية فى مقابل تقديم المبرر الشرعى فى تنفيذ سياساتها. من هذه العلاقة بدأ نجم آل سعود يعلو وبدأ نفوذهم السياسى يمتد إلى

القبائل المجاورة بعد أن اعتنق الكثيرون آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصبح أعداء الوهابية أعداء الإسلام، وبذلك نجحت الحركة وتحولت إلى أيديولوجية دولة حيث أتاحت لعبد الوهاب الدعم والحماية وقدمت لابن سعود الأيديولوجية والأتباع لتنفيذ أهدافه. ومن هنا بدأ آل سعود في تأسيس أول دولة لهم في عام ١٧٩٥ عندما تمكنوا من القضاء على دولة بنى خالد في منطقة الأحساء. وفي هذا الوقت كانت علاقة بريطانيا بال سعود علاقة لا تأخذ أي شكل رسمي سواء من ناحية العداء أو السلم فالإنجليز كانوا يتجنبون الصدام مع الوهابيين طالما كان بريدهم الصحراوي يسير في أمان، ولكن هذه العلاقة تدهورت عندما قرر الوهابيون مهاجمة الكويت والتي كانت بريطانيا قد نقلت إليها مقر بريد شركة الهند الشرقية ولكن قبل وصول الوهابيين كان "نايستي" رئيس الوكالة في شركة الهند قد تمكن من إنزال طرادين بريطانيين إلى بر الكويت لرد هذا الهجوم. وأحدث هذا الهجوم خسائر كبيرة للوهابيين وعزموا على مواصلة الهجوم على البريد الإنجليزي وارتفعت حدة العداء وأحس الإنجليز بالخطر عندما اعتنقت قبيلة القواسم التي كانت تحترف أعمال القرصنة في المنطقة العربية العقيدة الوهابية وأصبحت أعمال السلب والقرصنة نوعاً من الجهاد بعد أن قرر زعيم القواسم تأدية خمس الغنيمة إلى الحاكم الوهابي "آل سعود"، ومع مرور الأيام أصبحت مهاجمة القواسم للسفن في منطقة الخليج لا تهدد إنجلترا فحسب بل أصبحت تهدد أيضاً الخليفة العثماني والذي كان خادماً للحرمين ومثل هذه الأمور تقلل من مكانته وسط المسلمين.

الأمر الذي دفع الخليفة العثماني إلى تكليف الوالي "محمد علي" حاكم مصر للقيام بحملة تأديبية للقضاء على الوهابية وعندما بدأت قوات محمد علي في التحرك ناحية الجزيرة هرع الأمير سعود بن عبد العزيز إلى المفوض البريطاني في منطقة بوشهر ليخبره أنه منع أتباعه من مهاجمة سفن بريطانيا، ولكن بريطانيا رفضت أن تبرم معه أية معاهدات بعد أن لاحظت أن قوات محمد علي في طريقها إلى سحق الوهابيين وقبل وصول قوات محمد علي إلى معقل آل سعود كان سعود بن عبد العزيز قد توفي وخلفه ابنه عبد الله. وفي عام ١٨١٤ وصلت قوات محمد علي إلى الدرعية حيث استسلم عبد الله بن سعود إلى قوات إبراهيم باشا حيث تم اقتياده إلى مقر الخلافة العثمانية

وأعدم بعد أن شهر به لمدة ثلاثة أيام وبإعدامه انهارت أول دولة لأسرة آل سعود وظهرت الدولة الثانية لآل سعود عقب اتساع نفوذ أسرة محمد على بعد أن تمكن إبراهيم باشا من توحيد الإمارات العربية بشكل لا يتفق مع مصالح بريطانيا في منطقة الخليج وزاد من خوف بريطانيا على مصالحها رفض المصريين التعامل أو الدخول في اتفاقيات ثنائية مع بريطانيا .

حدث هذا في وقت بدأت بشائر تمرد محمد على على الخلافة العثمانية تظهر، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى تحريك الأسطول البريطاني في مواجهة خورشيد باشا القائد المصرى لمنعه من الاستمرار في التقدم وتوحيد الإمارات العربية لدرجة أن بريطانيا توسطت للخليفة العثماني للإفراج عن "تركي" ابن عبد الله بن سعود من السجن المصرى في الوقت الذي كانت القوات المصرية قد دمرت الدرعية وتركت إقليم نجد بلا حاكم. الأمر الذي أحدث نوعاً من الفوضى حتى ظهر رجل يدعى محمد بن معمر استغل هذه الفوضى وأجبر غبوش أغا الحاكم العثماني على تولية منصب "إمارة نجد" وهذا الحكم لم يدم طويلاً عقب الإفراج عن تركى بن عبد الله والذي عاد ليؤسس الدولة السعودية الثانية، حيث بدأ في إعداد وتنظيم الفلول الهاربة من الوهابيين حيث تمكن من قتل محمد بن معمر والاستيلاء على الحكم لتقام بذلك الدولة السعودية الثانية. ولكن هذه الدولة لم تدم كثيراً بعدما قرر فيصل ابن تركى الوقوف أمام محاولات خورشيد باشا توسيع النفوذ المصرى على منطقة الجزيرة العربية بإيعاز من بريطانيا، والتي قررت دعمه لمنع توسيع النفوذ المصرى والذي كان يرى أن ظهور إمارة جديدة لآل سعود سوف يحول دون توسيع النفوذ المصرى. وفشلت محاولات خورشيد باشا في إقناع فيصل بن تركى بالوقوف معه ضد الإنجليز ولكن تجربة السجن علمته هو وأسرته أن الالتصاق بدولة قوية هو السبيل الوحيد للاستمرار في الإمارة والحكم ورفض التحالف مع محمد على .

ويعد فيصل أول حاكم في أسرة آل سعود يستطيع إبرام اتفاق مع بريطانيا لمنع أعمال السلب والنهب كما أنه أول حاكم يستطيع التعهد لبريطانيا بالتوسط بينها وبين الأمراء العرب لإقامة علاقات ودية. لذا فقد أحدث الدعم البريطانى إلى فيصل زيادة العداء

بين خورشيد باشا وفيصل، الأمر الذى أدى إلى صدام بينهما انتهى هذا الصدام بموت فيصل وحدوث خلافات حول تولي الإمارة بين ابنه سعود وعبد الله، والذى انتهى بانهيار الدولة الثانية عام "١٨٨٥" ورحيل الأسرة كلها إلى الكويت لتقيم فى ضيافة مبارك الصباح.. ومن هناك تبدأ صفحة جديدة من صفحات أسرة آل سعود وهى المرحلة الخاصة بتأسيس الدولة الثالثة وهى الموجودة حتى الآن.

عقب انهيار الدولة السعودية الثانية لجأت الأسرة بأكملها إلى الكويت فى ضيافة حاكمها مبارك الصباح وأصبح حكم نجد كله فى يد آل الرشيد. وكانت لمبارك الصباح طموحات فى أن يكون له دور فى مجريات الأمور والأحداث وأراد أن يوسع نفوذه فى منطقة الجزيرة العربية، وكان يرى أن الارتباط ببريطانيا أفضل له من تركيا. لذا فقد قام بمحاولة لمساعدة آل سعود فى استعادة حكمهم فى نجد، وذلك بإعداد جيش قسم إلى جناحين الأول يقوده مبارك الصباح والثانى يقوده أحد قواده على أن يتولى مبارك الصباح إلهاء ومناوشات آل الرشيد فى مقابل قيام قائده الحسينى باحتلال الرياض وتسليمها إلى آل سعود. وفى عام "١٩٠١" تحركت القوات للقضاء على عبد العزيز الرشيد حاكم نجد، وقد فشلت محاولة الهجوم وفرت قوات مبارك الصباح وآل سعود من أمام قوات آل الرشيد وأصبح عرش مبارك الصباح مهددا لولا تدخل بريطانيا فى الوقت المناسب وإقامتها حائطا دفاعياً حول حدود الكويت الأمر الذى دفع آل الرشيد إلى التراجع أمام الدفاع البريطانى وسميت هذه المعركة معركة الصريف والى أضافت إلى آل سعود خبرة ودليلاً على ضرورة الارتباط بدولة عظمى لضمان بقائهم، وقربت ولفقت نظر البريطانيين إلى إمكانية استخدام هذه القبائل للحد من النفوذ التركى والذى بدأ بتولى جمعية الاتحاد والترقى الحكم فى تركيا وإعادة اهتمامها بالمناطق التى كانت تابعة لها من الناحية الاسمية. وزاد من أهمية أسرة آل سعود والصباح هو التقارب الشديد بين ألمانيا وتركيا وقيام الألمان بالإعداد لمشروع السكة الحديد لربط الحجاز بالإضافة إلى التقارب بين ألمانيا وروسيا وتسوية الخلافات بينهم، هذا المناخ النفعى دفع بريطانيا دفعا لإعادة أسرة آل سعود إلى حكم الرياض فى عام "١٩٠٢" بقيادة عبد الرحمن آل سعود والد عبد العزيز آل سعود.

وكل هذا الدعم البريطاني كان يتم بشكل غير مباشر وعبر مبارك الصباح واستمرت تلك العلاقة تأخذ شكلاً غير مباشر حتى افتتاح خط سكة حديد الحجاز عام "١٩٠٨" وبافتتاح خط السكة الحديد بدأت المخاوف البريطانية تزداد من نمو الوجود الألماني العثماني في منطقة الخليج العربية حتى جاء عام "١٩١١" وهو تاريخ الحرب التركية ضد الطليان في طرابلس وحروبها في منطقة البلقان. واستغلت بريطانيا هذه الحرب وشجعت آل سعود ودعمتهم للقيام بالإغارة على منطقة الأحساء لاحتلالها في مايو "١٩١٣" وفرحا بالنصر أرسل ابن سعود في ١٣ يونية ١٩١٣ رسالة إلى بريطانيا جاء فيها: "بالنظر إلى مشاعري الودية تجاهكم أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت بينكم وبين أسلافي".

وعقب هذه الرسالة كتب "برسي كوكس" ضابط المخابرات الإنجليزية تقريراً إلى رئاسته جاء فيه: "إن تجاهل محاولات الأمير عبد العزيز المتكررة سوف تحول نظرته إلى نظرة عدائية تجاه إنجلترا"، وأمام اتساع النفوذ التركي في منطقة الجزيرة العربية والتقارب الألماني التركي وخط السكة الحديد الجديد وتقارير المخابرات البريطانية، كل هذه العوامل مجتمعة دفعت بريطانيا في مارس ١٩١٤ إلى توقيع اتفاق بينها وبين الأمير عبد العزيز آل سعود جاء فيه:

١ - تقوم بريطانيا بالمحافظة على الخليج ومنع التعدي على الأمير عبد العزيز آل سعود.

٢ - يعاد النظر في فرص أخرى في مسألة إدخال الأسلحة.

٣ - يحافظ الأمير عبد العزيز على الرعايا الإنجليز وتجارتهم في الخليج.

وبموجب هذا الاتفاق سلمت بريطانيا بالأمر الواقع وأعلنت أن عبد العزيز آل سعود هو والى نجد وتم منحه لقب باشا وصدر فرمان أن تبقى نجد بالوراثة بين أبناء عبد العزيز وهكذا أصبح لأسرة آل سعود معاهدة واتفاق ومعاهدة حماية بريطانية.

وتاريخ توقيع هذه المعاهدة هو بداية العلاقة المباشرة بين بريطانيا وأسرة آل سعود والتي كانت دائماً ومنذ ذلك التاريخ تزداد قوة كلما ساءت العلاقة بين الشريف حسين وبريطانيا.

عندما بدأت
الحرب العالمية
الأولى تلوح
بشائرها في الأفق
كانت المصالح
العثمانية
البريطانية متباينة،
وكانت أهمية
المنطقة العربية
بالنسبة لبريطانيا
تفوق أهميتها
بالنسبة لتركيا لأن
الوطن العربي
ومعابره كان البوابة
إلى مستعمرات
بريطانيا سواء في
الهند أو في
أفريقيا.

يسمونها بالوهابيين ويسمونها مذهبا الوهابي باعتبار أنه مذهب الوهابية ، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأعراس . نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه السلف الصالح . نحن نحترم الأئمة الأربعة ، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، كلهم محترمون في نظرنا . هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هي عقيدتنا ، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها ، وهي التي نتجت مما نحن فيه من محن وأصاب .

أما (التجديد) الذي يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجيتنا من الأمانا فلا يوصل إلى غاية ، ولا يدنينا من السعادة الآخروية . إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة .

إننا لا نبغي (التجديد) الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا ..إننا نبغي مرضاة الله عز وجل ، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه ، وهو ناصره ، فالمسلمون لا يهم التجديد وإنما تعوزهم العونة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، ولقد نوا عن العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، فانغمسوا في حماة الآثام فخذلهم الله جل شأنه . ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان ، ولو أنهم متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله لما أصابهم من محن وأثام ، ولما أصابهم يوم وفخارهم .

لقد رأيت أشياء .. وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالا المغرب والشام ، وجنوبا اليمن ، وغربا البحر الأحمر ، وشرقا الخليج .. لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان وقوة التوحيد ، ومن العدد غير الله وسنة رسوله ، ففصرني الله نصرا عزيزا .

خطاب لعبد العزيز آل سعود يعترف فيه باعتناقه الفكر الوهابي

ورغم هذه

الأهمية فإن تركيا كانت تسيطر على هذا الوطن فالشام والعراق والخلافة العثمانية بكل مستعمراتها تحت إشراف تركيا .

هذا بالإضافة إلى خوف بريطانيا من إعلان الخليفة العثماني الجهاد في بريطانيا المسيحية، وقتها اهتدى فكر الساسة البريطانيين أن الحل يكمن في ضرورة هزيمة تركيا

من الداخل عن طريق إشعال الثورات والفتن داخل منطقة الوطن العربي لإجبار تركيا على إبقاء جيوشها في أماكنها لقمع هذه الثورات.

وقد دار الخلاف بين أجهزة الاستخبارات البريطانية على الشخص الذي يمكن أن يسند إليه دور الزعيم في هذه المنطقة.

على أن يكون

دوره مثل دور بابا الفاتيكان

و قد جاء نص فتوى الخلع على النحو التالي:

إذ اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشريفة المسائل المهمة الشرعية، و أن يمنع بعض هذه الكتب و يوزع بعضها ببعضها، وأن يذو ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي، وأن يقتل الرعية و يحبسهم و ينفهم و يخرجهم بغير سبب شرعي و سائر أنواع المظالم، ثم ادعى أنه تاب و تعاهد الله و حلف أن يصلح حاله، ثم حدث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمم المسلمين كلها مختلة، و أسر على المقاتل، و تمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور، و وردت أخبار متواليه من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتمرون مخلوعاً، و أصبح يقاؤه عطف الضرر، و زواله محتمل الصلاح... فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة و السلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل و العقد و أولي الأمر من هذين الوجهين ؟ الجواب: يجب.

كتبه الفقير
السيد محمد ضياء الدين على عه

اجتمع المجلس العمومي (الأعيان والمبعوثين) للنظر في عزل السلطان
عندما قرأت الفتوى على المجلس سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي
يرأس جلسة المجلسين : أختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل؟
فاجاب جميعاً بالخلع، وعليه صدر قرار المجلس العمومي على النحو التالي:

" يوم سابع ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ و ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (٢٧
أبريل ١٩٠٩) الساعة السادسة ونصف (عربي) (الواحدة بعد الظهر زوالي)
قرأت الفتوى في جلسة الموقفة بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي
بالمجلس العمومي من المبعوثين والأعيان، و رجح بالاتفاق وجه
الخلع الذي هو أحد الوجهين الخبير بينهما، فأسقط السلطان عبد الحميد خان
من الخلافة الإسلامية و التمس العثمانية، و أسعد ولي العهد محمد رشاد
أفندي باسم السلطان محمد خان السلطان، و مقام الخلافة و السلطنة" (٢١)

فتوى شيخ الإسلام محمد ضياء الدين يعزل السلطان عبد الحميد من الحكم

قرار مجلس العموم العثماني بخلع السلطان عبد الحميد من الخلافة

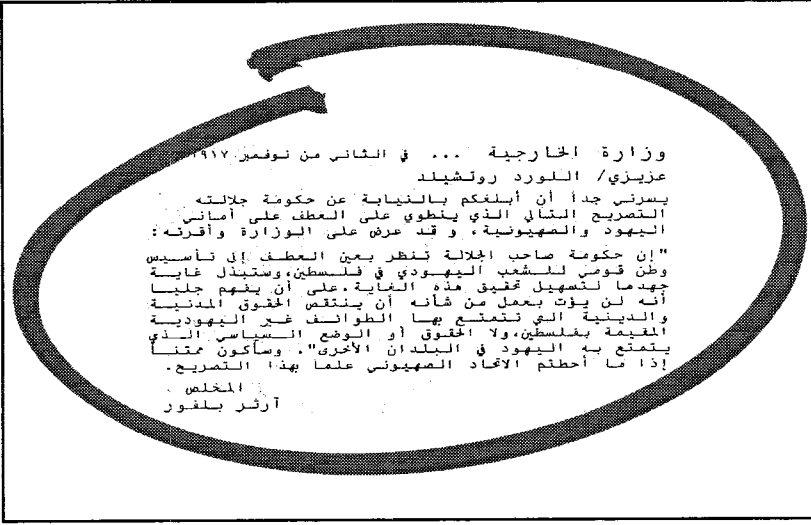
يستمد مكانته من حكمه للأماكن المقدسة وقد حسمت التقارير البريطانية الخلاف حول شخصين يمكن أن يقوم أحدهما بهذا الدور. الشخص الأول هو الشريف حسين والثاني كان عبد العزيز آل سعود. والفريق الأول كان يقوده هوجارث لورانس والفريق الثاني كان يقوده جون سانت فيلبى وكوكس. وانتصر رأى الفريق الأول وتم الاستقرار على إسناد دور بابا الإسلام للشريف حسين، وتدخلت عدة اعتبارات لنصرتها كان أولها أنه من نسب

الرسول وزعامته للعالم الإسلامي كبابا سوف تكون مقبولة، والاعتبار الثاني كان أن الشريف حسين بقرابته للرسول يستطيع إن رفض إعلان الجهاد الذي يعلنه الخليفة العثماني أن يوحد منه العرب والمسلمين كلهم تحت رايته.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلن الشريف حسين ثورته بالاتفاق مع بريطانيا في مقابل حصول العرب على استقلالهم وحقت بريطانيا أهدافها من الثورة العربية، وعندما انتهت الحرب العالمية وجاء وقت الحساب بين الشريف حسين وبريطانيا دب الخلاف بينهما، خاصة بعد نشر كافة تفاصيل معاهدة سايكس بيكو وتوزيع الغنائم. وقد ساءت تلك العلاقات بعد رفض بريطانيا تنفيذ وعودها له بل إنها طلبت منه قبول وضعها في العراق ومصر وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين في مقابل الاحتفاظ له بالحجاز.

وفي يناير ١٩١٩ عقد مؤتمر الصلح بين الدول المتحاربة في فرساي وحضره الأمير فيصل نيابة عن أبيه الشريف حسين، ومنذ وصوله إلى فرساي بباريس بدأت إنجلترا تحشد الدول لإيقاع فلسطين ضمن ممتلكاته ومارست الضغوط على فيصل ابن حسين لقبوله فكرة وطن قومي لليهود مقابل الاحتفاظ بالحجاز لهم، وشتت عليه بريطانيا حرب أعصاب وأصبح في موقف لا يحسد عليه وخاصة أن مطالب أبيه كانت في المطالبة بتنفيذ معاهدة دمشق الخاصة باستقلال العرب. ولكن بريطانيا كانت قد شرعت بالفعل في تنفيذ وعد بلفور فكان الحل لإجبار الشريف حسين على قبول سياسة الأمر الواقع هو تهديده في عرشه رغم حاجة بريطانيا إليه باعتباره أفضل من يقوم بدور بابا الإسلام، فكان تهديده بواسطة شخصية عربية هو الحل وخاصة أن بريطانيا كانت مشغولة بثورات المستعمرات ضدها مثل ثورة "١٩" في مصر بالإضافة إلى أن الشريف حسين قريب الرسول والتعرض إليه يثير الشعوب الإسلامية كلها، فكان لابد أن يكون الصراع عربياً خالصاً. وقتها بدأت إنجلترا البحث في أوراق وتقارير مخبراتها عن الشخص الذي يصلح لتنفيذ هذا الدور وكان عبد العزيز آل سعود هو الأداة التي

استخدمتها
بريطانيا
لتنفيذ هذا
المخطط
كمرحلة أولى
لمحاولة إنشاء
الشريف عن
موقفه.



وزارة الخارجية ... في الثامن من نوفمبر ١٩١٧
عزيزي/ اللورد روتشيلد
يسرني جداً أن أبلغكم بالنتيجة عن حكومة جلالتكم
التصريح التالي الذي يطوي على العطف على آماني
اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:
"إن حكومة صاحب الجلالة تُنظر بعين العطف إلى تأسيس
وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية
جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً
أنه لن يؤتمن عمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية
والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية
المقيمة بفلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي
يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى". وسأكون متناً
إذا ما أحظتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح.
المخلص
آرثر بلفور

وقد

التعهد البريطاني للملياردير اليهودي روتشيلد بإقامة وطن لليهود على أرض فلسطين

أرسلت إليه

بريطانيا لورانس حاملاً معه نص المعاهدة الجديدة بينه وبين بريطانيا والخاصة بقبول فكرة إنشاء وطن قومي لليهود، إلا أن الشريف قام بإصدار بيان وزعه على الشعوب جاء فيه " عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها على استقلال فلسطين وجعلت وعد بلفور في حكم أنه لم يصدر وإذا لم تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة".

وبهذا التصريح وطرده للمبعوث البريطاني بدأت إنجلترا تنفيذ أولى مراحل الضغوط على الشريف حسين لقبول شروطها بواسطة عبد العزيز آل سعود والذي أكد تقرير المخابرات البريطانية في منطقة الجزيرة العربية والذي أعده السير "آرنولد ولسون" وقال فيه: إن تخلي الحسين عن العرش يساعد على تهدئة الموقف ويسهل تسوية قضايانا في فلسطين وسوريا والعراق حسب الخطوط التي يقبل بها الحلفاء. وقد واكب تنفيذ المخطط خطة إعلامية تقوم على تشويه صورة نموذج الرجل قريب الرسول وإظهاره بمظهر الخائن للأمة الإسلامية وتجميل صورة عبد العزيز آل سعود باعتباره مخلص هذه الأمة من أشرارها، وقد ساهم في نجاح الحملة الإعلامية سيطرة الإنجليز على وسائل الإعلام وعدم توافر مثل هذه الوسائل في عالمنا العربي.

هذا عن الحملة الإعلامية أما عن الحملة الحربية فكانت تقوم على ثلاث مراحل المرحلة الأولى هي القضاء على القوة العسكرية للشريف حسين لإجباره على قبول فكرة الوطن القومي لليهود، فإذا فشلت الحملة في إجباره على قبول شروط بريطانيا كانت الخطة الثانية هي التمهيد لاحتلال الحجاز وإظهار أن هذه المرحلة هي بداية مرحلة خلاص الأمة الإسلامية من الاستعمار الأوروبي وقد تواكب مع هذه الخطة خطة أخرى في فلسطين قامت بريطانيا بتنفيذها.

وتحت جنح الظلام تحركت جيوش الوهابيين بقيادة خالد بن لؤى القائد الوهابي متجهة إلى معسكر قوات الشريف حسين والذي كان يشرف على هذا المعسكر الأمير "عبد الله" أبو الخيانات في عالما العريبي والذي غادر المعسكر عند وصول خالد بن لؤى باتفاق مسبق مع بريطانيا مقابل توليه إمارة شرق الأردن.

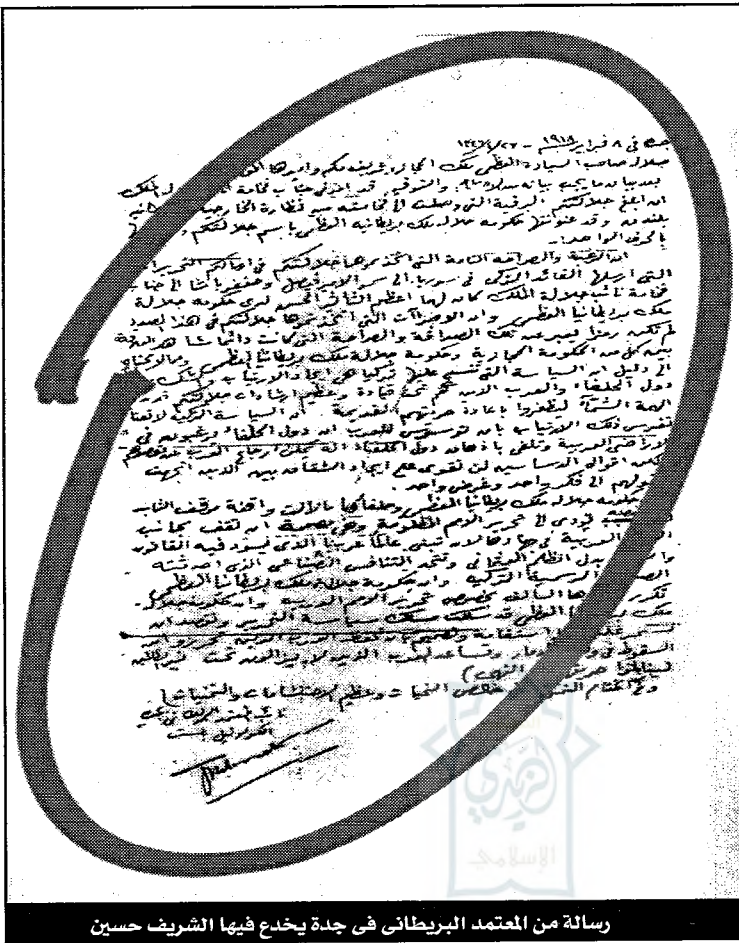
وبينما كانت جيوش الشريف حسين تغط في النوم قام الوهابيون بقطع رؤوس جيش الشريف حسين بمعدات بريطانية وخطة صهيونية وضعها جون سانت فيلبس ليفقد الشريف حسين عشرة آلاف من جنوده وجيشه الذي كانت تخشاه بريطانيا.

وبذلك نفذ عبد العزيز أول خطط بريطانيا لإجبار الشريف حسين على قبول معاهداتها، وكانت بريطانيا ترى أن القيام بعملية محدودة ضد الشريف حسين سوف يجعله يرضخ، هذه التوصية عملت بها بريطانيا بناء على رسالة هربت صموئيل أول مندوب سامي بريطاني إلى الدوق ديفونشي والذي جاء فيه من المحتمل أن التهديد المتزايد على الحجاز من قبل الوهابيين يجعل الشريف حسين أكثر تساهلا واستعدادا لقبول الشروط التي تتلاءم ومقتضيات سياستنا في فلسطين ثم نصحه بإطالة أمد المباحثات بين بريطانيا والشريف حسين. وقد أمرت بريطانيا ابن سعود بالتوقف عن مواصلة هجومه ناحية الحجاز لإتاحة الفرصة أمام الشريف حسين لمراجعة نفسه. وقد تواكب هذا مع بداية تنفيذ بريطانيا لمخطط داخل فلسطين بتنظيم هجرة اليهود وإعادة توزيع الأراضي عليهم واتخاذ القرارات الاقتصادية الخاصة بتكريس الأوضاع لصالحهم.

وبينما كانت قوات آل سعود تحصد رؤوس جيش الشريف حسين كانت بريطانيا وحلفاؤها يطبقون اتفاقية سايكس بيكو وإقامة الوطن القومي لليهود معتمدين على عدم وجود قوات عربية تواجههم، وقامت فرنسا بإدخال سوريا كلها تحت إشرافها واحتلالها بالكامل، بينما قامت بريطانيا باحتلال العراق والتمهيد لتطبيق الانتداب الكامل على فلسطين ووصلت البعثات الصهيونية إلى فلسطين لدراسة الخطط المستقبلية. وقامت الثورات العربية في مصر ثورة "١٩١٩" والعراق وثارَت الشعوب العربية كلها وتكبدت الحكومة البريطانية خسائر فادحة، ولكن كل ذلك يهون في سبيل تنفيذ مخطط زرع الجرثومة اليهودية وكانت الجيوش الوحيدة المجهزة والمؤهلة للحرب هي جيوش الشريف حسين، لذا فإن القضاء عليها كان خيراً وسيلة لتحقيق لأحلامها، ولذلك فقد وصل في أغسطس عام ١٩٢٠ وزير المستعمرات البريطاني الجديد والذي خلف السير ويلسون في تولى الوزارة، وهذا الوزير كان بيرسي كوكس الذي سبق أن وقع أول معاهدة بين بريطانيا وآل سعود وكان هذا الرجل يراهن على أن ابن سعود هو الشخصية التي تستطيع أن تنفذ كل أحلام بريطانيا في المنطقة إذا أصبح بابا الإسلام. وعندما تولى هذا الرجل المنصب سافر إلى ميناء العقير وعقد اجتماعاً معه في ٢٠ أغسطس "١٩٢٠" وتمخض هذا الاجتماع على أن يخلف ابن سعود الشريف حسين في المنطقة في مقابل مساعدة بريطانيا في تنفيذ أحلامها على أن تقوم بريطانيا بتخليصه من كل أعدائه ليتفرغ للقضاء على الهاشميين، لأن بريطانيا كانت تعمل دائماً على عدم الاصطدام مع عقيدة المسلمين والشريف حسين وأسرته يمثلون آل بيت الرسول.

ولم تمض شهور حتى كان ابن سعود قد تم تزويده بالأسلحة المتقدمة بلغة العصر ورجال من عمليات وزارة الدفاع البريطانية لرسم الخطط الحربية حتى تمكن من احتلال حائل وعسير معقل آل الرشيد والذين انهارت على أيديهم الدولة السعودية الثانية، وباحتلال حائل وعسير تمكنت بريطانيا من الحصول على قاعدتين استراتيجيتين هما قاعدة قمران وفرسان واللتين كانتا محل طمع من قبل أمير اليمن دون أن تظهر أنها

متواطئة مع آل سعود ضد الشريف حسين مع تقدم ابن سعود خطوة ناحية منصب بابوية الإسلام، في مقابل ذلك أصبح الشريف حسين في وضع لا يحسد عليه، إذ أصبح وحيدا ومحصوراً في إقليم ضيق بعد تطويقه من الجنوب والشمال والشرق، الأمر الذي يسهل على بريطانيا إجباره على الدخول معها في معاهدة جديدة وقبول فكرة الوطن القومي لليهود مقابل احتفاظه بعرش الحجاز، فبريطانيا كانت ترى أن الشريف حسين إن قبل فكرة الوطن القومي لليهود لن تثور الشعوب الإسلامية لمكانته.



رسالة من المعتمد البريطاني في جدة يخدع فيها الشريف حسين

لذا فقد عادت وأرسلت رجل المخابرات لورانس مرة أخرى ومعه نص المعاهدة الجديدة مع تقديم شروط أقل حدة من سابقتها، وكلما تقدمت المفاوضات بين الطرفين كان الوضع في فلسطين هو المانع من الاتفاق. وقد تصادف في هذه الحقبة التاريخية الهامة أن عقد مؤتمر الصلح في لوزان يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٢ وحضرته

إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وتركيا، وقد رفضت تركيا قبول شروط المعاهدة عند عرضها في أول جلسة، ثم أعيد فتح المؤتمر يوم ٢٣ أبريل ١٩٢٣ مع حضور وفد من اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني والذي بذل محاولات مستميتة في حمل تركيا على الإصرار على ما جاء في ميثاقهم بشأن البلاد العربية، من حقها في تقرير مصيرها، إلا أن المؤتمر انتهى وقد أضفى الشرعية على نظام الانتداب وقد أرسلت وقتها اللجنة الصهيونية وفداً سافر لمقابلة الشريف حسين وقد حمل معه اقتراحات بحل مشكلة فلسطين على النحو التالي:

١ - إنشاء حكومة عربية في فلسطين يرأسها الأمير عبد الله.

٢ - تكون اللغة العربية والعبرية لغة هذه الحكومة.

٣ - يخضع اليهود لهذه الحكومة ويساعدون على إنشائها.

٤ - تحدد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين بنسبة الحاجة.

٥ - يساوى بين العرب واليهود في الوظائف.

وقد رفض الملك هذه الشروط باعتبارها تكريساً وتنفيذاً لوعده بلفور.

واستغل الشريف حسين فرصة الحج وألقى خطبة جاء فيها: "أؤكد لكم أنه إذا لم تفعل حكومة بريطانيا التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع على المعاهدة بل أرفضها رفضاً باتاً، وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضي فلسطين فإننا نحافظ على فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة من دماننا".

وبهذه الخطبة وطرد لورانس مبعوث الحكومة البريطانية ورفضه الموافقة على قبول وضع اليهود في فلسطين وضع الشريف حسين آخر مسمار في نعشه.

وبدأت بريطانيا تجهيز عبد العزيز آل سعود في إنهاء العرش الهاشمي، وقامت مخابراتها بوضع خطة لا تختلف مطلقاً عن خطط دير ياسين وبئر سبع، خطة تقوم على ترويع القرى عن طريق أعمال القتل والذبح في قرية مجاورة لأنها لا تستطيع القتال في

مكة لمكانتها لدى المسلمين بحيث يتناقل الناس والقرى خبر البشاعة والذبح والنهب، كل هذا سوف يخيف باقى القرى المجاورة وسكانها.

وقد اختارت بريطانيا مدينة الطائف مسرحاً لتنفيذ خطتها مع تأمين ابن سعود من ناحية العراق والأردن حتى لا يمد أولاد الشريف حسين عبد الله وفيصل المساعدة لأبيهم، ولكى تبعد بريطانيا نفسها عن شبهة التورط ولكى تبين أن الخلاف عربى خالص وضعت خطة دعائية سبقت تحرك ابن سعود وتقوم على تشويه صورة الشريف حسين وأنه هو خائن هذه الأمة وأنه الذى قضى على الخلافة الإسلامية ووضع يده فى يد المسيحيين وأن ابن سعود هو مخلص هذه الأمة من هذا الشر، معتمدة فى ذلك على سيطرتها على مساحة كبيرة من المستعمرات وتوافر المطبوعات والمجلات والصحف المنتشرة فى كافة المستعمرات بل لمزيد من التخطيط فقد أوعزت إلى ابن سعود أن يرسل رسائل إلى جميع القناصل الأجنبية رسالة جاء فيها:

"ليس لنا فى رعاياكم مسألة إلا إن كان لكم قدرة على إخراجه من جدة فأخرجوه وإلا ميزوا رعاياكم وعرفونا بمحلهم".

وفى يوم ١٤ أغسطس ١٩٢٤ تحرك الجيش الوهابى بقيادة خالد بن لؤى منفذ مذبحه تربة والخورمة فى اتجاه مدينة الطائف ومزوداً بكافة الأسلحة الحديثة وغذاء يكفى للحرب عامين وخطط عسكرية تدرس فى أعرق الكليات الحربية فى العالم، كل هذا وبريطانيا كأنها بعيدة كل البعد وأن هذا هو المخطط لكل هذه المعركة.

وبوصول خالد بن لؤى قامت قواته بتنفيذ المخطط البريطانى فقامت بفصل رؤوس الرجال وأصبحت الشوارع تسبح فى بحيرة من الدماء حتى بلغ عدد القتلى ألفين وسبعمائة وخمسين قتيلاً، وفر العديد من السكان إلى مكة ليحتموا بالحرم وقد نجحت خطة بريطانيا عندما أعلن الشريف حسين مقابلة جيوش ابن سعود فى شوارع مكة، لأنه بهذا التصريح كشف عن حالة الإحباط واليأس التى أصبح فيها لأن القتال فى الحرم محرم لدى المسلمين، الأمر الذى دفعحزب الوطن الحجازى الذى أسسته بريطانيا إلى

مطالبة الشريف بمغادرة البلاد حقناً لدماء المسلمين. وقد طلب أولاد الشريف حسين من بريطانيا التدخل لحل النزاع إلا أن بريطانيا ردت عليهم بأنها لا تتدخل فى صراع بين عربيين حلفاء لها، وعادت بريطانيا وقررت التدخل وأمرت قوات ابن سعود بالتوقف عن الزحف، لعل الشريف حسين يقبل شروط بريطانيا ويعدل المعاهدة إلا أن إصرار الشريف حسين على تنفيذ بنود معاهدة دمشق سنة "١٩١٥" وتعديلها بإنشاء حكومة دستورية فى فلسطين، جعل بريطانيا تتراجع عن مساعيها وطلبت من ابن سعود الاستمرار فى الهجوم وطلبت من حزب الوطن الحجازى الضغط على الشريف حسين لمغادرة البلاد والتنازل عن الحكم لابنه على.

وبالفعل تحقق ما أرادت إنجلترا فقد تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه على وبعدها أصدرت بريطانيا تصريحاً وبياناً جاء فيه يوم ١٥ أكتوبر ١٩٢٤ أنه بالنظر لتنازل الشريف حسين عن العرش فليس فى وسع الحكومة البريطانية أن تواصل المفاوضات بشأن مشروع المعاهدة مع الحجاز كما وضعه الشريف حسين.

وبتنازل الشريف حسين والتصريح البريطانى دخلت جيوش ابن سعود مكة وتراجع جيش على بن الشريف إلى جدة لتدور آخر معارك ابن سعود للوصول إلى عرش الحجاز.

وعلى مشارف جدة عسكرت قوات جيش الإخوان "الوهابيين" بقيادة عبد العزيز آل سعود لمدة عامين عجزت خلالهما عن الدخول إلى هذا الميناء الحيوى لأن قوات الملك على بن الشريف حسين كانت أكثر خبرة وأكثر دراية بجغرافيا المكان بالإضافة إلى أن جدة كانت آخر أمل للشريف حسين بعد تنازله عن العرش، ومن العقبة حيث إقامته الجديدة أخذ يرسل المال والعتاد، فقامت بريطانيا بقطع أى محاولة للأمير عبد الله فى الأردن فيصل فى العراق لمساندة أخيهم فى جدة كما قررت أيضاً طرد الشريف حسين من العقبة إلى منفى اختياري له فى قبرص باعتبار أن وجوده يمثل خطراً ويزعزع الأمن فى هذه المنطقة.

وأرسلت بعثة من ثلاثة أشخاص بحجة أنهم لجنة للصلح بين المسلمين رغم أن أعضاء هذه اللجنة كانوا من المسيحيين. فالأول هو جون سانت فيلبى والثانى أمين الريحاني الوكيل الأمريكى فى المنطقة والثالث طالب النقيب عدو الهاشميين والجميع مسيحيون، وإن كانت الحقيقة أن هؤلاء الثلاثة كانوا فى مهمة تجسس على القوات الجوية لقوات الأمير الذى كان يملك "١٢" طائرة وكان جيش الإخوان يعتبرها شياطين والسيارات الحربية كانت حصان إبليس. وانتظرت شبكة التجسس وعبد العزيز آل سعود حتى أكتوبر ١٩٢٥ وهو شهر وصول ضابط المخابرات جلبت كلايتون، وبمجرد وصوله إلى المنطقة قامت قوات الإخوان بعد أسبوع من وصوله بالهجوم على كافة الجهات ضد جيوش الملك على لدرجة أن حاكم مكة استغاث بالعالم الإسلامى من هجوم جيوش الإخوان على مكة لتدميرهم وضربهم الأماكن الإسلامية وقتل الأمنين، لدرجة ضرب مدينة الرسول بالمدافع. وأمام هذا الهجوم اضطر الملك على إلى التسليم ولكنه أراد أن يثبت للعالم كله أن وراء هذه المؤامرة والقوة هى بريطانيا وليست أسرة آل سعود. لذا نراه يوم ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ يقوم بتسليم الحجاز للمعتمد البريطانى فى جدة المستر جوردن وفى ٢١ ديسمبر ١٩٢٥ غادر الملك على جدة إلى العراق. وفى اليوم ذاته وصل المستر جوردن والشيخ عبد الله زينل رئيس الحكومة المؤقتة، وقدمها لابن سعود قائلاً أن المهمة الإنسانية التى يسعى إليها هى التوسط لحقن الدماء قد انتهت وإنه يقدم لابن سعود بصورة رسمية رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين أمامه فشكره ابن سعود واثى على عمله فى سبيل السلام. ويتسلم جدة طويت آخر صفحات المؤامرة البريطانية لتنفيذ مخططاتها لإقامة الدولة اليهودية ولتبدأ صفحة جديدة فى الدور الذى بدأ يلعبه عبد العزيز آل سعود كبابا للإسلام وحامى المصالح البريطانية فى المنطقة بتسليم جدة ورحيل الملك على إلى العراق وتسليم الحجاز إلى عبد العزيز آل سعود تبدأ مرحلة جديدة من مراحل أسرة آل سعود فى تنفيذ وعد بلفور وإقامة وطن قومى لليهود ولكن هذه المرحلة تختلف عن سابقتها، فالمرحلة السابقة كان دور آل سعود دوراً خفياً يتسم بالسرية، حرصت بريطانيا على إخفاء دورها فى تحريك آل سعود ضد القضية العربية.

ولكن وعقب تسليم جدة دخلت العلاقة بينهما مرحلة العلانية وأصبح ابن سعود يجاهر بولائه للإنجليز وتنفيذ رغباتهم، وبدأت بريطانيا على الجانب الآخر

تتعامل معه على أنه هو بابا للإسلام.

وجاء المؤتمر

الإسلامي الأول الذي

عقد في عام ١٩٢٦

تحت شعار تخليص

العالم الإسلامي من

الاستعمار هو أول اختبار

لموقف عبد العزيز آل سعود من

قضية فلسطين، وقد بدأ المؤتمر بالخطبة

الافتتاحية والتي فضحت حقيقة عبد العزيز آل سعود والتي قال فيها: "إنكم أحرار اليوم في مؤتمركم هذا وراء ما يفيدكم به دينكم ومن التزام أحكامه إلا بشئ واحد وهو عدم الخوض في السياسة الدولية وما بين الشعوب وحكوماتها من خلاف فإن هذا من المصالح الوضعية الخاصة بتلك الشعوب".

ثم استكمل خطبته طالبا من الوفود أن تقتصر مناقشات المؤتمر حول بحث تحسين الطرق المؤدية بقوله أن استيلاءه على الحجاز أمر جازم.

وبهذه الخطبة أعلن عبد العزيز آل سعود موقفه بصراحة من قضية وضع فلسطين، ولم تكن الخطبة هي الإعلان الوحيد عن دور آل سعود في استغلال المؤتمر الإسلامي.

بل إنه عندما اجتمعت الوفود الإسلامية أمام الكعبة اقترح الشيخ عبد الله بن بلهيد أن تقسم الوفود الإسلامية الحاضرة المؤتمر على أنهم سوف يسعون بكل قواهم لتخليص

جدة في اول مارس سنة ١٩٢٦ م
جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد :
بعد إبداء عظيم الاحترام ، أتشرف بان أخبر جلالكم اني قد كلمت قتل
حكومة جلالة ملك بريطانيا ان أعزف جلالكم بان حكومة جلالة الملك تعترف
بجلالكم ملكا على الحجاز . على أنه يقتضي لي أن أضيف على ذلك أنه بينما
تعترف حكومة جلالة الملك بسلطنتكم على الحجاز تدوم على اعتبارها أن أسلوب
الحكم في الأماكن المقدسة الإسلامية وجميع المسائل الدينية المتعلقة بذلك هي من
المسائل التي تخص بالمسلمين فقط والتي لا يجب على حكومة جلالة الملك أن
تبدي رأياً فيها ، كما وأنها لا ترغب في ذلك . .
وتفضلوا بقبول فائق التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد وفضل بريطانيا بجدة
وعجل فضل جوردان

أول اعتراف بريطاني بحكم

عبد العزيز آل سعود للحجاز ونجد

الأماكن المقدسة من النفوذ الأجنبي وبمجرد اقتراح هذا القسم على الوفود وشرح أغراضه ورد الفعل الذى سوف يحدثه فى نفوس المسلمين حين يتصل إلى مسامعهم وقتها، أظلمت الدنيا فى عيني ابن سعود وحبذ مستشاريه لتأجيل البت فى هذا الاقتراح إلى العام المقبل مؤكداً أن النية موجودة لمثل هذا العمل.

ولم يكن هذا هو آخر مواقف ابن سعود للحيوالة دون مناقشة قضية وضع اليهود فى فلسطين بل احتج وهدد بإلغاء المؤتمر وعدم استضافته مرة أخرى، عقب الموافقة على تأجيل القسم إلى العام المقبل طلبت الوفود مناقشة قضية تخليص المقدسات الإسلامية وإدراجها فى جدول الأعمال بما فيها قضية الشام وبمجرد طرح هذا الموضوع للمناقشة علق ابن سعود استمرار المؤتمر على حذف هذا الاقتراح من جدول الأعمال.

وكانت أكثر المواقف بحاجة عندما طرح مستشارو عبد العزيز آل سعود فكرة تنصيب ابن سعود منصب بابوية الإسلام وذلك تحت شعار أن ابن سعود دان له حكم الحجاز لذا وباعتباره حارساً للأماكن المقدسة فلا بد أن تكون له سيادة نوعية على العالم الإسلامى.

وهنا تدخل الشيخ الظواهرى ممثل مصر ليفضح حقيقة علاقة آل سعود بالغرب، وبدأ كلامه بنقد خطبة الملك ابن سعود وكانت بدايته مقولته أننا لا نقبل تدخل أجنبياً فى هذه البلاد الطاهرة أيا كان نوعه، وكان رد الشيخ الظواهرى على هذه الفقرة أن كلمة أجنبى هذه مجاملة فإذا كان المراد بها من يدين بالإسلام فذلك ما يؤيده فيه كل العالم إلا أن تطبيق ذلك مع الجمع بين سلطنة نجد ومملكة الحجاز يحتاج إلى دراسة المعاهدات التى عقدها نجد مع الدول الأجنبية خشية أن يكون فيها ما يحمل إقرار الجميع بوجه من وجوه التدخل الذى نهى عنه الملك، وضرب مثلاً لذلك بأنه إذا فرض أن لدولة أجنبية حق التدخل فى تعيين سلطان نجد من بين آل سعود كان معنى ذلك أن لهذه الدولة حق التدخل فى تعيين ملك الحجاز ما دام سلطان نجد هو ملك الحجاز.

وقد سببت هذه الاستفسارات من الشيخ الظواهرى إحراجاً لابن سعود لدرجة تجنيده لكل مستشاريه للتوسط لدى الشيخ الظواهرى لسحب مذكرته مقابل سحب الملك خطبته الافتتاحية.

وقد سحب الملك خطبته وسكت الشيخ الظواهري وماتت قضية المقدسات فى فلسطين.

وقد تبته الإنجليز وقتها وابن سعود بضرورة تعديل معاهدة الحماية البريطانية على الحجاز وكافة اتفاقياتها مع ابن سعود.

لأن المؤتمر كشف إمكانية ثورة المسلمين من أجل الأماكن المقدسة، وكان مخططها هو تنصيب ابن سعود كبابا للإسلام ليخدم مصالحها، لذا فقد قامت بريطانيا بتعديل معاهدة ١٩١٥ التى من شأنها إثارة مشاعر المسلمين وإبرام معاهدة جديدة تحقق لابن سعود قدراً من الوضع المتميز مع عدم الالتزام ناحيته بأية تعهدات حول وضعها فى البلاد العربية خاصة مسألة فلسطين، حتى لا يحدث لها مثل الذى حدث من الشريف حسين. وبذلك المعاهدة أصبح ابن سعود بابا للإسلام لوقوع الأماكن الإسلامية تحت حمايته وأطلق لبريطانيا العنان لتحقيق حلمها بزرع جرثومة على جانب قناة السويس لتأمين ممتلكاتها عبر البوابة السرية.

وبمجرد تعديل المعاهدة والتعامل مع ابن سعود على أنه بابا للإسلام بدأ ابن سعود يلعب دوراً جديداً يقوم على البعد كل البعد على ما يتعارض مع مصالح بريطانيا ومخططها فى المنطقة العربية، ولعل موقفه من ثورة البراق التى وقعت أحداثها عام "١٩٢٩" هو خير دليل على هذا الكلام.

فالبراق عبارة عن حائط بحى الحرم الشريف ويعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرج منه إلى السماء فى ليلة الإسراء وأن البراق ربط فى تلك الليلة فى الغرفة التى يدخل جزء منها وسط الحائط الغربى ويسمى هذا الحائط البراق، والمسلمون وهم يملكون الحرم الشريف يملكون أيضاً الحائط الغربى منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام والرصيف الملاصق لهذا الحائط والذى يقف عليه اليهود عند قيامهم بفروض الصلاة وقف إسلامى مؤيد لدى متولى الوقف وقد عنى به المسلمون على مختلف الأزمان عناية خاصة.

وحائط البراق هو فى الوقت نفسه حائط المبكى وآخر آثار الهيكل اليهودى الذى هدمه الرومان يؤمه اليهود ويبكون مجدهم الغابر، وقد سمح لهم المسلمون منذ القرون الوسطى بزيارة هذا الحائط على أن يكتفوا بالزيارة وفى يوم الصيام المعتاد المعروف باسم تسعة "آب" والذى يحتفل فيه بذكرى آخر هيكل لليهود جرت العادة عند اليهود ممن يكونون بالقدس أو بالقرب منه ويستطيعون زيارة الحائط أن يقوموا بهذه الزيارة بشرط احترام قدسية المكان الإسلامى. ولكن ومنذ انتهاء الحرب العالمية أخذ اليهود يفكرون فى تثبيت حقوق واسعة لهم فى هذا المكان عن طريق الحال الذى كان موجوداً قبل الاحتلال، وبدأوا خطواتهم الأولى عام ١٩١٩ بما قدموا من عرائض رسمية نشروها فى مقالات عديدة، لدرجة نشر صورة هيكل جديد مكان مسجد قبة الصخرة ونشروا الصور يعلوها العلم الصهيونى. وفى عام ١٩٢٩ وعقب انتهاء المؤتمر الصهيونى السادس عشر الذى عقد بزيورخ فى شهر يوليو وتقرر فيه طلب فتح باب الهجرة على مصراعيه، عقد أول اجتماع تأسيسى للوكالة اليهودية خلال الفترة من ٢٨ يوليو إلى ١١ أغسطس وأرسلت الوكالة رسالة إلى حاكم مدينة القدس أكدت فيها على أن عدداً من الشباب اليهودى يريدون زيارة حائط المبكى، وقد وافق حاكم القدس بشرط عدم الهتاف أو رفع الأعلام والتظاهر احتراماً لمشاعر المسلمين.

ولكن وبمجرد وصول مكعب اليهود إلى حائط المبكى ارتفعت الأعلام وحاولوا عمل ستائر حول حائط البراق وأخذوا ينشدون نشيد هاتيكفا وهو النشيد اليهودى وأخذوا يرددون قولهم الحائط حائطنا عار على الذين يندسون أماكننا المقدسة، عار على الحكومة. الأمر الذى أثار المسلمين وهبوا للدفاع عن المسجد الأقصى، وبدلاً من منع اليهود قامت الشرطة البريطانية بضرب المسلمين وإلقاء القنابل على المسجد الأقصى.

وباعتبار ابن سعود هو بابا المسلمين فقد كان المتوقع منه التدخل لحماية مقدسات المسلمين لأنه سبق أن طلب عام ١٩٢٦ أن تكون له سيادة نوعية على العالم الإسلامى. ولكن كل ما فعله هو إرسال خطاب إلى ملك بريطانيا عبر فيه عن سوء الأثر الذى أحدثه تدخل بريطانيا إلى جانب اليهود. وتوالت بعد ذلك المواقف المخذلة لابن سعود، وفى يوم ٧ ديسمبر ١٩٣١ عقد مؤتمر إسلامى بالقدس لمناقشة قضية المقدسات الإسلامية، غلا

أن ابن سعود رفض الحضور بعد أن علم أن هناك "١٤٥" شخصية عربية قررت اتخاذ موقف جماعي ضد الاستعمار البريطاني في القدس، لذا فقد رفض ابن سعود الحضور أو إرسال مندوب عنه خوفاً من أن تغضب عليه بريطانيا.

.....

ولعل ما حدث عام "١٩٣٦" هو أخطر دور لعبه ابن سعود في خدمة اليهود، وهذا العام هو الذي شهد قيام أول ثورة فلسطينية حقيقية بعد أن تأكد الفلسطينيون أن عدوهم الأول هو بريطانيا. وقد اشتعلت الثورة ولاقت تأييداً من كافة دول العالم الإسلامي، وأصبحت بريطانيا في موقف لا تحسد عليه لدرجة أنها بدأت تعيد حساباتها بشأن وضع فلسطين بعد أن بدأت رياح التمرد تظهر بين المسلمين وتؤيد الثورة.

هنا لجأت بريطانيا إلى بابا المسلمين وحامى الحرمين وبدلاً من أن يعلن تأييده للثورة وإعلان الجهاد من فوق منبر الحرمين نجد أنه يلعب أخطر دور في تاريخ المسلمين، فقام يوم ١٣ يولية ١٩٣٦ بإرسال رسالة إلى عبد الله بن الشريف حسين أمير الأردن يقترح فيها التقدم لتوجيه نداء عام يشترك فيه سموكم وجلالة الأخوين الملك غازي والإمام يحيى ندعو فيه أهل فلسطين لتوقف الاضطرابات ليفسحوا للحكومة البريطانية المجال لإنصافهم في جو هادئ، فإن مثل هذا النداء إذا قبل ووقفت الحركة، بعده يكون لنا جميعاً وجه عند الحكومة في رجائها بقبول مطالب أهل فلسطين وإنصافهم. وفي يوم ١٢ أغسطس من نفس العام أرسل إلى اللجنة العربية نداء فيه أن الواقع في بلاد فلسطين قد آلمنا كما آلم كل مسلم وعربي ومن أجل ذلك توالت المراجعات والمداومات منذ مدة بيننا وبين جلالة الملك يحيى والملك غازي. وبريطانيا على استعداد لنظر قضية فلسطين بعين العطف بعد أن تهدأ الحالة.

واستجابت اللجنة العربية وأهل فلسطين لنداء بابا الإسلام وتوقفت المظاهرات وهدأت إلى الحالة التي استطاعت فيها بريطانيا توسيع قبضتها وإحكام سيطرتها على البلاد وانتظر أهل فلسطين نظر بريطانيا إليهم بعين العطف حول مطالبهم.

وكان رد بريطانيا حول مطالب أهل فلسطين هو ما قيل تحت قبة مجلس العموم في ٤ نوفمبر ١٩٣٦ والذي أعلنه وزير المستعمرات البريطاني والذي جاء فيه: لم تتقدم حكومة صاحبة الجلالة بأى طلب على الإطلاق إلى أن من الحكام العرب للمساعدة أو المشورة فيما يتعلق بفلسطين وأن الحكام العرب قد أبدوا تلقائياً وبالطرق السلمية رغبتهم في استخدام نفوذهم لدى عرب فلسطين لصالح السلام، وقد أخبروا رداً على استفساراتهم بشأن موقف حكومة صاحبة الجلالة من القضية أن الحكومة ليس لديها اعتراض على أن يوجه الحكام العرب نداء إلى عرب فلسطين بإيقاف الاضطرابات وحملات العنف شريطة

إلى أبنائنا عرب فلسطين.
 "لقد تألنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين: فنحن، بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب و الأمر على الله، ندعوكم للسكينة حقناً للدماء، محتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المخلصة لتحقيق العدل وتقرباً بأبنا سنواصل الشغنى في سبيل مساعدتكم"

برقية الحكام والأمراء العرب التي أجهضت الثورة الفلسطينية

بلاغ
 من القيادة العامة للثورة العربية في فلسطين
 إلى عموم المجاهدين
 في المناطق و الميادين في سوريا الجنوبية "فلسطين".
 تاريخ الصدور: ١٩٣٦/١١/١٢
 تلبية لنداءات ملوكنا وأمراءنا العرب ونزولاً على طلب اللجنة العربية با
 تطلب توقيف أعمال العنف تماماً، وعدم التحرش بأي شيء يفسد
 المفاوضات التي تأمل فيها الأمة العربية الخير و نيل حقوق البلاد كاملاً
 وأن تتجنب أي عمل من شأنه أن يعد حجة علينا في قطع المفاوضات
 كما أنني أطلب من إخواني المحافظة على أسلحتهم مع الحظية و الحذر التام
 وأن يكونوا على استعداد لتلبية النداء عند الضرورة إذا لم تنجح المفاوضات
 و كل من يخالف تعليماتنا هذه يعد خارجاً على الجماعة، و يستحق العقاب
 و غضب الله ... إنني أجد أرواح الشهداء و أحيي البطولة و الشجاعة النادر
 التي أظهرتموها في جميع ميادين الشرف و التي كانت موضع إعجاب العالم أجمع
 الدفاع عن الحق المقدس في البلد المقدس ... إننا نرحب بالسلم الشرير
 تعدي عليه، و لكنا عند اللزوم ندافع عنه، و لن نرمي السلاح.
 أئد العام للثورة العربية في سوريا الجنوبية "فلسطين"
 فوز الدين القاروقجي

نداء قادة المقاومة الفلسطينية للمجاهدين بوقف
 المقاومة استجابة لطلب الملوك و الحكام العرب

أن يكون غير مشروط، ولم تقدم حكومة صاحبة الجلالة أية تعهدات أو دعوة صريحة أو ضمنية، كما أنه كان واضحا تمام الوضوح للحكام المعنيين أن حكومة صاحبة الجلالة غير مستعدة للدخول فى أى نوع من التعهدات على الإطلاق.

وإذا كان ابن سعود قد تدخل لإجهاض أول ثورة فلسطينية لصالح بريطانيا عام ١٩٣٦؟ إلا أنه لم يحاول أن يكفر عن خطاياہ بل اندفع اندفاعا لخدمة بريطانيا على حساب المقدسات الإسلامية، مستغلا منبر الحرمين فى الدعوة لبريطانيا ومجدها. وقد أكدت الحكومة البريطانية على أهمية الدور الذى لعبه ابن سعود أثناء الحرب العالمية فى تقرير ٢٨ أبريل ١٩٤٣ والذى أعده تشرشل والذى جاء فيه:

"إن الساسة العرب باستثناء ابن سعود والأمير عبد الله لم يبدوا أى تعاطف نحو بريطانيا أثناء الحرب".

أما عن الدور الذى لعبه ابن سعود أثناء الحرب فكان أوله هو إرسال ابنه على رأس قوة إلى مرسى مطروح للحرب بجانب بريطانيا، فى وقت كان يستطيع أن يقطع كل خطوط الإمداد عن بريطانيا لموقعه المتميز.

وأثناء الحرب العالمية الثانية أعلن المسلمون العصيان على بريطانيا وهاجموا القوات البريطانية وكان ينقصهم الدعم المعنوى من حامى الحرمين إلا أنه لم يستطع الإقدام على أية خطوة تهدد حكومة صاحبة الجلالة.

وفى العراق وعلى بعد كيلو مترات منه قامت الثورة العراقية بقيادة رشيد غالى وبدلا من تقديم العون لهم أغلق حدوده ورفض تقديم أية مساعدات وكانت آخر أدوار ابن سعود فى خدمة بريطانيا لصالح اليهود هو ما حدث فى ٨ يونية ١٩٤٦ أثناء انعقاد دورة طارئة للجامعة العربية لمناقشة الاقتراحات والإجراءات التى يجب اتخاذها لمواجهة موقف لجنة البريطانية الأمريكية الخاصة بتحقيق وعد بلفور وإقامة وطن قومى لليهود.

فى هذا التاريخ استقر رأى الوفود العربية فى فندق بلوردان بسوريا على أن:

١ . الحالة فى فلسطين تتطور إلى صدام عنيف وقد ينشأ عن ذلك أن يتخذ عرب فلسطين لأنفسهم الحيطة بترتيبات مماثلة ويقع الاحتكاك بين القوتين ولن تستطيع

الحكومات العربية منع شعوبها من التطوع بجميع الوسائل لنصرة عرب فلسطين بالمال والسلاح والمجاهدين.

ثم كان الاقتراح الثانى الخاص بإلغاء ما يكون لبريطانيا وأمريكا من امتيازات داخل الوطن العربى هو أهم الاقتراحات.

وقتها أرسل ابن سعود رسالة إلى مندوبه رافضا تلك الاقتراحات متعللاً أن جلالتة يرى التزام سياسة الحذر وألا تغامر الدول العربية بأمر لا تثق بنتائجه.

.....

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية خرجت بريطانيا مدينة للولايات المتحدة الأمريكية بـ ٤٥٠ مليون جنيه بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة قامت بإلقاء قنبلتى هيروشيما ونكازاكى لتجمع بذلك بين القوة العسكرية والاقتصادية، فكان من الطبيعى أن تتلاشى الامبراطورية البريطانية ويغيب نجمها أمام القوة الأمريكية وتسلم لها ميراثها كله فى الشرق، لذا كانت أول خطوة اتخذها ابن سعود هو تغيير قبلته من لندن إلى واشنطن ليبدأ فى تنفيذ نفس الدور الذى لعبه لصالح بريطانيا فى الماضى. وكانت البداية فى يناير ١٩٤٥ عقب نهاية مؤتمر يالطا عندما فاجأ الرئيس روزفلت المستر تشرشل بعزمه الطيران إلى البحيرات المرة بمصر لمقابلة الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وهيلا سلاسى. وفى اتجاه ميناء جدة تحركت مدمرة أمريكية لنقل ابن سعود إلى الإسماعيلية لمقابلة روزفلت لتصل إلى الإسماعيلية يوم ١٤ فبراير وعلى ظهر الطراد الأمريكى أعلن روزفلت تبعية ابن سعود لأمريكا وإنهاء سيطرة ونفوذ بريطانيا عليه، الأمر الذى دفع تشرشل أن يقول مقولته المشهورة: "إن هناك مؤامرة لنسف الامبراطورية فى تلك الجهات".

وأصبح عبد العزيز يودى نفس الدور الذى كان يؤديه لصالح بريطانيا، وعندما أبدى أصحاب شركات التنقيب عن البترول مخاوفهم من خطوة تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى المشكلة العربية الفلسطينية، رد الرئيس الأمريكى على مخاوفهم بنص

رسالة مرسله إليه من عبد العزيز آل سعود فى عام ١٩٤٣ طلب فيها ابن سعود من الإدارة الامريكية أن تستشيريه قبل الإقدام على أى عمل يتعلق بفلسطين وردت الحكومة الأمريكية عليه بأنها لم تتخذ أى خطوة فى تأييد إقامة الوطن اليهودى دون مشورته فى ٢٦ آبار , ١٩٤٣ هذه الرسالة كانت اللغز الذى ظل لسنوات يبحث عن إجابة على التساؤل حول كيفية قيام دولة يهودية بمباركة أمريكية رغم مخاوف أصحاب شركات النفط على مشاريعهم، وكانت رسالة آل سعود إلى الإدارة الامريكية وطلب المعرفة والمشورة قبل الإقدام هى خير إجابة على السؤال.

فما عاد على ابن سعود وأسرته من أرباح البترول يفوق فى أهميته فلسطين فالبترول سلعة استخراجية فى بلد متخلف لا تملك وسائل تكريره واستخراجه، والإدارة الأمريكية وشركاتها قدمت المال والمعدات لابن سعود وتأمين الملك وحكمه بعد زيادة النفوذ الروسى وأطماعه فى المنطقة العربية.

لكن هل توقف دور ال سعود عند حد تسهيل اقامه اسرائيل اما تحولت تعهدات عبد العزيز ال سعود للامريكان الى عهد توارثه ابناؤه من بعده فى تأمين بقاء اسرائيل وسط يركان من الغضب وكيف تعامل ال سعود مع المتغيرات العربية وخروج الاستعمار البريطانى والفرنسى من المنطقه العربية





6

ظهور إمبراطورية..
واشنطن تخرج من الظل



.....

عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتحدد بشكل نهائى قطبا السيطرة على العالم وتقسيمه ما بين تابع للأمريكان وتابع للروس ظلت النظرة البريطانية إلى موقع العالم العربى لا تفارق عيون الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

بل إن أهميته بالنسبة للولايات المتحدة وروسيا قد تضاعفت وتدخلت عوامل لمضاعفة أهمية موقع الوطن العربى فالموقع الجغرافى لروسيا فرض عليها قيوداً من حيث قدرتها على الحركة والاشترك فى أسواق التجارة الدولية فموقعها يجعلها حبيسة الطبيعة طوال العام وينقطع الاتصال بينها وبين العالم الخارجى فالامتداد الجغرافى لها يشرف على المحيط المتجمد الشمالى الذى لا يصلح للملاحة البحرى إلا أشهر قليلة ويتجمد باقى العام.

وظل الروس طوال حياتهم يحلمون بالوصول إلى مناطق الحياة الدافئة التى تمكنهم من الحركة المرنة طوال العام.

وكانت مثل هذه الأحلام درياً من دروب المستحيل وطمأ صعب المنال وأى توسعات كانت لا بد وأن تصطدم مع العديد من الدول.

وظلت الأحلام الروسية حبيسة العقول وأدراج العسكريين حتى جاءت الفرصة للروس لإجراء تعديلات وتغييرات فى الحصار الذى فرضته عليهم الطبيعة وتساعدهم فى الوصول إلى المياه الدافئة ونشر كل ما آمنوا به من عقائد وأفكار والفرصة جاءت مع

انتهاء الحرب العالمية الثانية وانهيار القوة البريطانية والفرنسية حيث أصبحت روسيا الدولة الأقوى فى أوروبا على الإطلاق فأصبحت القوة العسكرية بجانب الأفكار (الشيوعية) جواز مرور الروس إلى الاتصال بالحياة الدافئة وممارسة حرية أكثر فى الحركة.

ومع غياب النجم البريطانى ورثت الولايات المتحدة كامل التركة البريطانية وكان عليها أن تقوم بنفس الدور الذى كانت تقوم به بريطانيا رغم أنها من الناحية الجغرافية لن تقوم بأى دور مؤثر فى العالم القديم فهى بعيدة عن العالم القديم ويفصلها عنه محيطان ظلت ومنذ قيام ثورتها حريصة لمنع التدخل الأوروبى ومناهضة نفوذه الاقتصادى والعسكرى وإن ظلت هى مهيمنة على مقاليد الأمور سواء الاقتصادية أو العسكرية فى أمريكا اللاتينية.

وقد ساعد إحكام السيطرة ومنع النفوذ الأوروبى من الوصول إليها على نمو وضعها الاقتصادى والذى تواكب مع التطورات الصناعية والاكتشافات البترولية. وشكل الفكر الماركسى والفكر الرأسمالى مذهبين متناقضين؛ فعلى قمة الفكر الماركسى كانت تجلس روسيا وعلى الجانب الآخر كان تجلس الولايات المتحدة وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تدافع عن نفسها أولاً وعن أوروبا كلها التى أصبحت هدفاً سهل المنال للفكر الروسى ودار صراع بين الأمريكان والروس؛ صراع حرصت فيه الولايات المتحدة وهى تقود المعسكر الغربى وقوته البحرية على أن تحكم قبضتها على أطراف جزيرة العالم على أمل التحكم فى القوى البرية للمعسكر الشرقى.

فى الوقت الذى حرصت فيه روسيا على ألا تمكن الأمريكان من أن يحققوا هذا الأمل لكى لا تتاح لهم الفرصة من بعد أن يفرضوا عليها أن تظل حبيسة فى موقعها الداخلى؛ ومن ثم تمنحهم فرصة السيطرة الكاملة على العالم.

يعد عام ١٩٤٧م وهو عام ميلاد الصراع العلنى بين الروس والأمريكان بعد أن اتفق القطبان على الدخول فى صراع من نوع البقاء المشترك حيث يظل الطرفان يسيطران على إدارة الصراع دون أن يتجاوز أحدهما نقطة المفاجأة فى الصراع.

التحركات الروسية نحو الشرق سببت مخاوف للمعسكر الغربى كله وجعلت صناع القرار بالغرب يدركون أن المصالح العليا لهم تقتضى القيام بدور أكثر إيجابية من الدور الثقافى.

وكان الدافع وراء نزوع الغرب لعدم الاكتفاء بالدور الثقافى فى الشرق (زيادة أهمية النفط) والذى ظهر بقوة فى الوطن العربى وزادت استخداماته وفى السياق ذاته كان لدى الغرب قناعة بأن سيطرة الروس على الشرق لن تؤثر فقط على طريق وخطوط المواصلات بل إن التخطيط لخطوط الطيران فى المستقبل سوف تتعرض أيضاً للخطر. وكان التساؤل لدى صناع القرار فى المعسكر الغربى هو كيفية إقامة سياسة دفاعية فى ظل وجود عدة عقبات رئيسية.

أولها: تحقيق تعاون أمريكى بريطانى فى احتواء النفوذ الشيوعى فى المنطقة العربية فى ظل التوجس العربى من بريطانيا.

وتمثلت العقبة الثانية بالمعادلة الصعبة التى كانت تقع على عاتق الأمريكان وهى الوفاء بالمتطلبات التى فرضها عليها عبء تعاطفها مع إسرائيل وأن تحافظ فى الوقت نفسه على الاستقرار بالمنطقة فى مواجهة عداء العرب المتزايد لإنشاء دولة لليهود على أرض فلسطين.

وخلال الفترة من عام ١٩٤٧م وحتى عام ١٩٥٢م ظلت الولايات المتحدة حاملة عبء المغامرات الروسية فى منطقة الشرق وتدخلت لمواجهة امتداد النفوذ الروسى فى تركيا وإيران وفى أغلب الأحيان كانت تضطر الولايات المتحدة أن تستجيب للمطالب الروسية.

وظلت الخطط الأمريكية فى مواجهة التوسعات الروسية ثابتة حتى قيام ثورة (يوليو) ١٩٥٢م فى مصر والتى ثبتت أركانها وأخذت طابع الاستقرار منذ عام ١٩٥٦م وهو العام الذى شهد انتقال زعامة عبد الناصر من النطاق الجغرافى المحدود بحدود مصر إلى زعامة التحرير فى العالم كله.

ومع حكم عبد الناصر كان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد تقييم كافة مخططاتها الرامية لاحتواء النفوذ الشيوعي فسياسة عبد الناصر كان من شأنها تقويض وإفساد مخطط الأحلاف العسكرية.

فتمكن من القضاء على (حلف بغداد) وهو فكرة فى المهد وأفضل محاولة الاستعمار فى الالتفاف حول العالم العربى واستخدام أراضيه تطبيقاً لمبدأ (أيزنهاور) فى استخدام أراضيه بحجة حمايتها من الخطر الروسى الأمر الذى أدى إلى فقدان الولايات المتحدة فرصة الحركة على امتداد الأراضى العربية وضياع العمق الأرضى الذى كان مطلوباً منه أن يدعم الحلف المركزى من جانب ويساند الجناح الجنوبى لحلف الأطلنطى من جانب آخر.

وكان هذا كله دافعاً إلى أن تعيد الولايات المتحدة حساباتها وخطتها فى مواجهة القوة البرية مرة ومجال انتفاعها بالميراث الهائل الذى انتقل إليها من بعد انحسار الاستعمار مرة أخرى.

وهذا معناه أنها أقرت وقبلت فقدان العمق الاستراتيجى فى قطاع كبير من العالم إلى حين.

ويتمثل هذا القطاع فى أفريقيا عامة والأرض العربية خاصة وبينى الأمريكان خططهم الجديدة فى المنطقة على الاعتماد على العمق المائى بصفة أساسية بحيث يصبح البحرين الأحمر والمتوسط محوراً لحركة مرنة وسريعة تمكن الولايات المتحدة من أن تحافظ على وجودها وعلى توصيل دعمها المباشر إلى الحلف المركزى وعلى حماية الجناح الجنوبى لحلف الأطلنطى فى جنوب أوروبا.

وكانت الحركة البحرية فى كل من هذين البحريه ترتكز على مواقع وقواعد موالية فى حوض البحر ذاته مثلما ترتكز إلى تفوق فى السيطرة البحرية على المحيط الأطلنطى الشمالى فى ظهير البحر المتوسط وإلى تفوق مناظر فى السيطرة البحرية على المحيط الهندى فى ظهير البحر الأحمر.

وقامت الولايات المتحدة بتدعيم علاقاتها بإسرائيل استناداً إلى موقع إسرائيل الذى كان يكفى للتصدى لأى محاول إيجابية لفرض التحكم على تحركات الملاحة الدولية واستغلال القيمة العظمى للموقع الجغرافى الحاكم من جانب مصر بالذات حيث كان الموقع الإسرائيلى يمثل رأس الجسد الذى تنتهى إليه الحركة المرنة فى البحر المتوسط وتعتمد عليه بصفة أساسية فى فرض وجود لها فى القوات المناسب لحماية لمصالحها ودعمًا للحلف المركزى وقد ساعد إحكام السيطرة ومنع النفوذ الأوروبى من الوصول إليها على نمو وضعها الاقتصادى والذى تواكب مع التطورات الصناعية والاكتشافات البترولية. وكانت (إيلات) الميناء الإسرائيلى على رأس خليج العقبة موقع القدم الأخرى للحركة المرنة فى البحر الأحمر.

وظل الوضع بين الدولتين يسير بحساسية بالغة حتى ظهور عبد الناصر والذى بدأ علاقته بدعم وتأييد روسيا فى مقابل تعنت وإنكار أمريكى للحقوق العربية وكانت العلاقة المتميزة بين مصر (عبد الناصر) وروسيا محل تخوف من جانب الغرب كله خاصة بعد دخول مصر بكل ثقلها فى (الحرب اليمنية) ودعمها لثورة اليمن وتأيى النظام الجمهورى. فأصبح الهاجس من قيام عبد الناصر بقطع الطريق فى البحرين الأحمر والأبيض ووقف الحركة المرنة للولايات المتحدة فى العمق المائى هو المسيطر على أفكارهم ويسبب التقارب المصرى الروسى وخوف الأمريكان من تمدد النفوذ الشيوعى فى الشرق نما أول ضلع فى مثلث العداء ضد (عبد الناصر) عداء نهايته جاءت على خلاف مقدماته.

* * *

.....

لما وصلت القوات المصرية إلى اليمن بدأت الاستخبارات الأمريكية تعيد رسم خططها المستقبلية فى وسائل الدفاع عن الجزيرة العربية بصفة عامة والأراضى السعودية بشكل خاص، ليس خوفًا من وصول الأفكار الناصرية إلى هناك بل لأن مستقبل الصناعة الأمريكية أصبح مهددًا بالخطر والذى بدأ يعتمد على البترول السعودى فى مصانعه

وتمويل قواعده العسكرية منذ بداية الثلاثينيات. ويهدد حليفها الأول في منطقة الشرق وهي العلاقة التحالفية التي بدأت منذ (فبراير ١٩٣١). عندما تقدمت المفوضية الأمريكية بالقاهرة بطلب إلى الحكومة الأمريكية للاعتراف بنظام عبد العزيز آل سعود كحاكم سلطنة نجد والحجاز.

وفي أول مايو (عام ١٩٣١) قدمت الولايات المتحدة الأمريكية اعترافاً دبلوماسياً كامل بحكومة الحجاز ونجد وسعت في الوقت ذاته إلى إبرام اتفاقية تجارية وملاحية وقعت بالفعل في عام ١٩٣٣ بعد تغيير سلطنة نجد والحجاز إلى اسم المملكة السعودية.

ورغم توقيع اتفاقية تجارية واعتراف دبلوماسي إلا أن الولايات المتحدة لم تسرع في إقامة وجود دبلوماسي دائم. وإن كان هذا راجعاً إلى حالة الكساد العالمي، بالإضافة إلى أن منطقة الحجاز ونجد لم تكن ضمن المناطق الأكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة. لذا فقد اكتفت الحكومة الأمريكية بإسناد رعاية المصالح الأمريكية إلى المفوضية الأمريكية بالقاهرة.

واستمرت مفوضية القاهرة في رعاية المصالح الأمريكية بنجد حتى (عام ١٩٣٩) وهو العام الذي وافق فيه الرئيس الأمريكي (روزفلت) على طلب وزير خارجيته بضرورة إقامة وجود دبلوماسيين في السعودية.

ومع قيام الحرب العالمية الثانية تغير شكل العلاقات الدولية كلها، وانقسمت دول العالم إلى معسكرين حلفاء ومحور وانعكست الآثار السلبية للحرب على الدول التي كانت تعتمد على المعونات في حكمها.

من هذه البلاد كانت السعودية التي كانت تتلقى دعماً بريطانياً بالإضافة إلى عوائد الحج. في هذه الأجواء السياسية والاقتصادية لم يجد عبد العزيز آل سعود وسيلة لمواجهة نفقات دولته الوليدة سوى طلب المعونة من الأمريكان والإنجليز إلا أن طلبه رفض (أمام الرفض الأمريكي البريطاني بدأ عبد العزيز يبحث وراء دوافع رفض الأمريكان والإنجليز منحه مساعدات مالية واكتشف عبد العزيز أن موقفه الحيادي من الحرب

العالمية هو السبب وراء رفض الأميركيان والإنجليز. خاصة بعد إعلان الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة تركز جهودها الرئيسية لمساعدة البلدان التي تقاوم العدوان أو



عبد العزيز آل سعود بصحبة نائب رئيس شركة أرامكو ماكسرسون
في زيارة للمنطقة الشرقية

البلدان التي توجد أهمية للدفاع عنها لأسباب جغرافية وبإعلان الرئيس الأمريكي شروط تقديم المعونات والمساعدات الحربية والاقتصادية تخلى عبدالعزيز عن حياده وأعلن دخوله لمساعدة بريطانيا ودول الحلفاء.

ومع دخول السعودية الحرب العالمية الثانية قامت الولايات المتحدة

الأمريكية بإبلاغ المفوض الأمريكي (كارل تويتشيل) بجدة بأن مجموعة من الخبراء والمهندسين في طريقهم إلى السعودية ليكونوا تحت إمرة الملك عبد العزيز. وأن تكاليف هذه البعثة سوف تتحملها الإدارة الأمريكية دون أن تتكف المملكة العربية السعودية شيئاً بالإضافة إلى إبلاغ الملك عبد العزيز بشكل غير رسمي أن مشكلة المساعدات المالية في طريقها إلى الانقراض وفي رسالة المفوض الأمريكي بجدة إلى وزير خارجيته (هول) والتي جاء فيها أن الولايات المتحدة قد تحتاج إلى الحصول على تسهيلات واسعة النطاق في

السعودية لكي تواصل الحرب. وأكد أهمية إنشاء قواعد جوية أمريكية تستخدم لتحجيم دول المحور نظراً للتفوق الملموس للقوات الألمانية.

هذا عن الجانب المادى من دور آل سعود أما عن الجانب المعنوى من الدور فهو قائم على استغلال حكم عبد العزيز آل سعود للدولة الموجود بها مقدسات المسلمين فدول الحلفاء كان معظمها يحتل العديد من الدول الإسلامية مثل بريطانيا فى مصر وفرنسا فى سوريا. بالإضافة إلى زيادة الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين. وكانت هذه الدول تخشى ثورة الشعوب الإسلامية وإعلان وقوفها بجانب دول المحور. وكان المطلوب من (عبد العزيز) استغلال حكمه للأماكن المقدسة فى الحيلولة دون إعلان الشعوب الإسلامية الجهاد وتبرير تواجد قوات الحلفاء فى أراضيهم. ونجحت سياسة التلويح بالمساعدات الاقتصادية فى تطويع عبد العزيز آل سعود فى خدمة أهداف الأمريكان فى الحرب العالمية. وبدأ المخطط الأمريكى يؤتى ثماره.

وكانت الرسالة التى أرسلها عبد العزيز إلى الرئيس الأمريكى روزفلت فى (١٣ مايو ١٩٤٢) والتى أعلن فيها استعداده لتقديم مساعدة أكبر للمجهود الحربى الأمريكى هى بداية أول تواجد عسكري أمريكى فى المنطقة العربية، فقد انتهز الأمريكان حاجة عبد العزيز إلى معونات اقتصادية وعينت وزارة الحربية الأمريكية ضابطاً مرافقة فريق كيرك مع بعثة لبحث الجوانب العملية لإنشاء مهابط الطائرات فى السعودية ورغم أن كيرك نفسه لم يتلق من وزارة خارجيته تفاصيل عن مهابط الطائرات أو الممرات الجوية المطلوبة من السعودية، فإنه علم قبل رحلته إلى القاهرة أن الوزير المفوض البريطانى فى جدة قد اتصل بوزير المالية السعودى بخصوص إمكانية الحصول على حق استخدام المجال الجوى وإنشاء مهابط للطائرات فى السعودية. إزاء ذلك أثار كيرك الموضوع مع وزير المالية السعودى وابتهج للغاية عندما أكد له الوزير أنه لن يكون هناك اعتراض على تحليق الطائرات الأمريكية فى الأجواء السعودية أو على الساحل السعودى.

بمجرد أن تسلمت وزارة الخارجية الأمريكية تفاصيل من وزارة الحربية عن الممرات المعنية والمناطق المطلوبة قامت فى (٧ يوليو ١٩٤٢)، بتنبيه كيرك إلى ضرورة بدء

المناقشات مع السعوديين، وكان المسئولون فى واشنطن متشائمين بصدد الرد السعودى المحتمل. ومتشككين فى جدوى الاتصال بابن سعود بهذا الشأن ما لم يكن هذا الطلب مصحوباً بعرض للمساعدة المالية، وما لم يكن الملك مطمئناً إلى أن بلاده ستتوافر لها الحماية ضد أى هجوم قد تشنه عليها دول المحور. لكن كيرك وموسى كانا متفائلين وواثقين من أن الملك سيصرح باستخدام الطائرات الأمريكية للمجال السعودى، وربما أيضاً بإنشاء مهابط للطائرات.

وقد أثبتت الأحداث أن تفاؤل كيرك وموسى كان له أساس متين، ففى (أغسطس ١٩٤٢) وافق ابن سعود على طلبات استخدام المجال الجوى التى تقدمت بها البعثتان الأمريكية والبريطانية فى جدة، وكان هذا الإذن عوناً للحلفاء فى توفير ممر جوى مباشر لطائراتهم التى تحمل العتاد الحربى إلى الاتحاد السوفيتى عن طريق إيران.

ومع ذلك ومع استمرار الحرب، ومع التزايد السريع للنشاط العسكرى الأمريكى أصبحت إدارة (روزفلت) أكثر اهتماماً بتدعيم العلاقات مع السعودية، وأقل ميلاً لاتخاذ وضع ثانوى بها بالنسبة للبريطانيين.

وجاءت الخطوة الأولى على هذا الطريق فى (يناير ١٩٤٣) عندما أوصت وزارة الخارجية (إدوارد ستيتينيوس)، Edward R. Stettinius مدير هيئة (الإعارة والتأجير) بإضافة السعودية إلى قائمة البلدان المؤهلة للحصول على مساعدة الإعارة والتأجير. وأوضحت المذكرة التى وقعها مساعد وزير الخارجية (دين أتشيسون) Dean Acheson أن الحكومة السعودية قد منحت الولايات المتحدة حق استخدام أجوائها، وأن هذه الامتيازات الإضافية، ربما لن تتاح للأمريكيين ما لم تقدم الولايات المتحدة مساعدة مباشرة للسعودية. وأضافت المذكرة أن برنامج المساعدة المقترح متواضع، وأن التعاطف المستقيم الذى يبديه ابن سعود تجاه الاخلاص لقضية الحلفاء له قيمة كبيرة لا تقدر. كما أن (ستيتينيوس)، بدوره أوصى بأن يتوصل الرئيس إلى النتيجة اللازمة عن ذلك، وهى أن الدفاع عن السعودية أمر حيوى للولايات المتحدة. وفى (١٨ فبراير ١٩٤٣) فعل روزفلت ذلك. واصطدم الاهتمام الأمريكى المتزايد حديثاً بالسعودية، بوضع النفوذ البريطانى

التقليدي في المنطقة الذي يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، والذي كانت الحكومة البريطانية ترغب في أن تراه يزداد. وعندما شجع (كيرك في ١٨ يناير ١٩٤٣) على الإسهام الأمريكي في إنفاق مستمر مقترح ينم وضعه مع البريطانيين لمساعدة السعودية بالأموال لتعويض النقص الناجم عن انخفاض عدد الحجاج، فإنما كان يرى أن المشاركة الأمريكية ستساعد على موازنة الميل الواضح المتزايد تجاه التغلغل الاقتصادي البريطاني في المنطقة. بالإضافة إلى أنه كان يعتقد أن النظام الذي بموجبه تقدم المساعدة الأمريكي للسعودية من خلال البريطانيين يؤدي إلى أن تفقد الولايات المتحدة مكانتها في نظر السعوديين، الذين بدأوا يشعرون بنحو متزايد أن البريطانيين هم أصدقائهم الوحيدون.

استجابت وزارة الخارجية الأمريكية للأخذ بنصيحة كيرك بسرعة.

ولعبت التقلبات الاقتصادية وآثارها السلبية على النفوذ البريطاني بالإضافة إلى زيادة استخدامات البترول والذي تدفق بقوة من الأراضي السعودية، الدور الرئيسي في تقويتها.

ففي (٨ يونيو ١٩٤٣) وجه الأدميرال (ليهى) بالنيابة عن الهيئة المشتركة لرؤساء الأركان - مذكرة إلى الرئيس روزفلت من أن أمريكا ليس لديها مخزون كاف من النفط الخام المحلى اللازم لتلبية متطلبات القوات المسلحة والاحتياجات المدنية الأساسية.

وشددت المذكرة على أن دواعى الأمن القومى تتطلب اتخاذ خطوات فورية لضمان استمرار السيطرة على احتياطيّات نفطية كافية لتلبية احتياجات أمريكا، وأوصت بأن تقوم هيئة التعمير والتمويل التابعة للحكومة بتأسيس هيئة يكون الغرض منها امتلاك احتياطيّات بترولية خارجية، وقد اقتنع الرئيس بأهمية المشكلة، ووجه (ليهى) لمقابلة وزير الخارجية (هول) شخصياً، لوضع الترتيبات اللازمة لحصول الحكومة على احتياطيّات نفطية كافية من طريق اكتساب حصة في حقول النفط السعودى.

ونظراً لتأثير روزفلت بفترة خدمته في وزارة البحرية فإنه اقترح أن تحصل الولايات المتحدة السعودية على حق امتياز نفطى يكون مماثلاً في الغرض احتياطيّات الوقود

النفطى اللازمة للبحرية فى أمريكا، التى تستخدمها الولايات المتحدة عند الضرورة، وأن تدفع الحكومة السعودية مبالغ المال المعتادة مقابل النفط بالقدر الذى أخذته به.

واعترف وزير الخارجية بأهمية المسائل البترولية على البنية الكلية للسياسة الخارجية الأمريكية. ومع خريف (١٩٤٥) أصبحت لندن تسعى باستماتة للحصول على المساعدة المالية من الولايات المتحدة. ونجحت بالفعل لفى الحصول على قرض قيمته ٤,٤ مليار دولار فى (ديسمبر ١٩٤٥) ولأن البريطانيين كانوا يتوسلون الحصول على المعونة الأمريكية فإنهم أصبحوا أقل ميلاً لتحدى سياسات واشنطن فيما يتعلق بالسعودية، لا سيما وأن السعودية كانت تحظى فى قائمة أولويات وزارة الخارجية البريطانية بألوية أدنى من بلدان أخرى فى الشرق الأوسط كان الوجود البريطانى فيها أقوى تقليدياً، ورغم أن رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل كان قد أعلن فى مؤتمر الثلاث الكبار فى بوتسدام الذى عقد فى (٢٢ يوليو ١٩٤٥) أن بلاده ستتولى مسئولية حفظ السلام فى السعودية، فإن ذلك لم يكن أكثر من إيحاء لا إرادية لسياسة ماتت بالفعل. فقبل ذلك بشهر كانت حكومته مرغمة على أن تبلغ وزارة الخارجية الأمريكية أن حالة الطوارئ المالية التى تمر بها تمنعها من أن تعطى أكثر من ٥ ملايين دولار كمعونة للسعودية، وقبلت لذلك أن تقدم واشنطن مبلغاً أكبر وأن تظفر بالنفوذ الأعظم. وفضلاً عن ذلك، كانت حكومة حزب العمال الجديدة برئاسة (كلمنت أتلى) التى هزمت تشرشل فى الانتخابات العامة فى (يوليو ١٩٤٥) أقل استعداداً من سالفاتها لتكريس موارد نادرة للحفاظ على الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس على ما هى عليه، سليمة لا تمس، وكانت أكثر استعداداً للتسليم بمسئولية أمريكا عن الدفاع عن المصالح الغربية فى السعودية، ومن جانبها.. كانت إدارة ترومان مستعدة تماماً للاضطلاع بالمسئوليات البريطانية هناك.

ولم يكن ابن سعود أقل شغفاً لرؤية نفوذ الولايات المتحدة وهو يتسع فى بلده وفى (٣١ يوليو ١٩٤٥) قام ابنه فيصل، وزير الخارجية، بزيارة واشنطن مرة ثانية، منتهزاً هذه الفرصة لحضور مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو. ولأن الرئيس الأمريكى ووزير خارجيته كانا خارج واشنطن فقد كان جوزيف وزير الخارجية بالنيابة فى استقبال فيصل، وكان فيصل متلهفاً للتأكيد على الصداقة والثقة اللتين يكنهما الملك للولايات

المتحدة. وأعلن أن السعودية تسمح للمواطنين الأمريكيين بالاشتراك فى النشاطات التى لم يكن مسموحاً بها لرعايا أى قوة عظمى أخرى. وقال إن والده لا يمكن أن يتحرك فى هذا المجال بسرعة أكثر من اللازم لأن ذلك سيكون من شأنه تقوية عود أعدائه التقليديين، وإنه - لهذا السبب - رفض بعثة التدريب العسكرية الأمريكية.

هذا النجاح الذى أحرزته محادثات فيصل فى واشنطن، والاتفاق الموسع للمعونة الأمريكية، انعكسا على الفور فى موقف أكثر استجابة من جانب السعوديين، ففى (٦ أغسطس ١٩٤٥) قبلت الحكومة الملكية على الفور اقتراحاً بإقامة القاعدة الجوية المزمعة فى الظهران. وكانت الشروط التى قبلتها السعودية بالغة الكرم والسخاء إذا ما وضعنا فى اعتبارنا الطبيعة المغلقة للمجتمع السعودى. فقد قامت السعودية - فى سابقة لم يحدث لها مثيل من قبل فى كل الممارسات السعودية - بمنح الولايات المتحدة الحق فى بناء واستخدام وتشغيل وصيانة قاعدة لا تتجاوز مساحتها ٢٥ ميلاً مربعاً ينشأ بها مدرجان للطائرات ومنشآت للمحق يسع ٥٠٠ شخص، ورغم أن القاعدة قد وصفت فى الاتفاقية بأن المقصود منها أن تستخدم فى الحرب العالمية ضد اليابان - فإن واشنطن أعطيت الحق فى استخدامها لفترة ثلاث سنوات بعد انتهاء



هذه الحزير آل سعود فى لقاء مع الرئيس الأمريكى روزفلت بالسويس فى فبراير ١٩٤٥

العداوات وتم الاتفاق - فضلا عن ذلك - على إدخال ٣٥٠٠ أجنبي إلى البلاد من بينهم ٥٠٠ أمريكي، لبناء القاعدة.

ولم تسبب نهاية الحرب مع اليابات فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥ أى تقليص فى العلاقات بين عبد العزيز آل سعود والأمريكان.

وشهدت المرحلة التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً وصل إلى حد وحدة المصير بين آل سعود والأمريكان، ساهم فى ذلك انهيار القوة الاقتصادية والعسكرية لبريطانيا فى وقت أصبحت فيه الولايات المتحدة الأمريكية بجانب الاتحاد السوفيتى القوتين الوحيدتين فى العالم.

فى السياق ذاته كانت المملكة العربية السعودية فى حاجة لالتصاق بالولايات المتحدة الأمريكية لعدة أسباب:

أولها: خوفها من الأفكار الشيوعية التى بدأت تغزو الدول العربية، والتى أصبحت تهدد بزوال العرش السعودى، بأفكارها المضادة للرجعية وحكم الأسر، بالإضافة إلى أن الاعتماد الأساسى لبقاء آل سعود كحكام للجزيرة العربية قائم على البترول وهو سلعة استراتيجية تعد عديمة الجدوى إن لم تجد من يقوم بإخراجها وتكريرها. وصارت العلاقات السعودية الأمريكية آخذة فى التطور والتقارب حتى كانت السعودية هى الدولة الأكثر تأثيراً والأكبر مكانة بين كل الدول العربية، واستطاعت خلال الفترة من عام (١٩٤٧ وحتى يوليو ١٩٥٢) أن تلعب دور الدولة الكبيرة.

وبنهاية عام (١٩٥٢) وهو العام الذى شهد قيام ثورة يوليو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر بدأ دور الدولة الكبيرة فى التآكل وأخذت مصر مرة أخرى الريادة، الأمر الذى أحدث إزعاجاً لأسرة آل سعود والأمريكان معاً.

فمنذ قيام ثورة يوليو وحرب السويس فى (١٩٥٦) تزعم عبد الناصر حملات منظمة لفضح الأشكال الجديدة من أشكال الاستعمار والتى كانت تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية متخذة وسائل احتيالية واتفاقيات للتعاون العسكرى. وكلما علا نجم مصر فى

الأوساط الدولية وأخبار انتقال ثورتها من دولة إلى أخرى كانت السعودية تحاول الدخول معها فى حلبة السباق لإظهار عدم تبعيتها للغرب ومع مرور الوقت عجزت السعودية أن تخفى حقيقة الارتباط بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية وخلال الفترة من يناير (١٩٥٧ وحتى منتصف عام ١٩٦٥) قام عبد الناصر بفضح جميع المخططات الأمريكية السعودية فى السيطرة على الوطن العربى وإصدار شهادة وفاة للقضية الفلسطينية.

وكانت قضية مبدأ (أيزنهاور) أولى القضايا التى أثارها عبد الناصر. وقصة مبدأ (أيزنهاور) أو قانون أيزنهاور هى أول تطبيق عملى للعلاقة بين الأمريكان وآل سعود والمبدأ الأمريكى والذى شرع لتأمين عرش السعودية يقوم على فكرة إعطاء الحق للولايات المتحدة الأمريكية فى استخدام القوة العسكرية ضد أى دولة تسيطر عليها الشيوعية.

وكان المقصود هنا وقت الموافقة على هذا المبدأ داخل الكونجرس الأمريكى إيجاد شرعية فى استخدام القوة العسكرية ضد عبد الناصر. والذى أثار قضية القواعد الجوية الأمريكية بمنطقة (الظهران) واستطاع عبد الناصر أن يحشد كل الدول العربية لإعلان رفضها لمبدأ (أيزنهاور). وقد وقعت مصر وسوريا ضد المبدأ وأعلنت السعودية تأييدها لمصر فى موقفها الرافض.

إلا أن الملك سعود عقب اجتماعه بالقاهرة مع عبد الناصر وإعلان تأييده لموقف عبد الناصر سافر إلى الولايات المتحدة وهناك وقف ليعلن مساندة الولايات المتحدة الأمريكية فى تطبيق مبدأ (أيزنهاور). بالإضافة إلى تجديد حق استخدام قاعدة الظهران الجوية لمدد أخرى.

وفى سبتمبر (١٩٦٢) قام شقيق الملك سعود (الأمير طلال) بالهروب إلى مصر وكشفه ملفات الفساد المستشرى داخل المملكة العربية السعودية والعلاقات الخفية بين الملك سعود والأمريكان وفى ظل هذه الأجواء وبينما الحملات الإعلامية وتبادل الاتهامات بين القاهرة والرياض قامت الثورة اليمنية وتولى حكم جمهورى بدلا من حكم (أسرة الإمام)

فى سبتمبر (١٩٦٢) وعلى الفور أرسلت الحكومة المصرية قوات لتأمين الثورة الجديدة واعتبرت السعودية أن قيام حكم جمهورى بجوارها ودعمه من قبل مصر يعد تهديداً لعرش أسرة آل سعود.

وفى الوقت ذاته اعتبر الأمريكان وصول عبد الناصر إلى اليمن هو بداية لسيطرة روسية على مياه البحر الأحمر بالإضافة إلى الخشية من تهديد العمل فى شركة (آرامكو) البترولية والتي يعتمد الأمريكان عليها فى استخراج البترول. وبينما كانت السعودية تقوم بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر كانت الطائرات الحربية الأمريكية فى طريقها إلى الرياض لتأمين العرش السعودى.

بالإضافة إلى نشر خطاب للرئيس الأمريكى يتعهد فيه بالدعم الأمريكى الكامل للحفاظ على استقلال السعودية بالإضافة إلى التلويح بالتهديد بقطع المساعدات الأمريكية عن مصر. بجانب إجراء مناورات مشتركة بين القوات الأمريكية والسعودية.

وفشلت كل المحاولات الأمريكية لإقناع عبد الناصر بسحب القوات المصرية من اليمن. حيث علق عبد الناصر سحب القوات على شرط وقف الدعم السعودى لقوات الأمير بدر وهو الشرط الذى رفضه الأمير فيصل.

فبدأت القوات المصرية بغارات جوية فى إشارة تهديدية تأديبية لأسرة آل سعود وأصبحت الغارات المصرية على جبال جيزان مصدر قلق للأمريكان وآل سعود وهو الأمر الذى كان يستتبع رد فعل حاسماً تجاه عبد الناصر.

.....

إذا كانت الغارات الجوية للقوات المصرية على جبال جيزان السعودية هدفها التهديد فقط دون الدخول فى حرب شاملة.

إلا أنها كان لها تفسير آخر من جانب آل سعود تفسير كان يجدد ويؤكد فى أذهان آل سعود شكل العلاقات السعودية، وأنها علاقة تصادمية تناحرية جوهرها التنافس على زعامة العالم الإسلامى بشكل عام، وبشكل خاص زعامة المنطقة العربية منذ أسرة محمد على.

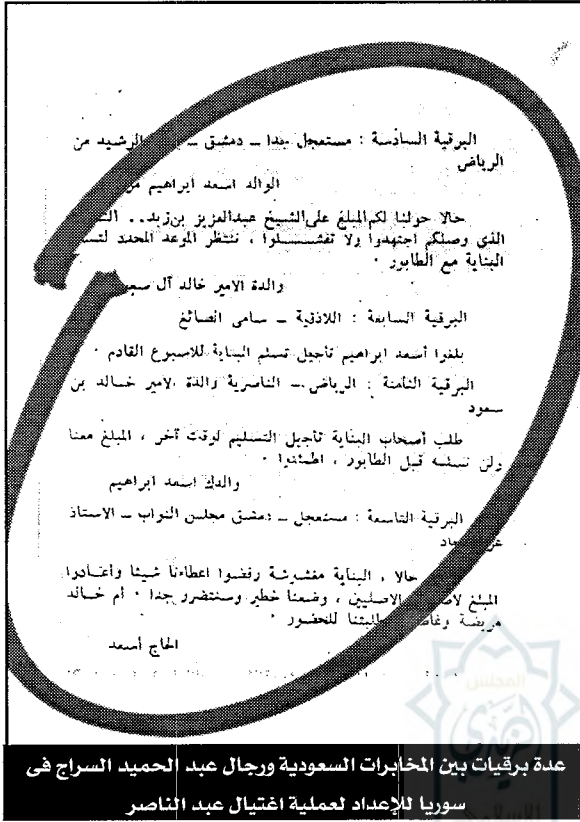
فالعلاقات بين مصر وآل سعود منذ البدء كانت مثل طاولة الشطرنج تتقابل فيها الخطوط أحياناً وتتقاطع أحياناً وتتوازي أحياناً أخرى.

وإن ظلت السمة الغالبة للعلاقة هي العداء. ودائماً ما كان المصريون مثلون لآل سعود الحلم المزعج الذى يرتبط بهدم الديار والخروج إلى التيه حتى أن تجاربهم فى التعامل مع المصريين أكسبتهم خبرة فى أن الاستمرار فى البقاء يكمن فى الالتصاق بدولة عظمى.

ومن عصر محمد على وحتى عصر عبد الناصر فإن العلاقة لم تشهد فترة ود إلا لمدد قصيرة جداً معظمها كان بداية ثورة يوليو، فعلى يد أسرة محمد على تهدمت وإنهارت دولة آل سعود مرتين، وأيام عبد الناصر وصلت الطائرات المصرية فى مطاردة المرتزقة الفرنسيين والإنجليز إلى جبال جيزان لرجة هروب فيصل إلى واشنطن طالباً النجدة ولعبت لغة المصالح السعودية الدور الرئيسى فى فترات التقارب إلى مصر وكان الخوف والتهديد بزوال الملك هما المحرك فى كل خطوات التقارب. وشهد عام (١٩٥٤) أول تقارب بين مصر وآل سعود وهو العام الذى أعلنت فيه الولايات المتحدة ترتيبات تأسيس (حلف بغداد) وهو الحلف الذى كان يضم إيران وباكستان وتركيا والعراق.

وكان الحلف فى رأى آل سعود هو محاولة غربية لإعادة الأسرة الهاشمية إلى حكم الحجاز والجزيرة العربية، فى حين أن عبد الناصر كان يرى أن الحلف هو صورة مصغرة من الاستعمار القديم لاستعادة سيطرته على المنطقة العربية مرة أخرى. وإذا كان الخوف على مستقبل المنطقة العربية هو الدافع وراء تحرك عبد الناصر فإن الخوف على العرش هو المحرك لكل سلوكيات آل سعود فى الانضمام إلى مصر وسوريا فى اتفاقية دفاع مشترك والتتديد بحلف بغداد باعتباره عودة بالمنطقة إلى الحالة السابقة على ثورة يوليو.

وعادت العلاقات السعودية المصرية إلى وضعها الطبيعى، وتصاعدت حدة حملات الاتهامات المتبادلة مرة أخرى بزوال التهديد الذى أحدثه حلف بغداد. وصل الأمر إلى حد تورط أسرة آل سعود فى محاولة اغتيال عبد الناصر أثناء زيارته لسوريا بوضع قنبلة بواسطة ضابط بالمخابرات السورية.



وباغتيال كيندى ووصول القوات المصرية إلى اليمن بدأت مرحلة جديدة في التقرب بين أسرة آل سعود ومصر. مرحلة قامت على أن الحد من النفوذ المصرى فى المنطقة العربية وخاصة فى اليمن يكمن فى التقرب من عبد الناصر لا البعد عنه. ففى تلك المرحلة والتي بدأت منذ السنة الثالثة فى الستينيات وحتى عام (١٩٦٤) شهدت تطورات وتغيرات عديدة لعل أهمها هو اغتيال الرئيس الأمريكى كيندى، والذي كان يتمتع بعلاقة متميزة مع الأمير فيصل. وتولية (ليندون جونسون) والذي حامت حوله الشبهات فى التورط فى اغتيال كيندى.

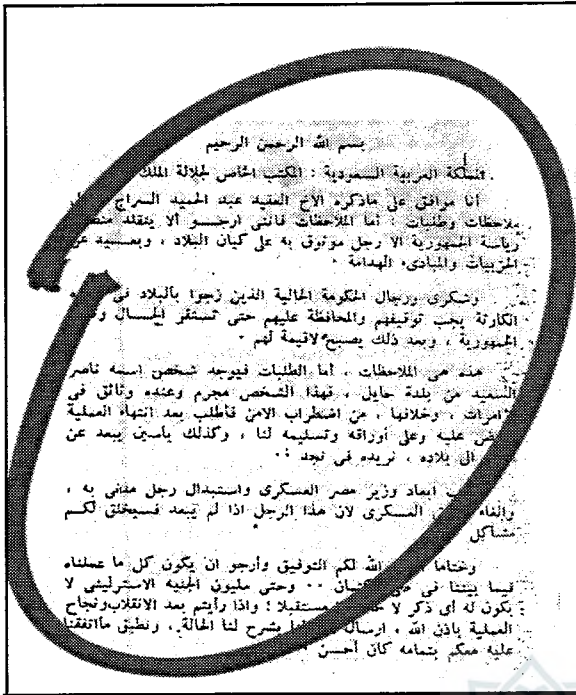
وشهدت تلك الفترة تحسناً فى العلاقة بين مصر وآل سعود وأعادت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر. وزار الملك سعود القاهرة واجتمع مع عبدالناصر فى عام (١٩٦٤). إلا أن هذه الزيارة والاستقبال الذى ناله الملك سعود لم يغير فى الطباع السعودية شيئاً. فسرعان ما عادت العلاقات إلى حالتها الطبيعية وأرتفعت حدة الخلافات لدرجة أن آل سعود اكتشفوا أن بقاءهم أصبح مرتبطاً بالقضاء على عبد الناصر.

وتعددت العوامل التى ساهمت فى تصعيد حدة العداء فى هذه المرة. فأثناء دخول الخلافات المصرية السعودية مرحلة الود سافر فيصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقبله الرئيس الأمريكى الجديد ليندون جونسون واستطاع توقيع اتفاقية تسليح

وتدريب أمريكي بمائة مليون دولار
كانت عبارة عن طائرات حربية
ومركبات وعربات مصفحة.

واعتبر فيصل - الذي عاد إلى
السعودية وقام بانقلاب ضد
شقيقه سعود واستولى على الحكم
- أن صفقة الأسلحة وعناصر
التدريب الأمريكي هي التي سوف
تساعده في التخلص نهائياً من
عبد الناصر.

وقام بوضع خطة للتخلص
نهائياً من النفوذ المصري والثأر
للأجداد، خطة تقوم على خطين
متوازيتين، أحدهما في اليمن



رسالة من مكتب ملك السعودية يطالب فيها بالتخلص من المناضل
السعودي ناصر السعيد بالإضافة إلى المؤمنين بأفكار عبد الناصر

والثاني في القاهرة ففي اليمن هو إطالة أمد القتال، وفي القاهرة تشجيع العناصر
المناوئة للثورة على القيام بعمليات تخريب. حتى شكل آل سعود النقطة الأولى في رأس
مربع العداء ضد مصر عبد الناصر. هذا العداء الذي تشكل بعد قيام ثورة يوليو بسبعة
أعوام. على الرغم من أن أكثر الدول سعادة بقيام ثورة يوليو كانت هي السعودية، هذه
السعادة قامت على سببين:

الأول: أن قائد ثورة يوليو في نظر آل سعود هو أحد عناصر جماعة الإخوان المسلمين
الذين يجمع بينهم وبين آل سعود رباط عضوي.

والسبب الثاني: هو أن ثورة يوليو قضت على آخر أحفاد أسرة محمد علي الملك
فاروق، وهي الأسرة التي كان بينها وبين آل سعود حالة عداوية بدأت منذ عام ١٧٤٥. لذا
كانت فرحته لا تساويها الدنيا كلها عندما قامت ثورة يوليو لأنه قد التخلص نهائياً من
أسرة محمد علي - بطرد فاروق - ولكن لأنه أعتقد أن الحاكم الجديد لمصر هو أحد

عناصر
جماعة
الإخوان
المسلمين التي
يربط بينها
وبين آل سعود
والوهابيين
رباط عضوي.
وينى آل سعود
اعتقادهم هذا
على الدعاية
التي قام بها



الإخوان المسلمين عقب قيام ثورة يوليو، إلا أن هذا الاعتقاد لم يستمر طويلا ولم يتعد زمنه الستة أعوام.

وبدأ التقارب بين ثوار يوليو وآل سعود عام (١٩٥٤) عندما وقفت الدولتان ضد ترتيبات حلف بغداد وقررت الدولتان التعاون في التدريب وإنتاج الأسلحة ثم انضمام مصر والسعودية وسوريا في اتفاقية عربية لتقويض حلف بغداد ورحبت فيه بانضمام أية دولة عربية. ثم حدث تقارب أكثر بين الجانبين في وقوفهما ضد مبدأ أيزنهاور وهو المبدأ الذي يعطى للأمريكان حق استخدام القوة العسكرية ضد العدوان على أية دول تسيطر عليها الشيوعية الدولية.

والتي كان يقصد بها (مصر عبد الناصر) ولمجرد إعلان الأمريكان رغبتهم في استخدام القوة العسكرية للحصول على شرعية في التدخل لتحجيم النفوذ المصري والتقارب المصري الروسي عقد اجتماع ضم عبد الناصر والملك سعود والملك حسين وصبري العسلي رئيس وزراء سوريا إلى اتفاق جميع الحاضرين على الوقوف ضد مبدأ أيزنهاور وصدر بيان عن الاجتماع انتهى إلى إعلان الدول العربية رفضها تدخل أطراف غير عربية في الدفاع عن

الوطن العربي وعلى
الرغم من إعلان
السعودية رفضها
تدخل الأمريكان في
المنطقة العربية
وتوقيعها على البيان
الختامى لاجتماع
الزعماء الأربعة، إلا
أنها كانت في الخفاء
تقوم بإجراء اتفاقيات
وتعهدات ثنائية مع
الأمريكان وبعد عام
(١٩٥٧) وهو العام
الذى شهد نهاية
العلاقة الودية بين
عبدالناصر وآل

حضرة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية - القاهرة
لقد غلفت بإعلان النظام الجمهوري بمصر واضطلاعكم برئاسة الجمهورية

المصرية ، وإنه ليسرني أن اتفنن لصر الشقيقة نجاحاً وتوفيقاً فيما أقدتمت عليه
من عمل كما أتمنى لكم النجاح بمهمتكم ، وإنه ليسعدني ويسعد بلادي أن تكون
على الدوام نحن ومصر إخواناً متعاونين في السراء والضراء ، لما فيه
خير البلدين والعرب والمسلمين أجمعين

عبد العزيز

إلى جلالة الملك المعظم من رئيس الجمهورية المصرية
اللمرة ١٥ - التاريخ ١٢/١٠/١٣٧٢هـ

حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزیز ملك المملكة العربية
السعودية - الرياض

لقد ثقلت بالشكر والامتنان تهنتكم الرقيقة ، وما تجلى فيها من روح المودة
والإخاء بمناسبة إعلان الجمهورية ، وتقليدي رئاستها ، وإنني لغير أعظم التقدير
ما بين بلدينا من العلاقات السامية التي أرجو أن تزداد على مر الأيام نمواً
وأطراداً ، وإنني أسأل الله أن يسرع علي جلالكم رداء النعمة والفاضية ، وأن
يشمل بالتخير والبركات شمسكم الشقيق ، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه مجد
العرب ، والعزة للمسلمين كافة.

اللواء أركان حرب

محمد نجيب - رئيس الجمهورية

(أم القوي السد ١٢٦٩ شمال ١٣٧٢/١٠/١٣٧٢هـ)

رسالة من عبد العزيز آل سعود يهنئ اللواء محمد نجيب بالجلاء

الإنجليزي عن مصر ونجيب يرد برسالة شكر لعبد العزيز

سعود وبداية عدااء استمر حتى

رحيل عبد الناصر بين آل سعود ومصر الناصرية.

ففي أول فبراير ١٩٥٧ اكتشف عبد الناصر أن الملك سعود قد فرغ تأييده ضد مبدأ
أيزنهاور من مضمونه وذلك أثناء زيارته للولايات المتحدة في فبراير ١٩٥٧ وذلك بتوقيعه
اتفاقيتين تمنحان الولايات المتحدة حتى استخدام قاعدة الظهران لمدة خمس سنوات
إضافية وتبيح للأمريكان تقديم مساعدة عسكرية إضافية لتقوية القوات المسلحة
السعودية بالإضافة إلى أن الملك فشل في إقناع الأمريكان باتفاقية القمع وإغلاق ميناء
العقبة في وجه السفن المتجهة إلى إيلات.

وباكتشاف عبد الناصر لحقيقة العلاقة بين الملك سعود والأمريكان بدأت صفحة جديدة فى العلاقة المصرية الأمريكية بصفة خاصة والعلاقات المصرية بالعالم كله بصفة عامة، فالمسافة الزمنية التى مرت بين العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ واكتشاف عبد الناصر للاتصالات السرية بين آل سعود والأمريكان، مسافة ليست بعيدة ولم تتعد العام الواحد.

ورغم قصر هذه المسافة إلا أن الانتصار الذى استطاع عبد الناصر تحقيقه من الوقوف ضد العدوان الثلاثى حوله من مجرد زعيم للدولة إلى زعيم لكل الدول المضطهدة والمستعمرة. وأصبحت أفكاره الثورية مصدر إزعاج وتهديد لكل الحكام الرجعيين. زاد من هذا التهديد فى المنطقة العربية حالة التقارب بين مصر وسوريا والتي بدأت فى اتحاد أكثر التصاقاً شكل فى عام ١٩٥٧ أثناء التهديد التركى لسوريا عندما أعلنت مصر وقوفها بجانب سوريا وإرسال قوات مصرية إلى هناك للوقوف ضد التهديد التركى وتهديد باقى أفراد الأسرة الهاشمية فسوريا كانت فى مفترق طرق وكانت هدفاً لكل المؤامرات.

فالعراق يريد ضمها إليه والأردن أيضاً كان يؤيد ضمها إلى العراق. لتشكيل جزء من مشروع الهلال الخصيب.

وكان اتجاه السوريين ناحية القاهرة وإعلان القاهرة تأييدها لوحدة سوريا والوقوف ضد كافة التهديدات سواء من جانب الأتراك أو بقايا الأسرة الهاشمية. بداية لمرحلة أكثر خطورة فى منطقة الشرق الأوسط مرحلة أدت إلى اتفاق الأمريكان وآل سعود ضد حلم التقارب المصرى السورى ولكل منهم أسبابه. فالأمريكان ومن خلال دروس التاريخ والجغرافيا تعلموا أن أمن مصر يبدأ من سوريا.

وأن الوحدة بين مصر وسوريا تعنى وضع إسرائيل القاعدة البشرية للأمريكان فى منطقة الشرق الأوسط بين فكي الأسد. وأن مرحلة الوحدة تعنى سيطرة عبد الناصر ممثل مصالح الروس فى رأيهم على كافة المنافذ والمعابر الحيوية بالإضافة إلى أن هذا التقارب سوف يؤدى إلى تحويل كافة الآبار البترولية المتواجدة فى الخليج إلى ملكية خاصة للروس.

وشارك آل سعود الأمريكيان مخاوفهم من الوحدة بين مصر وسوريا لأن الأفكار الثورية سوف تصل إلى صحراء نجد والحجاز وأن آل سعود سوف يفقدون شرعيتهم إذا ما وصلت أفكار عبد الناصر إلى أهل نجد والحجاز.

ومن أجل ذلك بدأ الأمريكيان فى وضع خطة يقوم بتنفيذها آل سعود تقوم وفقاً لما أعلنه أيزنهاور.

سوف نشجع إذا استطعنا أن نجعل من سعود بابا للإسلام ومن مكة فاتيكائاً أخرى للمسلمين واختيار سعود لهذا الدور لم يكن من فراغ بل هو اختيار ساهمت فيه عدة عوامل فهو يدعو إلى مقاومة الشيوعية ويتمتع على المستوى الدينى بمركز ونفوذ أدبى، واختياره هو الاختيار الطبيعى بديلاً للأسرة الهاشمية التى انكشف أمرها فى حلف بغداد.

والسعودية بحكم الثروات البترولية أصبحت تملك المال الكثير وتستطيع به أن تملأ الأفواه بجانب وجود مكة والمدينة ومقدسات المسلمين لديها، فإنها تستطيع أن تستغل تلك المقدسات، وإضافة لقب حامى الحرمين إلى سعود يضى مهابة وحصانة تدفع الشك وتبرر الهجوم. (فى الوقت ذاته راح السعودية يحركهم العداء التقليدى يبذلون قصارى الجهد وينفقون بسخاء للحيلولة دون قيام الوحدة بين سوريا ومصر ومن ثم كانت سوريا فى تلك الأجواء مهددة بتمزيق وحدتها كان اليسار يشدها ناحية الوحدة العربية الشاملة وكان اليمين لا يزال يعمل بشدها ناحية العراق وكان آل سعود اشد فرحاً للتمزق السورى فقيام وحدة بين مصر وسوريا سوف يكون دفعة قوية للقومية العربية مما يهدد بالخطر نظامهم الملكى ومن ثم راحوا يعملون على هزيمة المد القومى الوجدوى حتى عندما زار يوسف ياسين مستشار الملك سعود سوريا سراً سعى مع شكرى القوتلى باقتراح يجعل سياسة سوريا متماشية مع سياسة السعودية وأبلغ ياسين القوتلى أنه إذا ما وافق الجيش السورى على مثل هذا الارتباط وقطع كافة ارتباطاته بالروس يمكن أن يضمن تأييد أمريكا تماماً بما فى ذلك الحصول على أية أسلحة هم فى حاجة إليها، فضلا عن أن الملحق العسكرى الأمريكى أبلغ عبد الحميد السراج رئيس المخابرات

السورية بهدف تأكيد هذا الضمان أن واشنطن قد فقدت كل ثقة فى نظام الحكم الحزبى فى العالم العربى بالإضافة لاستعداد الولايات المتحدة الأمريكية لتدريس ومساعدة الضباط الشبان طالما لن يمضوا مع عبد الناصر إلى آخر الشوط.

ورغم كل هذه الاتصالات السرية بين السعودية والأمريكان مع شكرى القوتلى لوقف النفوذ المصرى والحيلولة دون قيام الوحدة بين مصر وسوريا فوجئ السعوديون والأمريكان بإعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ عندما وصل إلى القاهرة عشرون ضابطاً سورياً يتقدمهم اللواء عفيضى الرزى رئيس هيئة الأركان بالجيش السورى وبعد اجتماع دام أربع ساعات مع عبد الناصر وافق على إعلان الوحدة وقتها اهتز عرش آل سعود واهتز أكثر عندما اكتشف هو ومخابراته الغربية أن المجتمع المصرى قد تغيرت ركائزه الطبقيّة والحزبيّة عما كانت عليه قبل الثورة لذلك كان الحل الوحيد للتخلص من عبد الناصر هو سلاح الاغتيالات فالانقلابات والرشوة. لذا قامت أول محاولة لاغتيال عبد الناصر على يد عبد المجيد السراج رئيس المخابرات السورية عندما دفع له الملك سعود ٢ مليون جنيه استرليني مقابل وضع قنبلة فى طائرة عبد الناصر أو سيارته وقتها حمل السراج الملايين وجاء إلى مصر ليفضح المؤامرة السعودية.

وكان اكتشاف محاولة اغتيال عبد الناصر هو بداية جديدة للتعامل داخل أفراد الأسرة السعودية حيث بدأت بعض عناصر الأسرة فى التحرك ناحية تلطيف الخلاف بين عبد الناصر وسعود بالإضافة إلى إرغام الملك سعود على التخلّى عن بعض السلطات الفعالة الممنوحة له.

وفى عام ١٩٥٨ اجتمع المشير عبد الحكيم عامر مع الملك سعود فى جدة وانتهى الاجتماع إلى إعلان الدولتين عداءهما لإسرائيل.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية لا تعارض التقارب المصرى السعودى طالما لم يحدث تغييراً من شأنه التوجه الأساسى الموالى لأمريكا أو يهدد العمل فى شركة أرامكو بالحقول السعودية واستمرت العلاقة الودية بين مصر والسعودية فى تزايد مستمر

لدرجة إعلان السعودية في عام ١٩٦١ أنها لن تمنح الولايات المتحدة تجديداً لقاعدة الظهران بعد انتهاءها في أبريل ١٩٦٢ وهو القرار الذي ظلت القاهرة تسعى إليه طويلاً. إلا أنه يبدو أن سعود عندما أعلن هذا التصريح نسي أنه قد خرج على حدود النص. لذا فإننا نجد يتراجع عن تصريحه الذي أعلن فيه عدم التجديد وتدخل العلاقة المصرية السعودية مرحلة جديدة من مراحل العداء.

في فبراير ١٩٦٢ وأثناء زيارة الملك سعود للولايات المتحدة الأمريكية أعلن أنه إذا كان سيمضى تجاه إرضاء الشعور العربى فإنه سيوقف أى شىء يهدد تمزيق العلاقات مع الولايات المتحدة. وبمجرد عودته إلى السعودية بدأ فى إعداد العدة لشن حملة ضد عبد الناصر.

فقد قام بتعزيز الجبهة الداخلية وعين شقيقة فيصل نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية.

وبدأت أولى حروبه الإعلامية فى أغسطس عام ١٩٦٢ باتهام عبد الناصر بالعمل على تخريب الوحدة العربية طبقاً لخطة يهودية كبرى وأن السعودية سوف تقاوم المكائد المصرية والدعاية المغلوطة.

واستمرت حملة تبادل الاتهامات حتى حدث انشقاق داخل صفوف أسرة آل سعود وذلك عندما هرب الأمير (طلال بن عبد العزيز) إلى مصر فى أغسطس عام ١٩٦٢ ودعا من خلال القاهرة إلى إقامة نظام دستورى بالمملكة السعودية بالإضافة إلى كشفه أسرار العلاقة بين الملك سعود والولايات المتحدة الأمريكية وإعلانه بأن الملك سعود سمح للأمريكان بالاحتفاظ بقاعدة الظهران وتشغيلها سرّاً.

وكان لهروب طلال ولجوئه إلى القاهرة رد فعل داخل أفراد الأسرة لأنه كشف حقيقة الصراع الدائرة بين أبناء عبد العزيز آل سعود حول الملك.

إلا أن هذا الصراع ما كان له أن يظهر على السطح قبل التأمير على دولة الوحدة بين مصر وسوريا إذا كانت الأسرة راغبة فى الحفاظ على عرشها. وهى المؤامرة التى رصدت

فيها أسرة آل سعود ١٢ مليون جنيه استرليني كرشوة لبعض المرتزقة للقضاء على دولة الوحدة حتى كان لهم ما أرادوا.

وبانفصال مصر وسوريا بدأت مرحلة جديدة من مراحل العداء بين عبد الناصر وأسرة آل سعود.

حيث اعتقد آل سعود والأمريكان معاً أن النفوذ المصرى والمخاوف من ثورة عبدالناصر قد تم تحجيمه. وأن تصدير الثورة المصرية توقف عند حدودها الجغرافية. إلا أنه سرعان ما تبدد هذا الاعتقاد وعادت المخاوف من عبد الناصر وأفكاره تؤرق مرة أخرى مضاجع آل سعود والأمريكان.

ولكنها هذه المرة مخوف تختلف عن سابقتها فقد امتد التهديد المصرى فيها إلى حدود السعودية ذاتها.

فى سبتمبر عام ١٩٦٢ قامت الثورة اليمنية وأطاحت بالملكة هناك وخلفت أسرة آل حميد من عرش اليمن فقررت الحكومة المصرية حماية الثورة الوليدة ضد الرجعية والاستعمار الأمريكى فقررت بعث القوات المسلحة المصرية، وكان إرسالها كان بمثابة بداية حملة سعودية ضد مصر فاليمن ليست دولة مثل باقى الدول بالنسبة للسعودية وحليفها البريطانى.

لذلك عندما قامت الثورة اليمنية عام ١٩٦٢ وقامت القيادة المصرية بإرسال فرقتين من القوات المسلحة المصرية ارتعب فيصل وحلفاؤه الإنجليز وكان لكل منهما دوافعه فحكام السعودية يعلمون أن النظام الجديد فى اليمن هو نظام جمهورى وأفكاره اشتراكية ووصول مثل هذه الأفكار إلى داخل المملكى تعنى زوال عرش آل سعود وحلم بأبوية الإسلام، أما الإنجليز فقد كانت دوافعهم وأسباب خوفهم هو وصول القوات المصرية إلى اليمن ووصول القوات المصرية يعنى سيطرة عبد الناصر على الشريان الملاحى العالمى الذى يربط الشرق والغرب بالإضافة إلى أن أحد أضلاع المثلث العسكرى بين عدن وسنغافورة وبريطانيا سوف يسقط فى يد عبد الناصر وبذلك فإن الانتشار العسكرى البريطانى فى العالم سوف ينهار ويتوقف.

لذا فقد تحالف فيصل مع بريطانيا لإسقاط الثورة اليمنية وصورة التحالف كانت عبارة عن قيام فيصل بتدبير التمويل للعمليات القذرة التي تنفذها بريطانيا. لذلك فقد رصد فيصل ٢٠ مليون جنيه استرليني بالإضافة إلى حشد القوات المرتزقة في مستعمرة عدن البريطانية في إمارة بيحان وكانت تحركاتهم لعمليات التخريب ضد الحدود الشرقية لليمن وكانوا على اتصال دائم بحاكم اليمن المخلوع والذي كان يقيم في منطقة جيزان قرب الحدود اليمنية بل أعلن فيصل بالمشاركة مع شاه إيران عداءه لثورة اليمن وأعلن مد مساعداته لأعداء الثورة ورغم أن أهداف القوات المصرية هو حماية الثورة الوليدة إلا أن فيصل كان يخشى من أفكار عبد الناصر أن تصل إلى المملكة ولذلك فقد قام بالاتفاق مع برى شركات الدعاية والإعلان في ذات الوقت لعمل حملات صحفية لتشويه صورة عبد الناصر بل ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير حيث قامت الصحف التابعة له بعمل صحيفة ضد عبد الناصر تتهمه فيها باستخدام الأسلحة الكيماوية على القرى السعودية وقد استتجدت أسرة آل سعود بالولايات المتحدة الأمريكية للتدخل لحمايتها من عبد الناصر وأرسلت الولايات المتحدة في محاولة منها إظهار التعاون والتأييد لآل سعود عدداً من الطائرات الحربية إلى الرياض لإرهاب القوات المصرية الموجودة باليمن.

في الوقت ذاته سعى الرئيس كيندى لحث زعماء مصر وإيران واليمن والسعودية لإبرام اتفاقية سلام بموجبها تنسحب كافة القوات الأجنبية من اليمن وإعلان قيام حكومة يمنية جديدة.

وقد استجابت مصر والنظام الثوري الجديد لمقترحات الرئيس كيندى. وأعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالنظام الجديد في اليمن إلا أن أسرة آل حميد بدعم من السعودية رفضت مقترحات السلام وصممت على النظام الملكي كشرط لوقف القتال وقامت بدعم المرتزقة من الإنجليز والفرنسيين لمهاجمة مواقع القوات المصرية هناك.

وكانت المخاوف السعودية تتزايد يوماً بعد يوم كلما زاد تماسك النظام الجمهوري باليمن وذلك خوفاً من امتداد النظام الثوري إلى داخل الحدود السعودية والقضاء على

ملك آل سعود مرة أخرى لذا فقد كان الحل أمام آل سعود هو ضرورة التخلص من عبد الناصر بأى شكل من الأشكال حتى ولو وصل الأمر للتحالف مع الشيطان، وبدعم عبد الناصر للثورة اليمنية ووقوفه بجانبها امتلأ كأس العداة السعودى بعبد الناصر وأصبح بقاء أحدهما مرتبباً بالقضاء على الآخر وشكلت المخاوف السعودية من عبد الناصر أول نقطة فى مربع العداة لعبد الناصر. الضلع الثانى فى مثلث العداة والذى أصبح يضم الأمريكان وآل سعود وأصبح الاثنان يشكلان ضلعين فى مثلث متساوى الأضلاع وكانا بحاجة لضلع ثالث يشاركهما العداة تجاه عبد الناصر وكان هذا الضلع الذى أكمل المثلث هو جماعة الإخوان المسلمين الذين تحولوا إلى أداة فى يد الأمريكان وآل سعود لهدم وتقويض قوة عبد الناصر وفشلوا فى تنفيذ أكثر من (١٣) محاولة لاغتيال عبد الناصر.





7

البناء في ضيافة آل سعود..
والتمويل صدام في رأسه..!



قال الدكتور "محمد حسين هيكل" بمذكراته في السياسة المصرية. "إنه قبيل سفره للحج في عام ١٩٣٦ علم أن على ماهر باشا، رئيس الوزراء يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين السعودية والمصرية.. فذهبت إليه وعرضت عليه معاونته لتحقيق مقصده.. ثم سافرت إلى الحجاز على ظهر الباخرة (كوثر) وإننى لفي بهوها يوماً بعد أن ارتديت رداء الإحرام إذ تقدم إلى حاج لم أكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه ذلك الشيخ حسن البنا وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الإخوان المسلمين لتهديب الناس تهديباً إسلامياً صحيحاً وأنه طمع في قبولى رئاستها، والرجل لبق حسن الحديث حلو الإلقاء عرفت ذلك عنه فى هذه المقابلة وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز فكان يقف فى كل جمع خطيباً واعظاً يتلو آى القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبه فى عبارة بليغة وعربية صحيحة، وقيل لى وأنا بالحجاز، إن له صلة بالحكومة السعودية وأنه يلقي منها عطايا ومعونة".

اما القيادى الاخوانى محمد الصايم فى كتابه "شهداء الدعوة فيقول:

"توجه الداعية الشهيد إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وعلم فجأة بعقد مؤتمر إسلامى دعا إليه صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، يحضره علماء ووجهاء وقادة العالم الإسلامى، لم يكن الإمام حسن البنا قد عرف فى الأوساط العالمية وقتها ولكنه توجه بشجاعة منتهزاً الفرصة واستأذن من جلاله الملك عبد العزيز فى حضور المؤتمر فأذن له، إنها لفرصة ذهبية لوصول الدعوى إلى العالم الإسلامى، وحضر الداعية (حسن البنا) وتحدث المتحدثون من أنحاء العالم بلغات شتى منها الفرنسية والانجليزية والأردية ومما يؤسف له أن بعض الحاضرين لم يكن يفهم البعض الآخر".

وجاء دور (حسن البنا) ليتكلم، فكان حديثه باللغة العربية الفصحى مطعماً بالآيات القرآن الكريم التي كان يكثر الاستشهاد بها فيزداد الحديث جمالا، وتقوى دلالاته في أذهان السامعين.

لقد تناول الداعية (حسن البنا) قضايا المسلمين المهمة والملحة وأولها: الفرقة وعدم الوحدة، والتباين الخطير بين شعوب العالم الإسلامي، والانقسامات الصناعية التي أوجدها الاستعمار وبذلك شخض الداء وطالب الجميع باستعمال الدواء وهو الالتزام بالكتاب والسنة لأن فيهما السعادة، والبعد عنهما هو الداء الخبيث بل هو الضلال المبين. وما إن انتهى المؤتمر حتى وقف الحاضرون للمؤتمر يهتفون البنا على حُسن البناء وعظمة الإلقاء التي حددت الداء ووصفت الدواء.

أعرب الكثير من الحاضرين للمؤتمر عن رغبتهم في الانضمام إلى جماعة الإخوان وتسابقوا يأخذون عنوان الشيخ ويلتفون حوله ويكتب أسماءهم وعناوينهم.

حرص بعد ذلك حسن البنا على الذهاب كل عام إلى مكة لأداء فريضة الحج والالتقاء بالإخوان من أنحاء العالم، وفي المرات الأخيرة اصطحب الإمام معه الدعاة من الإخوان المسلمين ومعهم وسائل الدعوة (مكبرات الصوت ونشرات وكتيبات ومجلات) وحرص - أيضاً - على حضور المؤتمرات الإسلامية في أي دولة مسلمة، وهكذا سرى الشعاع يضيء أفئدة الأمة يناديها أن ترجع إلى الكتاب والسنة.

وفي هذه الفترة وبسبب كثرة سفريات البنا شهدت جماعة الإخوان العديد من الانشقاقات بسبب مشكلة التمويل وتبادل الاتهامات وتوجيه تهمة العمالة إلى حسن البنا وتلقى معونات من الخارج وتحديداً من السعودية وحدث خلال حياة حسن البنا ثلاثة انشقاقات رئيسية بسبب مشكلة التمويل السعودي أشهرها هو انشقاق جماعة شباب محمد عام ١٩٣٩ وانشقاق نائب المرشد ذاته (أحمد السكرى) وتكمن أسباب الانشقاقات في مطالبة المنشقين من المرشد تكوين هيئة لمراقبة المال والمحافظة عليه تكون مسئولة أمام التنظيم عن أوجه ومصادر التمويل والصرف.

إلا أن حسن البنا ظل طوال حياته يحتفظ لنفسه بالسيطرة على النواحي المالية.

مقدمة

في ٢ من شوال سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ م وافقت الجمعية العمومية للإخوان المسلمين على قانون النظام الأساسي للإخوان المسلمين ، وأصبح نافذاً من هذا التاريخ - وأمام تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها ، وعلي ضوء التجارب التي مرت بها خلال هذه الفترة ، رأى المرشد العام للإخوان المسلمين أن يقترح علي الهيئة التأسيسية المنعقدة في المحرم ١٣٦٧ هـ إدخال بعض التعديلات ، فوافقت الهيئة علي ذلك ، وأقرت تأليف لجنة من :

- المرشد العام .
- الأستاذ طاهر الخشاب .
- الأستاذ صالح عثمانوي .
- الأستاذ عبد الحكيم عابدين .

لإجراء هذا التعديل طبقاً للتوجيهات والرغبات التي أبدتها الهيئة . وقد اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات ، وانتهت بهذا المشروع الذي عرض علي الهيئة التأسيسية بجلسة يوم الخميس ٢٧ جمادى الآخر سنة ١٣٦١ هـ الموافق ٦ مايو ١٩٤٨ م حيث قرئ القراءة الأولى وأبدت بعض الرغبات والتعديلات ، وأرجأت الهيئة اعتماده حتى ينظر للمرة الثانية في جلسة الهيئة التي حدد لها يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٤٨ م - وفي هذا الاجتماع أعيدت قراءة التعديل وأقرته الهيئة بالإجماع وصار نافذاً منذ هذا التاريخ طبقاً للمادة ٦٤ الختامية .
وصلني الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

الباب الأول

اسم الهيئة ومقرها

مادة ١- في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨م) تألفت هيئة "الإخوان المسلمين" ومقرها الرئيسي مدينة القاهرة .

الباب الثاني

الغاية والوسيلة

مادة ٢- الإخوان المسلمون "هيئة إسلامية جامعة" تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض :

- (أ) شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها ، ويردها إلي فطريتها وشمولها ، ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر ، ويرد عنها الأباطيل والشبهات .
- (ب) جمع القلوب والنفوس علي هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها ، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة .
- (ج) تنمية الثروة القومية ، وحمايتها ، وتحريرها ، والعمل علي رفع مستوى المعيشة .
- (د) تحقيق العدالة الاجتماعية ، والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ، والمساهمة في الخدمة الشعبية ، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع أعمال البر والخير .

(هـ) تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي ، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً ، والسير إلى الجامعة الإسلامية .
(و) قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً ، وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج .

(ز) مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات وتحفظ الحقوق ، والمشاركة في بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة ، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة .

مادة ٣- يعتمد الإخوان المسلمون في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة :

(أ) الدعوة - بطريق النشر والإذاعة المختلفة من الرسائل والنشرات والصحف والمجلات والكتب والمطبوعات وتجهيز الوفود والبحث في الداخل والخارج .

(ب) التربية - بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادئ ، وتمكين معنى التكوين العملي لا القول في أنفسهم أفراداً وبيوتاً ، وتكوينهم تكويناً صالحاً - بنيانياً بالرياضة ، وروحياً بالعبادة ، وعقلياً بالعلم - وتثبيت معنى الأخوة الصادقة والتكامل التام والتعاون الحقيقي بينهم حتى يتكون رأى عام إسلامي موحد ، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويعمل بأحكامه ، ويوجه النهضة إليه .

(ج) التوجيه - بوضع المناهج الصالحة في كل شؤون المجتمع من التربية ، والتعليم ، والتشريع ، والقضاء ، والإدارة ، والجنسية ، والاقتصاد ، والصحة العامة ، والحكم .. الخ ، والاسترشاد بالتوجيه الإسلامي في ذلك كله والتقدم بها إلى الجهات المختصة ، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية ، لتخرج من دور التفكير النظري إلى دور التفكير العملي .

(هـ) العمل - بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية وعملية وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ .. الخ ، وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر ، والإصلاح بين الأفراد والأسر ، ومقاومة الأفات الاجتماعية ، والعادات الضارة ، والمخدرات والمسكرات والمقامرة والبقاء ، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة ، وشغل وقت الفراغ بما يفيد وينفع . ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة طبقاً للوائح خاصة تتفق مع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم الجماعات الخيرية وأعمال البر وتسجيلها بوزارة الشؤون الاجتماعية .

الباب الثالث

الأعضاء وشروط العضوية

مادة ٤- عضو الهيئة : هو كل مسلم عرف مقاصد الدعوة ووسائلها وتعهد بأن يناصرها ، ويحترم نظامها ، وينهض بواجبات عضويتها ، ويعمل على تحقيق أغراضها ، ثم وافقت إدارة الشعبة التي ينتمي إليها على قبوله ويأبى على ذلك وأقسم عليه . ونص البيعة :

"أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد في سبيلها والقيام بشرائط عضويتها والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة في المنشط والمكره . وأقسم بالله العظيم على ذلك وأبأبى عليه والله على ما أقول وكيل"

مادة ٥- يقضي العضو مدة اختبار قبل البيعة لا تقل عن ستة شهور يثبت فيها أنه قام بواجبات عضويته بصورة مرضية . وفي هذه الحالة تعتمد عضويته من المركز العام ، ويؤذن له بإداء البيعة بناء على طلب الشعبة ، ويقوم رئيس الشعبة أو من يقوم مقامه بمبايعته نيابة عن المرشد العام .

مادة ٦- على كل عضو أن يقرر على نفسه اشتراكاً مالياً أو سنوياً يقوم بتسديده بانتظام ، ولا يمنع ذلك من المساهمة في نفقات الدعوة بالتبرع أو الوصية أو الوقف أو كلها معاً ، كما أن للدعوة حقاً في زكاة أموال الأعضاء القادرين على ذلك ، ويعطى من كل هذه التكاليف المالية غير المستطيعين بقرار من إدارة الشعبة بعد التأكد من حالة عدم الاستطاعة وكل ما يدفع لا يجوز طلب رده بحال .

مادة ٧- إذا قصر العضو في واجباته أو فرط في بعض حقوق الدعوة كان لرئيس الشعبة التي ينتمي إليها أن يلفت نظره إلى هذا التصغير ويعمل على إصلاحه بالوسائل الجنبية . وإذا عاد كان لمجلس الشعبة أن يذره ، أو يوقع عليه جزاء مالياً ، أو يقرر وقفه مدة لا تقل عن شهر أو يقرر إعفاهه من العضوية . وفي حالة توقيع الجزاء بالإحفاء يجب أخذ موافقة المركز العام قبل إعلان القرار إذا لم يكن العضو تحت الاختبار .

مادة ٨- على الأعضاء أن يتكافؤوا فيما بينهم . وتنظيم هذا التكافل تتضمنه لائحة خاصة يضعها المركز العام

الباب الرابع

الهيئات الإدارية الرئيسية للإخوان المسلمين

أهداف الجماعة باللائحة الداخلية للإخوان

مادة ٩- الهيئات الرئيسية للإخوان المسلمين هي :
أولاً- المرشد العام للإخوان المسلمين : وهو الرئيس العام للهيئة ومكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية
ثانياً- مكتب الإرشاد العام : وهو الهيئة الإدارية العليا للإخوان المسلمين والمشرف على سير الدعوة والموجة
لسياستها وإداراتها.
ثالثاً- الهيئة التأسيسية : وهي مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين والجمعية العمومية لمكتب الإرشاد
العام .

أولاً- المرشد العام

مادة ١٠- المرشد العام للإخوان المسلمين هو الرئيس الأعلى للهيئة ، كما أنه رئيس مكتب الإرشاد العام
والهيئة التأسيسية .
ويشترط فيمن يختار مرشداً عاماً أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

(أ) أن يكون من أعضاء الهيئة التأسيسية وقد مضى على اتصاله بها خمس سنوات .

(ب) ألا تقل سنه عن ثلاثين سنة هلالية .

(ج) أن تتوافر فيه الصفات الطمعية والخلقية والعملية التي تؤهله لذلك .

مادة ١١- ينتخب المرشد العام من بين أعضاء الهيئة التأسيسية في اجتماع يحضره علي الأقل أربعة أخصاس
أعضاء هذه الهيئة . ويجب أن يكون حائزاً لثلاثة أرباع أصوات الحاضرين . وإذا لم يحضر الاجتماع العدد
القانوني أجل إلى موعد آخر لا يقل عن أسبوعين ولا يزيد عن شهر من تاريخ الاجتماع الأول . ويجب أن تتوفر
في هذا الاجتماع النسبة المقررة في الاجتماع الأول من عدد الحاضرين والموافقين ، فإذا لم يتوفر العدد القانوني
في هذا الاجتماع أجل مرة ثانية وعني الهيئة تحديد موعد اجتماع آخر في مدة كالتالي بيانها ، مع الإعلان عنه
وعن المهمة التي سيكلف من أجلها وعن أن الاجتماع التالي سيكون صحيحاً مهما كان عدد الحاضرين ، ويكون
الاختيار صحيحاً بأغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين .

مادة ١٢- إذا تم اختيار المرشد العام أقسم أمام الهيئة التأسيسية القسم الآتي :

" أقسم بالله العظيم أن أكون حارساً أميناً لمبادئ الإخوان المسلمين ونظامهم الأساسي ، وألا أجعل مهمتي سبيلاً
إلى منفعة شخصية ، وأن أتحري في عملي وإرشادي مصلحة الجماعة وفق الكتاب والسنة ، وأن أقبل كل اقتراح
أو رأي أو نصيحة من أي شخص بقبول حسن ، وأن أعمل على تنفيذه متى كان حقاً . وأشهد الله علي ذلك " .
وعلي أعضاء الهيئة التأسيسية أن يجددوا معه بيعة الإخوان المنصوص عنها في المادة (٤) ، وبياعه
الإخوان في الشعب المختلفة عن طريق رؤسائهم ، ويجددون بيعتهم معه لأول لقاء يجتمعون فيه .

مادة ١٣- يضطلع المرشد العام من هذه اللحظة بمهمته ، وعليه أن يستقبل من عمله الخاص ويتفرغ كل
التفرغ للمهمة التي أختير لها .

مادة ١٤- لا يصح للمرشد العام - بشخصه ولا بصفته - أن يساهم في شركات أو أعمال اقتصادية أو يشترك
في إدارتها ، حتى ما يتصل منها بهيئة الإخوان المسلمين وأغراضهم ، صيانة لشخصه وتوفيراً لوقته ومجهوده .
علي أن يكون له الحق في مزاولته الأعمال العلمية والأدبية بموافقة مكتب الإرشاد العام .
مادة ١٥- يقوم المركز العام بنفقات المرشد العام ، ما لم يكن له - من ماله الخاص أو الأعمال التي أجاز
مزاولتها له مكتب الإرشاد العام - ما يقوم بذلك . علي أن يكون تقدير هذه النفقات بلمنحة تختارها الهيئة التأسيسية
لهذا الغرض عقب انتخابه مباشرة .

مادة ١٦- إذا أخل المرشد العام بواجبات منصبه ، أو فقد الأهلية اللازمة لهذا المنصب ، فعليه أن يتخلى عنه .
كما أن للهيئة التأسيسية أن تقرر إعفائه في اجتماع يحضره أربعة أخصاس الأعضاء .
ويجب أن يكون هذا الإعفاء بموافقة ثلاثة أرباع الحاضرين . علي أنه إذا لم يتم الاجتماع علي النحو السالف
طبقت أحكام المادة (١١) .

مادة ١٧- يقوم المرشد العام بمهمته مدي حياته ما لم يظراً سبب يدعو إلى تخليه عنه . والمرشد العام -
حالياً هو فضيلة الأستاذ حسن البنا باعتباره المؤسس الأول للدعوة والمقاتل عليها منذ نشأتها .

مادة ١٨- في حالة الوفاة أو العجز عن العمل يقوم الوكيل مقام المرشد العام حتى يعرض الأمر علي الهيئة
التأسيسية في اجتماع توجه إليه الدعوة خلال شهر علي الأكثر .

ثانياً- مكتب الإرشاد العام

مادة ١٩- يتكون مكتب الإرشاد العام من اثني عشر عضواً ينتخبون من بين أعضاء الهيئة
التأسيسية عدا المرشد العام - ويلاحظ في انتخابهم أن يكون تسعة منهم من إخوان القاهرة
والثلاثة الباقون من بين إخوان الأقاليم .

مادة ٢٠- يشترط فيمن يرشح لعضوية مكتب الإرشاد العام أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

مهام ووظائف المرشد هي لائحة الإخوان

المادة ٦٣- يقوم قسم العمال علي الأغراض الآتية :

- أ- تنظيم نشر الدعوة في محيط العمال وإيجاد جو إسلامي في المصانع والشركات والنقابات العمالية .
 - ب- توجيه العمال إلي الاستفادة من النقابات والنشاط العمالي وإلي ما يحفظ حقوقهم .
 - ج- تنظيم التعاون بين العمال والقيام علي حاجاتهم ومطالبهم .
 - د- دراسة مشاكل العمال وإيجاد الوسائل الصالحة لحلها والعمل علي التقريب بين العمال وأرباب العمل .
 - هـ- دراسة نظم العمل ومحاولة تصحيحها وردها إلي أصل إسلامي .
 - و- تثقيف العمال ثقافة إسلامية وتوجيههم إلي ما يرفع مستواهم التعليمي والخلفي والاجتماعي والصحي .
- المادة ٦٤- يقوم قسم العمال بدراساته الفنية ويضع رسائله ونشراته ، وهذه تعرض علي المرشد العام فإذا وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية لتنفيذها .
- المادة ٦٥- للقسم أن يتصل بمندوبي العمال في المكاتب الإدارية والمناطق إذا اقتضت دراسته أن يتصل بهم ، واتصالات القسم وتنظيم المؤتمرات العامة تكون طبقاً للخطة التي يعتمدها المرشد العام .

قسم الاتصال بالعالم الإسلامي

المادة ٧٣- من أغراض هذا القسم :

- أ- العمل علي ربط الأقطار الإسلامية بعضها ببعض وتوجيه السياسة العامة لها ، بتوحيد مناهج الثقافة الإسلامية وتوحيد القوانين والتشريعات ورفع الحواجز الجمركية وتسهيل إجراءات الدخول - والإقامة في هذه الأقطار .
 - ب- تحرير الأوطان الإسلامية من كل سلطان أجنبي وذلك بتقوية الروح الوطنية ومقاومة أي عدوان داخلي أو خارجي علي حقوق الشعوب وإيثار العادات والمظاهر الإسلامية والاعتصام بالوحدة العربية والإسلامية والتعاون علي استكمال الحرية لكل قطر من الأقطار الإسلامية .
 - ج- إقامة حكومات إسلامية ديناً ودولة في كل هذه البلاد وتكوين وحدة سياسية إسلامية .
- المادة ٧٤- ينشأ في القسم لجان تقوم علي أوجه النشاط المختلفة منها :
- لجنة الشرق الأدنى وتضم البلاد العربية وباقي الشعوب الإسلامية في إفريقيا كما تضم تركيا وإيران .

- لجنة الشرق الأقصى (أفغانستان - تركستان - الصين - الهند - الهند الصينية - اندونيسيا - اليابان) .
- لجنة الإسلام في أوروبا .

المادة ٧٥- يدرس القسم قضايا العالم الإسلامية ويعد لكل قضية ملفاً خاصاً بها كما يعد لكل قطر ملف خاصاً
يشمل كل ما يهم معرفته عن هذا القطر مما يتصل بأغراض القسم .

قسم التربية البدنية

المادة ٧٦- يضع قسم التربية البدنية المناهج والدراسات اللازمة لتربية الإخوان تربية بدنية إسلامية
وإعدادهم للقيام برسالتهم ويشرف علي تنظيم هذه الناحية طبقاً للسياسة التي يضعها
مكتب الإرشاد .

قسم الصحافة والترجمة

المادة ٧٧- يشرف هذا القسم علي جرائد ومجلات الإخوان في حدود السياسة التي يقرها مكتب الإرشاد ،
ويقوم بحفظ ما تكتبه الصحف العربية وغير العربية عن الإخوان بحيث يمكن الرجوع إليه عند الحاجة كما يترجم
ما تقتضي مصلحة الدعوة ترجمته من العربية وإنها .

قسم المهن

المادة ٧٨- يقوم قسم المهن علي الأغراض الآتية :

- نشر الدعوة في محيط أصحاب المهن وإيجاد جو إسلامي عام في بينهم .
 - حصر الإخوان في كل مهنة والعمل علي الاستفادة من المهنة بالنسبة للدعوة والأفراد والإخوان .
 - الاستفادة من النقابات المهنية المختلفة والعمل علي إيجاد جو إسلامي فيها .
 - إعداد المناهج المختلفة في شتى النواحي علي أساس من الإسلام والعمل علي تنفيذها بواسطة أصحاب المهن .
 - توجيه الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وصيغها بالصيغة الإسلامية .
- المادة ٧٩- يقوم قسم المهن بدراسته الفنية ويضع رسائله ونشراته ، وهذه تعرض علي المرشد العام فإن
وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية لتنفيذها .
- المادة ٨٠- للقسم أن يتصل بمدنوبي مختلف المهن إذا اقتضت دراسته أن يتصل بهم ، ولكن الدعوة والتنظيم
تكون بناء علي أمر المرشد بعد عرض الأمر عليه .

قسم الأخوات المسلمات

المادة ٨١- يحكم هذا القسم لائحته الخاصة المعتمدة في ١٢ شعبان سنة ١٣٦٧ الموافق ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٨
للجنة المالية

المادة ٨٢- مهمة اللجنة المالية هي تنظيم مالية الجماعة وإعداد كل ما يضبطها وينميها ، من ذلك :

- أ- إعداد الدفاتر القانونية المنظمة لكل عمل من الأعمال المتصلة بالمالية .
- ب- جرد الموجودات وتقدير المشتريات وعمل الميزانية السنوية وتقدير التقرير المالي السنوي .
- ج- مراجعة الحسابات والمستندات وجرّد الخزّانة وبين سير العمل في الدفاتر ووجوه الخطأ في السمل واقتراح ما
يصلحه .
- د- وضع كشف شهري للوارد والمنصرف مع بيان ملاحظات اللجنة .
- هـ- حصر دفاتر الإيصالات والأوراق ذات القيمة وتسليمها لأمين الصندوق بإيصال موقع عليه يحفظ لدى رئيس
اللجنة .
- و- التفكير في تنمية الموارد المالية ودراسة كل المقترحات التي يرد بها الوصول إلي تحقيق هذه الغاية .

اللجنة القضائية

المادة ٨٣- مهمة اللجنة القضائية هي الإشراف علي قضايا الإخوان التي ترفع عليهم أو منهم بصفتهم إخوان
ودراستها والمرافعة فيها أو الإشارة بمن يقوم عليها . وعلى اللجنة أن تحتفظ لديها بصورة كاملة من ملفات
القضايا معدة للإطلاع عليها حتى آخر إجراء فيها . وليس للجنة في حالة رفع القضايا أن ترفعها إلا بعد أن يأتين
مكتب الإرشاد كذلك ليس لها أن تتخذ إجراء غير قضائياً عادي إلا بعد عرض الأمر علي المكتب .

المادة ٨٤- مهمة اللجنة السياسية هي دراسة التيارات السياسية العامة والخاصة في الداخل والخارج ودراسة
الحوادث السياسية الطارئة وتحديد موقف الإخوان منها ودراسة المقترحات التي توجه للمكتب بهذا الخصوص إذا
رأى ن يحيلها علي اللجنة ، وليس للجنة حق إصدار قرارات باسمها ولكنها تعرض ما تراه علي مكتب الإرشاد
وله الرأي .

وعندما اشتدت الاتهامات حوله كان رده:

ما زالت موارد الإخوان وتنظيمهم المالى ومصادر الإخوان ومصادر نفقاتهم لغزاً كبيراً أمام كثير من الذين لم يتصلوا بهم ولم يحاولوا أن يتعرفوا الأمور على وجهها وكثير من الناس حين يرى هذا النشاط الدائب والعمل المتواصل والمشروعات الكثيرة والمطبوعات المتوالية والحفلات الضخمة والاجتماعات الحاشدة يسأل نفسه.. من أين للإخوان بكل هذا؟! وكيف يحصلون على المال ومن أى جهة يجلبونه وهم قوم معظمهم إنما يجد ما يكفيه فقط وليس فيهم كثير من الأغنياء أو الأثرياء!؟

وخصوصاً إذا كان هذا المتسائل من رجال الأحزاب أو الجماعات التى تتفق الكثير فى مثل هذا النشاط ولا تجد القليل من البذل من الأعضاء والأنصار وقد يذهب الكثير من هؤلاء المتسائلين فى الظن إلى درجة الاتهام الباطل فيقول يأخذون من الدول الفلانية أو الهيئة العلانية أو تنفق عليهم هذه الجهة العالية أو تلك الناحية الخفية وكل ذلك وهم باطل وظن فاسد واتهام جرىء وقول مفترى لن يقوم عليه دليل ولا شبه دليل.

وبين رفض حسن البنا للإعلان عن مصادر التمويل إحكام قبضته عليها وانشقاق العديد من القيادات الإخوانية كانت السعودية تشهد أزهى عصور الرخاء وبداية الطفرة البترولية.

ففى هذه المحلة وقع عبد العزيز آل سعود العديد من عقود التنقيب عن البترول مع شركات أمريكية كما أنه ألغى الامتيازات التى كانت ممنوحة للشركات البريطانية وتصارعت الشركات الأمريكية على التنقيب عن البترول.

وأصبح عبد العزيز فى وضع يسمح بأن يرسل الهدايا الذهبية إلى ملك مصر، وتحول السعودية من دولة تتلقى المعونات إلى دولة تمنح المعونات. وجاء الإعلان عن خروج الفكر الوهابى من طور الكمون إلى طور الحركة على لسان مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الإمام حسن البنا، عندما قال قولته المشهورة:

إن المصلح الاجتماعى إن رضى لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله

ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد .

وكان هذا التصريح من جانب حسن البنا بمثابة الإعلان الصريح عن دخول الحركة الوهابية (الإخوانية) المعترك السياسي .

حيث تميزت المرحلة الأولى والتي حمل عبء نشرها رشيد رضا على الاكتفاء بالدعوة إلى فكرة الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية وتجنب الصدام سواء مع بريطانيا أو ملك مصر .

ورغم المحاولات الكثيرة التي بذلت للتأكيد على أن الإخوان ليسوا امتداداً لأفكار رشيد رضا أو أنهم شعبة من شعب الوهابية .

إلا أن تصريحات حسن البنا وعلاقته بالسعودية جاءت كلها لتأكيد الرباط البيولوجي بين الإخوان والوهابية .

فالمبادئ التي دعا إليها رشيد رضا تحت اسم حزب الإصلاح الإسلامي ردها حسن البنا تحت اسم جماعة الإخوان المسلمين، فدعائم حزب الإصلاح قامت على أساس عالمية الدعوة الإسلامية والعودة إلى نظام الخلافة الإسلامية والحكومة الإسلامية والرجوع بالإسلام إلى سيرته الأولى .

فشمولية الدعوة الإسلامية وعالميتها جاء الإعلان عنها والدعوة إليها على لسان رشيد رضا في المجلد الأول من أعداد المنار عندما كتب يقول: إن القول بفصل الحكومة والدولة عن الدين هو قول بوجوب السلطة الإسلامية من الكون .

نفس هذه الآراء والمبادئ جاءت جميعها في رسائل حسن البنا، فيقول الإمام حسن البنا في رسائله: إنها دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة والتوحيد .

دعوة سلفية: فيها العودة إلى منبع الإسلام الصافي من كتاب الله وسنة رسوله .

وطريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة النبوية المطهرة في كل شيء .

وهيئة سياسية لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج وإخراج البغاة من أرض الإسلام فى مصر خاصة والعالم الإسلامى عامة.

وعن أهداف جماعته يقول الإمام حسن البنا فى رسالته إلى الشباب نحن نريد:

١- الرجل المسلم: فى عقيدته وتفكيره وخلقه وعمله وتصرفه.

٢- البيت المسلم: نريد للمرأة ما نريده للرجل ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب.

٣- الشعب المسلم: ولذلك نعمل على أن تصل دعوتنا لكل بيت وإن يسمع صوتنا فى كل مكان.

٤- الحكومة الإسلامية: التى تقود هذا الشعب إلى المسجد ونحن لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ولا بهذه الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها.

وفى المؤتمر الخامس يشرح أسلوب الوصول إلى هذه الأهداف فيقول:

١- البعد عن مواطن الخلاف الفقهى.

٢- البعد عن هيمنة الكبار والأعيان.

٣- البعد عن الهيئات والأحزاب.

٤- التدرج فى الخطوات.

ومع صدور أول جريدة للإخوان المسلمين أعلن حسن البنا فى الافتتاحية الأولى لها نفس مبادئ رشيد رضا والتأكيد على نفس الخطوات التى بدأها رشيد رضا.

وإن استطاع هو أن يخرج الأفكار الوهابية من طور الكمون إلى طور الثورية والحركية ويعلن ذلك صراحة من خلال توصياته إلى الجماعة فيقول:

متى تكون خطواتنا التنفيذية؟

أيها الإخوان المسلمون:

نحن هنا في مؤتمر اعتبره عائلياً يضم أسرة الإخوان المسلمين وأريد أن أكون معكم صريحاً للغاية فلم تعد تتفعلنا إلا المصارحة.

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد غير ميدان الخاطئ، يسهل على كثير أن يتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطيع تصويره أقولاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عن العمل، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ولكن قليلاً منهم يقدررون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله.

وفي قصة طالوت بيان لما أقوله. فأعدوا أنفُسكم وأقبلوا عليها بالترية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتنحوا بالعمل.

وبإعلان حسن البنا الدخول في الحياة السياسية والشروع في إقامة مشروع الدولة الإسلامية خرجت جماعة الإخوان من إطار الدعوة الدينية إلى نطاق الحركات السياسية وأصبحت تطبق عليها كافة قواعد اللعبة السياسية حيث تختفى لغة الفرسان في التعامل وتظهر المبادئ الميكافيلية.

وبدأت الدعوة الوهابية ممثلة في الإخوان المسلمين تخطو الخطوة الثانية في مرحلة الثورية أو الحركية حيث يقوى التنظيم السري ويزداد عدده وبالتالي حدته في الخطورة عليه من جهة كشفه بمعرفة السلطة وشرعت بالتالي قيادة الإخوان في التهيؤ للخروج من باطن الأرض إلى السطح رافعة سلاح التحدي في وجه السلطة السياسية المنافسة لها.

وظهرت التشكيلات العسكرية للإخوان بشكلها المنتظم أثناء استقبال الملك فاروق من الإسكندرية لتولى الحكم.

وتوقيت هذا الخروج وبهذا الشكل كان مرتبطاً بالسعودية سواء من الداخل أو الخارج فمن الخارج كانت التقارير التي أعدتها الاستخبارات البريطانية حول السيرة الذاتية

لفاروق كانت تؤكد أنه بعيد كل البعد عن السياسة وأنه منغمس في الملذات وله العديد من المغامرات النسائية ويهوى لعب القمار، كل هذه المعلومات كانت بمثابة الضوء الأخضر للسعودية للتقرب منه. والإغداق عليه في العطايا والهدايا الذهبية وكانت أيضاً فرصة للاطمئنان على العرش خاصة أن التهديد من جانب الأسرة الهاشمية قد تلاشى بعد تحجيم فيصل بن الشريف حسين وإعطاء إمارة شرق الأردن لعبد الله.

ومن الداخل وتحديداً عام ١٩٣٨ أصيبت الحياة السياسية بالشلل التام فقد تمكن الملك فاروق من تحقيق انتصار كاسح على الوفديين وحدث انشقاق داخل صفوف الوفد وتأسس حزب السعديين وظهر أحمد حسين ورفع شعار الخلافة الإسلامية وحكم الشورى والمناداة بفاروق خليفة للمسلمين فأصبحت الأمور كلها في يد فاروق.

فكان اختيار حسن البنا للوقت الذي تعانى فيه البلاد حالة فراغ سياسى أنسب الأوقات للإعلان عن الإخوان كجماعة سياسية وقولا عديدة يخشى بأسها وكان يوم عودة الملك فاروق من الإسكندرية وتنظيم موكب شخصى لاستقباله. بداية تعارف المصريين بالقوة التى وصل إليها الإخوان من حيث العدد أو من حيث التنظيم.

ويحكى الإمام حسن البنا فى رسائله عن الأسباب التى دفعته إلى التخلي عن مبدئه فى البعد كل البعد عن السياسة والدخول فى ميادينها بأن المصلح الاجتماعى إن رضى لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ونفخة فى رماد.

وبدخول الإمام حسن البنا ميدان السياسة يكون قد ارتضى لجماعته الخضوع لجميع الأعياب السياسة والسياسيين فيكون الاتفاق والخلاف من أجل تحقيق الهدف الأوحد الذى تسعى إليه أى حركة سياسية وهو الوصول إلى الحكم، وخلال الفترة من عام ١٩٣٥ وحتى وفاة الإمام حسن البنا. شهدت جماعة الإخوان المسلمين صدامات بينها وبين الأحزاب السياسية التى كانت قائمة.

وكان الصدام طبيعياً جداً مع الأغلبية فى ذلك الوقت وهو الوفد، دار صراع بين الإخوان وحزب مصر الفتاة كرد فعل للصراع الدائر بين على ماهر باشا الذى كان يشجعه الإخوان والبندارى باشا الذى كان يؤيده حزب مصر الفتاة فى التقرب إلى الملك .

فى ظل هذه الأجواء السياسية الداخلية والخارجية بدأ التنظيم السرى للإخوان ينشط واتخذ نوعاً جديداً من التكتيك وهو استخدام العنف المتمثل فى ثلاثة تكتيكات وهى الاغتيالات والكمائن بأنواعها والحركة والسعى للحصول على المعونة الخارجية. وبدأ التنظيم السرى للإخوان والذى تم اختياره من غلاة المتعصبين لفكر الإخوان من بين الشباب ونشط قادة التنظيم فى جمع السلاح من السوق المحلى والخارجى.

وشهدت هذه الفترة من حياة الإخوان نشاطاً مرتفعاً للتنظيم السرى ووقعت عدة حوادث اغتيالات وتخريب ضد الخصوم السياسيين للإخوان وكان أول هذه الضحايا أحمد ماهر باشا .

وكانت أشهر الاغتيالات السياسية التى قام بها التنظيم السرى للإخوان المسلمين هى عملية اغتيال النقراشى باشا وتكمن شهرتها ليس لأن المقتول كان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت أو لأنها جماعة الإخوان المسلمين ولكن شهرتها جاءت من الاعترافات التى أدلى بها القاتل حول تفاصيل اختيار أعضاء التنظيم السرى والطقوس التى يؤديها عضو التنظيم.

وبدأت عملية الاغتيال عقب التقرير الأمنى الذى قدمه اللواء عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام وقتها إلى رئيس الوزراء النقراشى باشا حول نشاط جماعة الإخوان وحوادث القتل والضرب ووضع القنابل التى قامت بها. الأمر الذى دفع النقراشى إلى أن يصدر قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة أموالها وتحويل مقرها إلى نقطة شرطة .

ولم يمض على قرار الحل سوى شهر واحد وأثناء دخول رئيس الوزراء مبنى وزارة الداخلية تقدم منه شاب يرتدى بدلة ملازم أول وقدم إليه التحية العسكرية ورد عليه النقراشى رافعاً يده وقبل أن يستكمل رد التحية أخرج الضابط طبنجة كانت فى يده وأطلق عدة أعيرة نارية عليه وأرداه قتيلاً .

أغلقت أبواب وزارة الداخلية ورفعت درجات الاستعداد القصوى.

وبدأت التحقيقات مع القاتل الذى تبين إنه طالب فى كلية الطب واسمه عبد المجيد حسن ووالده موظف كتابى بوزارة الداخلية، وأنه عضو بالتنظيم السرى للإخوان المسلمين وأنه فعل ذلك ردًا على قرار النقراشى بحل جماعة الإخوان.

واكتفى المحقق بتلك المعلومات حتى أصدر حسن البنا بيانًا أذان فيه عملية الاغتيال مؤكدةً أنهم ليسوا إخواناً.

وكان هذا البيان بمثابة الصدمة للشباب وفتح شهية المحقق والقاتل معاً لإعلان التفاصيل السرية حول التنظيم السرى للإخوان وتجربة القاتل فى التجنيد فيقول: إن التنظيم السرى فى ذلك الوقت يرأسه عبد الرحمن السندى وتسموا فيه صفات معينة فتقرر ضمه إليه.

فأدخلوه إلى غرفة مظلمة إلا من ضوء خافت لا يتبين منه محدثه ثم أقسم يمين الولاء والطاعة على مصحف ومسدس وبعد ذلك كان عليه ألا يظهر أى تعاطف مع جماعة الإخوان وممنوع عليه الكلام مع أى من أعضاء الجماعة ويظهر دائماً عداوة ضدهم حتى يبعد أى شبهة نحوه وإذا قابل أى عضو من الأعضاء القدامى للجماعة فعليه أن يقول له إنه استقال من الجماعة نهائياً.

ويسترسل القاتل عبد المجيد حسن شقيق رئيس الوزراء السابق كمال حسن على كلامه قائلاً: إنه اشتاق مرة أن يسمع فضيلة المرشد حسن البنا فتوجه إلى مبنى الحلمية ووقف بعيداً فى الميدان ليسمع صوته المحبب إلى نفسه بغير الميكروفون ولكن العيون المراقبة لاحظته وأجرى تحقيق معه واعترف بمخالفته للتعليمات. فقرر توقيع جزاء تأديبى كان عبارة عن حمل جرابندية الجواله وسار إلى جواره عضو آخر ركب دراجة من باب اللوق إلى حلوان كعقاب له على مخالفة التعليمات.

التنظيم السرى للإخوان فى ذلك الوقت ورغم محاولات حسن البنا احتواء الحادث وإصدار بيان إدانة ضد قاتل النقراشى ونفيه أى رباط بينه وبين الإخوان لم يرتدع فقرر

نسفا محكمة باب اللوق التي سوف يحاكم فيها عبد المجيد حسن فقام شقيق إبراهيم أنس أحد أمضاء التنظيم بإلقاء عبوة ناسفة على مكتب النائب العام الذي كان يجري التحقيقات في قضية مقتل القنراشى باشا وخرج هارباً من باب المحكمة. حيث تمكن الأهالى من القبض عليه واعترف بأنه عضو فى التنظيم السرى للإخوان.

واثار سكوت الملك فاروق على تصرفات الإخوان وتصاعد أعمال العنف تجاههم العديد من التساؤلات والأقاويل خاصة أن رد فعل فاروق جاء متأخراً جداً وعنيفاً، واسترجاع ما كان يدور فى مصر وخارج مصر وقتها يقدم لنا تفسير ما كان، ففى هذه الحقبة التاريخية من الأربعينيات شهدت تطورات كثيرة فى حياة وسلوكيات فاروق وعلاقاته بالقوى الوطنية التي كانت موجودة فى هذا الوقت.

لقد ظهرت على فاروق نفس الأعراض السياسية التي ظهرت من قبل على أبيه الملك فؤاد فى أن يكون خليفة للمسلمين ويكون إمبراطورية إسلامية تتطلق من القاهرة ووقع اختياره على عزام باشا أول أمين للجامعة العربية فى الدعوة لتنفيذ الحلم.

واختيار عزام فى إقامة جسور تعاون بين مصر والسعودية ترجع إلى أن والج زوجته هو خالد أبو الوليد أحد زعماء المقاومة الليبية كما كان صديقاً شخصياً للأمير فيصل



عبد العزيز آل سعود داخل مبنى البرلمان المصري في حضور عبد الرحمن عزام والأمير محمد عبد العظيم

الوريث الشرعى للعرش كانت حركتهم تقوم على الاتصال مع الملك عن طريق حماه من أجل إنشاء منظمة إقليمية بين الدول العربية حيث قال عزام:

(لم تكن هناك حاجة لأية عبقرية لرؤية البعد الإسلامى وراء إنشاء الجامعة العربية.

رغم أننا لن نعترف به أبداً أن الطبيعة الغالبة للعامل الإسلامى فى الشئون العربية لا بد أن تجعل الجامعة فى النهاية جامعة إسلامية).



قبيلة من فاروق على حين عبد العزيز آل سعود
أثناء زيارته لبيروت بعد الحرب العالمية الثانية

ويأتى على الجانب التكتيكي من اللعبة التى أخذت تشكل تحالفاً مصرياً سعودياً وكانت العلاقات بين الوهابيين وأسرّة محمد على قد توترت وقضى محمد على على الدولة السعودية، لذا كان الهدف هو إزالة رواسب الماضى وتضميد الجراح القديمة وكان عزام هو القائم بتنفيذ هذا الأمر وكان أول لقاء بين فاروق وسعود عندما زاد عبد العزيز آل سعود مصر لمقابلة فرنكلين روزفلت فى البحيرات المرة بالإسماعيلية إلا أن

فاروق وعبد العزيز التقيا لقاء سرياً من وراء الأمريكان والانجليز فى الفيوم حضره عزام للاتفاق على الخطوط العليا لتنفيذ حلم إقامة الدولة الإسلامية حيث سافر بعدها فى مارس ١٩٤٦ لأداء فريضة الحج والتقى مع عبد العزيز فى مكة وفى اجتماع مكة بين فاروق وعبد العزيز آل سعود اكتشف عبد العزيز أن أحلام فاروق لا تقل عن أحلام أجداده وأن تهديد السعودية ما زال قائماً فى ظل العلاقة اليت كانت تربط الأسرة الهاشمية ممثلة فى الملك عبد الله بالأردن والملك فيصل وأخيه على العراق.



سيف هدية فاروق لعبد العزيز آل سعود وخاتمة هدية عبد العزيز آل سعود لفاروق

وفى الداخل بدأ فاروق يتقرب من حسن البنا ويستقبله وتوثقت فى الوقت ذاته العلاقة بين ممثل القصر على ماهر وحسن البنا .

كانت مظاهر هذا التقارب خروج الإخوان إلى القصر والتهاتف بمبايعة الإخوان المسلمين لفاروق وأيضاً الخروج للتهاتف إلى على ماهر أثناء عودته من مؤتمر المائة المستديرة بلندن بخصوص فلسطين حيث هتف أحمد العسكري بحياته وأمر الإخوان بالتهاتف له أيضاً .

ولأن فاروق كان حديث العهد بالعمل السياسى ولم يمارس السياسة طوال حياته قد اعتقد أن ما تقوم به جماعة الإخوان هو لخدمته هو وإن كاف الأنشطة التى تدور والعمليات والاعتقالات ليست موجهة ضده بل ضد خصومه السياسيين فظل يفض البصر عنها وكانت فترة التقارب بين فاروق والإخوان المسلمين بمثابة مرحلة جس النبض من قبل حسن البنا ناحية السلطة لتنفيذ مخطط إقامة الحكومة الإسلامية فى مصر .

وحدثت واقعة شهيرة فى ذلك الوقت جعلت حسن البنا يستشعر أن الوقت قد آن للوصول إلى السلطة وأن ضعف السلطة وعدم صلابتها وثقتها بنفسها قد بدا واضحا ولا يحتاج لتفسير فعندما قرر على ماهر إنشاء وزارة للشئون الاجتماعية وقوات جيش

داخلى عاب عليه حسن البنا استبعاد الإخوان من الدخول إلى الوزارة الجديدة والجيش الداخلى.

فكتب إليه يقول: إن الإخوان قد مارسوا المهنتين ممارسة فعلية منذ سنوات طويلة.

وقد تكونت لديهم خبرة كبيرة فى الشئون الاجتماعية فى هذا البلد للمساهمة بنصيبتهم فى هذه الواجبات وهم حين يزاولونها لا يفعلون ذلك بروح الموظف المكلف ولكن بروح المصلح المضحى المتفانى فى غايته. وأضاف البنا تعليقاً على رد الفعل المتوقع من الأحزاب فقال:

إن الرجعيين يريدون أن يهيمنوا على نهضة البلد ويمدوا أصابعهم فى كل شىء سبرى هؤلاء القاتلون بعد طول المطاف وكثرة التجارب أن نضرة هذا البلد وإعزازه وتوفير الخير له سيكون على أيدى هؤلاء الرجعيين.

بهذه الرسالة العتابية قاس حسن البنا مدى صلابة السلطة وموقفها من قوة الإخوان وأحس أن المرحلة الثانية من مراحل الانقلاب المسلح قد حان وقتها. فى الوقت ذاته كانت تقارير الأمن السياسى ممثلة فى الحرس الحديدى للملك فاروق تضع تقاريرها حول نشاط حسن البنا والتي انتهت إلى أن له علاقات مع دول أجنبية وأنه يتلقى معونات خارجية ويرتبط بعلاقات خاصة مع السعودية وإن لجماعته نشاطاً مضاداً لنظام الحكم وأن تصاعد عمليات العنف فى الفترة الأخيرة ينذر بالخطر الأمنى لموقف جماعة الإخوان وخلال هذه الفترة أكد أن جماعة الإخوان بهذا الشكل تكون قد دخلت فى طور الحركة الثورية التى تتميز بمرحلة ثبات نسبى تقف فيها الطائفة الراغبة فى الوثوب على السلطة لترى المقارنة بينها وبين النظام الحاكم للأغلبية الجماهيرية.

وأحس فاروق وقتها أن عليه التخلص نهائياً من حسن البنا وجماعته وقد أحكم فاروق خطته فى التخلص من حسن البنا حيث دعا البنا لاجتماع أطلق عليه اجتماع لجنة الصلح بين الحكومة والإخوان داخل مقر جمعية الشبان المسلمين حيث وقف عدد من أفراد الحرس الحديدى متخفين فى زى حراس مقر الجمعية. وعقب انتهاء اجتماع لجنة

الصلح بين الحكومة والإخوان خرج ممثلو الحكومة فى الاجتماع وركبوا سياراتهم. ثم خرج البنا وحده. وأمام باب جمعية الشبان المسلمين أطلق أفراد الحرس الحديدى النار على حسن البنا ونقل إلى مستشفى قصر العينى ولم يتقدم طبيب واحد لإسعافه.

ويموت حسن البنا وتفقد جماعة الإخوان العقل المدبر والمهيمن على مقاليد أمورها ولتطوى صفحات الإخوان المسلمين أول جماعة دينية تدخل اللعبة السياسية وتسعى للوصول إلى الحكم.

ويموت البنا دخلت جماعة الإخوان مرحلة جديدة تميزت بالهدوء والتوقف عن أى أنشطة جديدة.

.....

فى نهايات عام ١٩٥٣ أستدعى الرئيس جمال عبد الناصر القيادى الإخوانى حسن العشماوى لمبنى قياده الثورة ووضع أمامه كافة التقارير التى رصدتها الأجهزة الأمنية المصرية عن نشاط الإخوان المسلمين داخل القوات المسلحة وكذلك لقاءات واتصالات المرشد العام المستشار حسن الهضيبي وكبار مساعديه مع مسئولى السفارة الأمريكية بالقاهرة.

ماذا كان يدور فى هذه اللقاءات؟ وماذا كان يحدث فى الشارع المصرى فى ذلك الوقت؟ وهل كانت هناك علاقة بين ما يحدث والصدام بين ثورة يوليو والإخوان.

رسائل السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ذلك القوت تقدم وجبه دسمه من المعلومات عن طبيعة الاتصالات وأهداف كلا من الأمريكان والإخوان.

فى ٢٧ مايو سنة ١٩٥٣ رفع المستر "بورديت" سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة، تقرير عن لقاء تم بينه وبين المستر "جيرنجان" كممثلين للجانب الأمريكى مع السيد محمود مخلوف عضو جماعة الإخوان المسلمين.

وفى هذا الاجتماع ركز مخلوف فى حديثه على أهمية جماعة الإخوان المسلمين ونصح الأمريكان بضرورة زيارة الاتصالات مع الجماعة وعرض عليهم وجهة نظر الإخوان ورغبتهم بأن تكون الاتصالات مع الأمريكان أكثر قريباً وعمقاً.



أعضاء مكتب الإرشاد الإخواني ومجلس قيادة الثورة يصلون خلف المستشار الهضيبي بعد الثورة مباشرة



من اليمين صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وعبد العزيز عطية وعمر التلمساني

وفى هذا الاجتماع وافق "محمود مخلوف" على لقاء المستر هارت باعتباره المتخصص فى الشؤون الدينية والعربية فى واشنطن.

وفى ٤ يونيو سنة ١٩٥٤ تم لقاء آخر ضم محمود مخلوف والمستر جيرنجن وبورديت. وكان هذا الاجتماع مخصص هذه المرة لمناقشة الترتيبات الدفاعية التى ينوى الغرب تنفيذها فى المنطقة. وفى هذا الاجتماع أكد ممثل الإخوان أن العرب يعترضون على أية ترتيبات دفاعية مع الغرب وشعور العرب له ما يبرره إذ إن عدوهم الأول هو إنجلترا، ومن ثم فهم لا يريدون التورط فى حرب خارج أراضيهم من أجل بريطانيا.

وتبلغ الاتصالات واللقاءات بين الإخوان والأمريكان ذروتها فى ٢١ يونيو ١٩٥٣ بقاء بين المرشد العام للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت حسن الهضيبى "المستول المكلف من السفارة الأمريكية.

وفى هذا اللقاء قرر الهضيبى بأن الحكومة العسكرية القائمة لا يمكنها حل جماعة الإخوان المسلمين حتى لو أصدرت قانوناً بذلك لا يمكن تنفيذه وإن اجتماعات الإخوان ونشاطهم سوف يستمر.

وأن مجلس قيادة الثورة يتكلمون فقط ويكثرون من التصريحات ولكنهم لا يفعلون شيئاً ولا يجولوا أقوالهم إلى أفعال.. وعندما سئل عن رأيه فى موقف الفلاحين المصريين فى حالة ما إذا تولى الوفد تشكيل الحكومة رد بأن الصورة سوف تكون أسوأ مما هى عليه.

وفى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٣ عقد اجتماع بين الهضيبى والسكرتير السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة "النتج".

وفى هذا الاجتماع سئل الهضيبى عن موقف الإخوان من مجلس قيادة الثورة حيث أجاب مؤكداً أن نظاماً جمهورياً أصلح من الناحية الإسلامية وأنهم يرغبون فى إزاحة بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة من مناصبهم. وأنهم يفكرون فى اعتزال العسكريين

الحكومة وإحلال مجموعة مختارة من الأحزاب محلهم وأن على المعارضة أن تتسق جهودها للتعامل بالقوى مع الظروف إذا ما سقط النظام.

وقال إن حكومة الثورة سوف تسقط فى وقت قريب بسبب سياستهم ولأنهم بثوا أحلام كبيرة لا يمكن تحقيقها ومن بينها إخراج الإنجليز من قناة السويس وإصلاح الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

وعن رأيه فى الدستور قال أنهم يريدون أن تصبح مصر دولة إسلامية وأن هذا يتعارض على لجنة وضع الدستور وأضاف أن الإخوان لن يدخلوا فى العمل السياسى إلا إذا تحققوا من النصر وأنه ليست هناك احتمالات للهزيمة كما حدث من قبل.

كانت الاتصالات مع الغرب بالإضافة إلى ما جرى فى يناير ١٩٥٣ من حل الأحزاب السياسية مع استثناء جماعة الإخوان المسلمين هو بداية الصدام المباشر وإعلان الإخوان حربهم ضد عبد الناصر وثورته، حيث دخل الطرفان فى صراع من نوع صراع النهاية المرة لا البقاء المشترك.

فى ١٢ يناير ١٩٥٤ أثناء الاحتفال بذكرى الحسن وشاهين أراد الإخوان فى هذه الاحتفالية الإعلان أمام الثورة عن مدى قوتهم والظهور بمظهر الاستقلال عن الثورة ومنذ صباح يوم الاحتفال بدأ الإخوان فى تنظيم صفوفهم وسيطروا على الميكروفون.

وعندما وصل وفد منظمات الشباب من المدارس والجامعات حاملين الميكروفونات بدأ الإخوان فى التحرش بهم وطالبوهم بإخراج الميكروفونات فى الوقت الذى حمل الإخوان أعلامهم والإيرانى نواب صفوى قائد جماعة فدائيات الإسلام وأخذوا فى ترديد الهتافات الإخوانية.

ثم هجموا على سيارات منظمات الشباب وتعدوا بالضرب عليهم بالعصى والكرابيج ثم تفرقوا، وصدر بيان من الثورة جاء فيه أن مرشد الإخوان ومن حوله وقد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجيهًا يضر بكيان الوطن ويعتدى على حرمة الدين ولن تسمح الثورة أن تكرر فى مصر مأساة رجعية باسم الدين ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد

بشهوات خاصة مهما كانت دعواها ولا أن يستغل الدين فى خدمة الأغراض والشهوات وستكون إجراءات الثورة حاسمة وفى ضوء النهار وأمام المصريين جميعًا، وعقب هذا البيان اعتقلت الثورة المرشد العام وزعماء الإخوان وتم اعتقال (٤٥٠) منهم وتدخل الملك سعود للوساطة للإفراج عنهم وكانت الوساطة مشروطة بألا يعملوا بالسياسة ولكن الإخوان لم يلتزموا بهذه الشروط فأصدروا منشورات من بينها الذى يقول: إنه ومنذ أن وقعت الاتفاقية الأخيرة والسيد جمال عبدالناصر ورجاله يقومون بدور الوسيط عند الدول العربية لحساب الاستعمار وهم يتعاملون مع عملاء الاستعمار المعروفين أمثال نورى السعيد الذى عاش طول عمره يخدم الاستعمار الإنجليزى والجنرال زاهدى فى إيران الذى خان بلاده وأرجع البترول إلى دول الاستعمار ولكن الشرق الذى ابتلى طويلا بأمثال زاهدى ونورى السعيد وجمال عبد الناصر سيعف كيف يتخلص من عملاء الاستعمار، وبدأ الصراع بين ثورة يوليو والإخوان المسلمين بأخذ شكل التصاعد التدريجى ليصل فى النهاية إلى نقطة اللاعودة التى يعرف عندها الطرفان أن بقاء أحدهما مرتبط بالقضاء على الآخر، وأخذ الإخوان زمام مبادرة التعجيل بالقضاء على عبد الناصر وذلك فى مارس ١٩٥٤ أثناء خطاب المنشية عندما كلف أحد أعضاء التنظيم السرى للإخوان الإخوانى محمود عبد اللطيف باغتيال عبد الناصر أثناء خطابه بالمنشية إلا أن محاولة الاغتيال فشلت وتم القبض على عبد اللطيف وبدأت التحقيقات معه والتى كشفت المخطط الإخوانى للوصول إلى السلطة فى ذلك الوقت بالتحديد وهو الوقت الذى توافرت فيه من وجهة نظرهم - كافة العوامل لنجاحه.

فعلى مستوى التأييد الخارجى لأى تحرك إخوانى ناحية السلطة هناك تأييد أمريكى أوروبى وفى الداخل وصل التنظيم الخاص للإخوان إلى قمة نضوجه وأن اغتيال عبدالناصر سوف يحدث حالة من الفوضى وعدم الاتزان يمكن للإخوان وقتها الخروج إلى الشارع والسيطرة على الحكم.

إلا أن فشل محاولة الاغتيال وإلقاء القبض على ٨٦٧ من العناصر الإخوانية قدموا للمحاكمة، كشفت التحقيقات والمواجهات بين المتهمين العديد من الأسرار والمعلومات.

وفى جلسة ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤ جرت مواجهة بين اثنين من المتهمين وهما المتهم الثانى فى قضية هندواى دوير المحامى وإبراهيم الطيب المتهم الأول حيث تبارى الاثنان فى فضح المخطط الإخوانى وقدمت القضية رقم (١) لسنة ١٩٥٤ (محكمة الشعب) المتهم فيها محمود عبد اللطيف محمد: (حضر المتهم)

الرئيس:

- فتحت الجلسة .. المدعى ..

وكيل النائب العام:

- وآخر مقابلة كانت معاك له .. كانت إمتى قبل الحادث؟

الشاهد:

- لعلها قبل الحادث بيومين.

وكيل النائب العام:

- إديته الحزام إمتى؟

الشاهد:

- قبل الحادث بيومين.

وكيل النائب العام:

- كنت معاه يوم الحادث؟

الشاهد:

- لا يا فتدم.

وكيل النائب العام:

- متأكد إنك مارحتلوش فى إمبابة يوم الحاث؟

الشاهد:

- لا

وكيل النائب العام:

- ما حصلشى بينك وبينه كلام بشأن خطة اغتيال الرئيس جمال عبدالناصر؟

الشاهد:

- اللى حصل هو الكلام فى الخطة اليت عرضتها وتلخص فى أن الاغتيال لا يمكن أن يبدأ فيها إلا إذا حصل اعتداء على الحركة الشعبية.

وكيل النائب العام:

- سؤال محدد.. هل تحدثت مع هنداوى بشأن الاعتداء على الرئيس جمال؟

الشاهد:

- لا.. لم أتحدث معه فى هذه الجلسة.

الشاهد:

- أولاً فيما يتعلق ببدء الحركة، فقد كان المفهوم أن القوات التى ستشارك فيها قوات ذات أغلبية عددية وقد سبق أو هناك سابقة فى حوادث ٢٥ مارس وما سبقها بأن سيادة الرئيس جمال كان له اتجاه معين كان يسلم به، فكان برضه مفهوم لدى الناس اللى بينفذوا أو الذين يعدون هذا الإعداد.. جائز أننا نحصل على المطالب التى تقوم بها الحركة بدون أى إراقة دماء أو معارضة من المعارضات.

وكيل النائب العام:

- إذا كان اغتيال جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة.. مين اللى يسكت الناس بتوع جمال ورجال جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة.. مين اللى يسكت الناس؟

الشاهد:

- ذكرت أن السيد جمال عبد الناصر، كان يعلم أنه له سابقة فى هذا.. لو حصل شىء يكون طبيعياً سيادة رئيس الجمهورية موجود، وجايز جداً أن يحصل تفاهم بين الرئيس نجيب والرئيس جمال.

وكيل النائب العام:

- إزاي الرئيس نجيب يتفاهم مع الرئيس جمال المغتال؟

الشاهد:

- أنا باتكلم قبل حصول أى اعتداء، ومن المحتمل أن يتم تفاهم..

وكيل النائب العام:

- وإذا لم يوافق؟

الشاهد:

- باعتبار أن هناك أغلبية عددية ومجموعات كبيرة مع الرئيس نجيب، كان المفهوم أن المسألة لا شك فيها أن الحكم يكون فيها للأغلبية..

وكيل النائب العام:

- وإحنا قلنا إن الناس دول حايتحولوا على بعض ويتضاربوا.. الحرب الأهلية بتكون الغلبة فيها للفريق الأقوى والأكثر عدداً.

الشاهد:

- أيوه..

وكيل النائب العام:

- أنت قررت فى آخر كلامك أن الجهاز السرى لجماعة الإخوان كان للدفاع عن الدعوة فى الجزائر أو تونس أو مصر فقلت لك اضرب لنا مثلاً عن كيفية الدفاع عن الدعوة فى مصر وتدرجنا إلى الكلام شوية واعترفت بأن الغرض هو القيام بحركة شعبية مسلحة ضد الحكومة تستهدف الاستيلاء على البلاد تقدر تقول لنا بقى ما هو التناقض بين الفكرتين بالنسبة للهدف الذى تكون منه هذا الجهاز المسلح هل الغرضين هما الهدف منه وإلا واحد يقال فى العلن وواحد فى السرى؟

الشاهد:

- الغرض كان مواجهة القوات الأجنبية التي تعتدى على أرض الوطن مفيش.

وانتهت المحاكمة بإعدام (٧) من الإخوان المسلمين، وبانتهاء محاكمة المتهمين وأعدم من إعدام يبدأ من هذا التاريخ ظهور الدور السعودي الأمريكى فى مساعدة القيادات الإخوانية الهاربة فى الداخل للخروج من مصر. حتى تستطيع التفكير والإعدام للتعامل مع ثورة يوليو وقائدها فى ظل التقارب المصرى الروسى الذى أخذ فى التنامى والتقارب الداخلى إلى حد التحالف.

أما الكيفية والوسائل التى استخدمتها السعودية والمخابرات الأمريكية فى تسهيل تهريب الإخوان من نصر إلى الخارج فقد كانت عن طريق شركة المقاولون العرب المملوكة لعثمان أحمد عثمان أحد العناصر الإخوانية النشطة فى ذلك الوقت ولا توجد وثيقة أو دليل لكشف حقيقة الدور الذى لعبته السعودية والمخابرات الأمريكية فى تهريب الإخوان وتمويلهم، سوى اعتراف "عثمان أحمد عثمان". فى مذكراته التى رواها فى كتابه "تجربتي" لعثمان أحمد عثمان أحد العناصر الإخوانية النشطة فى ذلك الوقت، وترك عثمان أحمد عثمان يحكى قصة علاقاته بالإخوان والسعودية والأمريكان من خلال مذكراته فى كتاب "تجربتي". يقول عثمان فى كتابه: علاقاتى بالإخوان نشأت فى الإسماعيلية حيث كان حسن البنا أستاذاً فى المدرسة الابتدائية وكان يحضر يوماً إلى منزل خالى المرحوم الشيخ محمود حسين وأن أول دعوة للإخوان خرجت من بيتنا بالإسماعيلية، ويضيف عثمان أنه كان عضواً فى جماعة الإخوان وظل يسدد الاشتراكات طوال حياته ولم ينفصل عنها كتنظيم وظل مقتنعاً بمبادئها وكقيم ارتبط بها وسار على نهجها من يومها وحتى الآن.

ويضيف عثمان أن دعوتنا الإسلامية ضربت مرتين مرة عام ١٩٥٤ ومرة عام ١٩٦٥ وعن تهريبه للإخوان يقول:

كان ارتباطى الروحى بالإخوان المسلمين وبحكم نشأتى الدينية سبباً فى أن أترك لهم باب شركتى مفتوحاً على مصراعيه لكل من يريد منهم أن يعم لمعى. وعن قصة تهريبه

للقائدات الإخوانية من مصر يحكى عثمان العديد من الحكايات حول تهريبه للقائدات. منها قصة القيادى الإخوانى عبد العظيم لقمة.

كان الحل الذى اهتمدى إليه صناع القرار فى الولايات المتحدة لوقف التهديد المصرى للأمريكان وآل سعود هو غزوها من الداخل وهو ما يعرف باسم: الفتنة المسلحة. والتي تقوم فلسفتها على أساس قيام أقلية ذات عقيدة سياسية مضادة لنظام الحكم بمحاولة قلب النظام لفرض عقيدتها باستخدام العنف وفقاً للتعريف الغربى لمفهوم الفتنة المسلحة فإن تطبيقها يتطلب أن يكون دعاة الفتنة أقلية لأنهم لو كانوا أكثرية لتحولت إلى الثورة الشعبية ولا بد وأن تكون عقيدتها مضادة لنظام الحكم وأن يكون هدفها هو الوصول إلى الحكم لفرض عقيدتها على الأغلبية وهى فى سبيلها إلى هذا لا بد وأن تستخدم أسلوب العنف ولم يجد الأمريكان وآل سعود صعوبة فى البحث لإيجاد أقلية فى مصر للقيام بالفتنة المسلحة "حرب العصابات" فقد كان الإخوان المسلمون هم النموذج الأمثل لتطبيقها وتتوافر فيهم جميع الشروط والأوصاف فيبينهم وبين عبد الناصر ميراث عداء وعقيدتهم مخالفة لعقيدة النظام الحاكم وقدرتهم على نهج أسلوب العنف لهم فيها تجارب سابقة.

ويجمعهم فى النهاية وآل سعود رباط بيولوجى واحد وعلى الفور بدأت عملية تجهيز الإخوان لتنفيذ المخطط الذى وضعه الأمريكان والذى كان يقوم على استراتيجية موحدة ذات محورين متوازيين متلازمين.

الأول: زعزعة الثقة بالسلطة عن طريق تضخيم الأخطاء والانحرافات والمشاكل وعزوها إلى طبيعة النظام وتشويه صورة الحاكم وإظهاره بمظهر الخائن للأهداف القومية لنزع ولاء الشعب له.

والمحور الثانى: كان يقوم على نشر أيدولوجية الإخوان من جديد وتناول المشكلات التى تهم قطاعا عريضا من المواطنين وتقديم حل لها على ضوء مبادئ الإخوان المسلمين وكان المحوران يهدفان فى النهاية قبل بدء العمل المسلح إلى تجميع أكبر عدد من المؤيدين لفكر الإخوان المسلمين.

وكانت الظروف التي مروا بها في الداخل أحد العوامل الرئيسية التي جعلتهم يقبلون القيام بأية أعمال عداوية ضد عبد الناصر.

فبعد حادث المنشية أُلقت حكومة الثورة القبض على العديد من العناصر الإخوانية وقدم منهم العديد للمحاكمات وصدر ضدهم أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة، وكان من بين الذين صدر ضدهم أحكام بالأشغال الشاقة الأديب "سيد قطب" الذي انضم إلى الإخوان في نهاية الأربعينيات وقد صدر ضده حكماً بالحبس لمدة (١٥) عاماً ونظراً لمكانته الأدبية قررت الثورة إيداعه في أحد المستشفيات لقضاء العقوبة بها بدلاً من السجن وداخل المستشفى وبعيداً عن السجن بأشكاله المختلفة بدأ سيد قطب يتفرغ للقراءة والكتابة وكان يرسل من حين لآخر مقالات.

وخلال الفترة من عام ١٩٥٤ حتى ١٩٦١ كانت أفكار سيد قطب قد شهدت تحولا كبيرا واقتناعه بأفكار العنف والتكفير وجاهلية المجتمع وتكفير الحاكم وبدأ سيد قطب يضع تصورات له لشكل المجتمع المصري وقتها والعلاقة بين الحاكم والمحكومين وموقف الدين من ذلك وهذه الأفكار وضعها في كتاب سماه "معالم في الطريق" كان يرسله إلى خارج السجن على عدة فصول.

فيقول سيد قطب: إن المهزومين روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن الجهاد في الإسلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استتكار الإكراه على العقيدة وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المعادية التي تحول بين الناس وبينه والتي تبعد الناس وتمنعهم من العبودية لله.

وإن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور أو بتعبير آخر مرادف الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأهيله للبشر يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله أن هذا الإعلان معناه

انتزاع سلطات الله المغتصبة وردّها إلى الله وطرد المغتصبين لها الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مكان العبيد أن معناه تحطيم مملكة البشر إقامة مملكة الله في الأرض إن مدلول الدين أشمل من مدلول العقيدة.

إن الدين هو المنهج الذي يحكم الحياة وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة لكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتقد بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام والذي يدك طبيعة هذا الدين يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم كما يريد المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام إنما كان حركة الدفاع والانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري في الأرض وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة.

ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي الانفصال عن الاعتبار الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية.

إن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا إنه هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته له وحده متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التعبدية في الشعائر القانونية وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا.

ومع مرور الأيام بدأ يطرح أفكاره الجديدة والموقف من النظام الحاكم وانتهى إلى أن الحل هو التخلي عن الجهاد بالقلب واستبداله باليد وخرجت أفكار سيد قطب عن طريقين الأول عن طريق أخته التي كان يسمح لها بزيارته والطريق الثاني المساجين

الذين كانوا يقومون بالكشف الطبى عليهم وبالتبعية تأثر العديد من العناصر الإخوانية برؤية سيد قطب وكان أبرز هؤلاء محمد عبد الفتاح رزق الشريف والذي كان يعمل وكيلا بوزرة الزراعة إدارة نزع الملكية وكان كثير التنقل بحكم وظيفته التى أتاحت له الحركة بطريقة طبيعية تحت غطاء الوظيفة وتمكن محمد عبد الفتاح من نقل أفكار سيد قطب إلى العديد من القرى والمحافظات وبدأت أفكاره تحدث صداماً مع العناصر الموجودة خارج السجن نظراً لأن الثورة استطاعت أن تثبت أقدامها لدى الجماهير.

وخلال الفترة من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ كانت أفكار سيد قطب قد وصلت إلى العديد واعتنقها الكثير من العناصر الجديدة حيث شكل كل من محمد عبد الفتاح رزق وعبد الحميد الشاذلى بمحافظة الإسكندرية وعبد الفتاح إسماعيل فى الدقهلية مثلت الإخوان الجديد.

وبدأ الثلاثة فى الشروع لإحياء الجماعة من جديد واستقر الرأى على المنهج وخطة العمل الذى سوف يسير عليها التنظيم وشكل الثلاثة مجلس شورى من الجماعة لحسم الخلافات فى الرأى العام قد تنشأ مستقبلا، وعقب وضع النواة واختيار العناصر سافر عبد الفتاح إسماعيل إلى السعودية لشرح موقف الجماعة الآن، وهناك التقى سعيد رمضان وعشماوى سليمان ومصطفى العالم وتحثوا حول المساعدات التى يمكن أن تقدمها قيادات المهجر لهم وانتهى اجتماع السعودية بالحصول على الدعم المطلوب للصرف على التنظيم وتركوا لهم تحديد الكيفية للوصول الدعم إلى نشاط التنظيم وتوفير السلاح.

تواكب مع هذه الحقبة وتحديداً عام "١٩٦٤" فترة خروج سيد قطب من السجن والذي نقل إليه نشاط التنظيم عن طريق شقيقته حميدة قطب والتي تعرفت على أفكار الجماعة الجدد عن طريق منزل زينب الغزالى والذي كان يرشدهم إلى الأفكار والجانب التثقيفى.

وقع اختيار قادة التنظيم على بعض العناصر الشابة وغير المعروفة لأجهزة الأمن لتنفيذ المهام الجديدة وتشكيل مجلس شورى التنظيم وقع الاختيار على تولى "سيد قطب" رئيساً للتنظيم ومحمد يوسف هواش نائباً وتم تقسيم التنظيم إلى خلايا لها دور محدد.

ثم عين أحمد عبد المجيد مسئولاً عن وحدة جمع المعلومات مجدى عبد العزيز الناحية العسكرية وعبد الفتاح عبده إسماعيل مسئول الناحية المالية والاتصالات الخارجية وبدأ المخطط الإخوانى بحملة تثقيفية للعناصر الذى وقع عليها الاختيار للمشاركة فى التنظيم ١٩٦٥ وعقب الاطمئنان على الجانب التثقيفى والذى اتخذ شكل معسكرات جواله ودروساً فى الفقه وتدریس أفكار سيد قطب والفكر الجهادى ثم بدأ البرنامج الجديد بتدريبات على الرياضة وألعاب المصارعة والعنف وقيادة السيارات وصناعة المتفجرات ثم تم جمع العديد من خريجي كلية العلوم لصناعة المواد الكيماوية لتوفير صناعة المتفجرات والقنابل ثم قام أفراد التنظيم بتدريبات للعناصر على أعمال الطبوغرافيا حيث جند ورصد أفراد التنظيم الأهداف الحيوية الهامة خاصة الوزارات الحيوية ولتسهيل المهام والتحرك على الإخوان يكلف بعضهم بتعلم مهنة الزنكوغراف لصناعة الأختام وتزوير البطاقات والكارنيهات.

وقام بعض المهندسين الإنشائيين برصد عدد من الكبارى والطرق وتحديد أماكن الارتكاز التى توضع فيها القنابل.

بالإضافة إلى أفراد الحرس ودورات تغييرهم وعددهم، وتمكن الإخوان من تجنيد بعض الطيارين وحدد شهر مايو ١٩٦٥ لبدء تنفيذ انقلاب الإخوان وحددت الأهداف والتحقيقات التى سوف تنفذ عليها عمليات الاغتيال حيث رصد كل من سنترال رمسيس وسنترال العباسية ومصر الجديدة ومحطات الكهرباء والقناطر الخيرية.

وعقب تنفيذ المهام بدأت عناصر الإخوان المكلفة بالاتصالات الخارجية حيث كلف بعض الطيارين بلقاء على عشاوى فى جدة لتدبير المال وسافر عبد الفتاح إسماعيل إلى السعودية والتقى بسعيد رمضان ومصطفى العالم وعثمان سليمان وسافر على عشاوى إلى السعودية سنة ١٩٦٤ للاتفاق على شكل وأساليب نقل المال والسلاح حيث اتفق سعيد رمضان ومصطفى العالم على نقل المال والسلاح من الحدود المصرية السودانية عن طريق درب الأربعين، وكانت آخر زيارة تلك التى قام بها شقيق زينب الغزالى حيث حمل

نص رسالة سعيد رمضان بأن المال سوف يسلم تقريباً عن طريق إرساله من بيروت ومع التنبيه بالإسراع بتنفيذ مخطط الانقلاب وقبل بدء التنفيذ كانت أجهزة الأمن وقتها تقوم بمراجعة مواقف العناصر الإخوانية حيث ألقى القبض على إسماعيل الهضيبي وبالتحقيق الروتينى مع إسماعيل الهضيبي بدأ يحكى عن خطة الإخوان لمواجهة مسلحة جديدة تهدف إلى الاستيلاء على الحكم وحدد الخطة المستقبلية التى كانت تتوى الجماعة تنفيذها وباعتراف إسماعيل الهضيبي دخلت الأجهزة الأمنية والإخوان فى صراع من الزمن للقبض على الإخوان. بالضغط عليه اعترف بوجود خلية إخوانية أغلبهم من العاملين بمصر للطيران منهم الطيار يحيى أحمد ومحمد حسين وثالث اسمه ضياء الدين الطوابجى وتمكن يحيى أحمد من ركوب الطائرة وهرب قبل اعتقاله بساعتين وهرب إلى السودان واعترف الباقون بخططهم لنسف مطار القاهرة بالكامل.

وكان الدافع وراء قيام أجهزة الأمن فى ذلك الوقت بمراجعة موقف العناصر الإخوانية التى أفرج عنها مؤخراً هو اكتشاف محاولة لاغتيال عبد الناصر أثناء عودته من إحدى الرحلات الخارجية أكدت التحريات وقتها أن الإخوان تمكنوا من تجنيد أحد عناصر شرطة الرئاسة وكان بطلا فى الرماية ويجيد التصويب من بعيد وكانت المعلومات المتوافرة عنه فى ذلك الوقت أنه "رام ماهر" وبمراجعة كشوف شرطة الرئاسة والمهرة منهم فى إطلاق النار. تم تحديد اسمه ومواصفاته وكان يدعى "الفيومى" وقبل وصول طائرة عبد الناصر من موسكو بنصف الساعة كانت قوات الأمن تقوم بتمشيط مطار القاهرة والمنطقة المحيطة به.

حيث وجد الفيومى قد جهز بندقية مجهزة بتلسكوب واختبأ فى مكان قريب من المطار حيث قبض عليه وتم اقتياده إلى التحقيقات وهناك بدأ فى الاعتراف على عملية إحياء تنظيم الإخوان المسلمين وفقاً للرؤية التى طرحها السيد قطب. وكان لعملية القبض على إسماعيل الهضيبي وفشل محاولة الفيومى فى تنفيذ الاغتيال أن بدأت العناصر الإخوانية المكلفة بتنفيذ الانقلاب الثورى وتغيير المجتمع الجاهلى فى الإسراع فى تنفيذ الانقلاب حيث وضعت قيادات التنظيم خطة الانقلاب والتى قامت على عدة محاور فى وقت واحد..

المحور الأول: وكان خاصاً بالتخلص من جمال عبد الناصر فى الإسكندرية أثناء مروره من المعمورة حيث ينزل فى أرس التين مقره الصيفى هناك. وأثناء مرور الموكب تقوم المجموعة المكلفة بالاغتيال بإطلاق النار عليه من داخل محل أندريا وهو الطريق الذى يتطلب المرور تهدئة السرعة عند منحى الطريق وفى حالة فشل المحاولة أو صعوبة التنفيذ لا تنفذ المجموعة عملية الاغتيال على أن تقوم مجموعة أخرى داخل محل بترو فى سيدى بشر التى تتميز طبيعتها الجغرافية بأنها ضيقة ومزدحمة وتعتبر نموذجية لاصطياد الهدف.

والمحور الثانى: فى تنفيذ المخطط الثورى كان يقوم على تفجير عدد من المنشآت الحيوية مثل التليفزيون وسنترال العباسية ومصر الجديدة ومحطات الكهرباء ومطار القاهرة والقناطر الخيرية بعد أن تمكنت قيادات الإخوان من تجنيد العديد من العاملين فى مصر للطيران منهم الطيار "يحيى أحمد" ومحمد حسين وضياء الدين الطوبجى بالإضافة إلى عدد من المهندسين الذين حددت لهم عملية تحديد نقاط الارتكاز بالكبارى وصناعة المتفجرات والعبوات الناسفة.

وبفشل عملية الاغتيال بالإسكندرية، بدأت عناصر تنظيم "١٩٦٥" تتساقط وأمام المحكمة بدأت الاعترافات الإخوانية تشرح تفاصيل عملية الانقلاب والدور السعودى فى العملية.

اعترافات سيد قطب:

- س: رئيس المحكمة: قل لنا معلوماتك تفصيلا عن التنظيم وصلتك به.
- ج: صلتى الحقيقية بهذا التنظيم ترجع إلى ما بعد خروجى من السجن.
- س: رئيس المحكمة: هل كنت واخذ حكم سنة ١٩٥٤ فى قضايا الإخوان؟
- ج: أيوه.
- س: كان الحكم إيه؟
- ج: خمس عشرة سنة.

س: ومتى خرجت من السجن؟

ج: فى مايو ، ١٩٥٤

س: قلت صلتك الحقيقية، هو فيه صلة غير حقيقية. تقول لك صلتك بالتنظيم وأنت فى السجن؟

ج: لم أعلم أنه تنظيم إلا بعد خروجى من السجن.

س: قرر يوسف هواش - نائبك وخليفتك وزميلك فى السجن بقوله: سنة ١٩٦٣ حميدة قطب شقيقةك بلغت سيد قطب فى السجن عن التنظيم.. وتقول فى مواقع أخرى كنت بتعززهم بمعلومات.. ما رأيك فى قول هواش؟

ج: لم يسأل.

س: تقول لك هل حصل قوله أم لم يحصل؟

ج: وجود تنظيم بهذا الاسم.. أنا عرفت أن هناك شباباً يقرأ لى ويحب أن يتصل بى.

س: ما كانت صلتك بهذا الشباب إذا كانت كلمة تنظيم غير واضحة لك؟

ج: الصلة كانت على النحو التالى بالضبط.. إن حميدة أبلغتني أن الحاجة زينب الغزالى أبلغتها أن شباباً يقرأ لى فهناك مانع من الإطلاع على مسودات كتاب "معالم فى الطريق" قلت لا لا .

س: هل كانت المسودات فى البيت أم بتخرج من السجن؟

ج: بعضها كانت موجودة وبعضها يشار إليه يؤخذ من كتاب كذا .

س: يؤخذ من كتاب كذا.. من كان بيعملها - حميدة؟.. هل هى على درجة أستاذية؟

ج: كل من فى البيت يقرأ كتبى ويفهمها .

س: أنت تحدد الفصول؟

ج: أيوه.

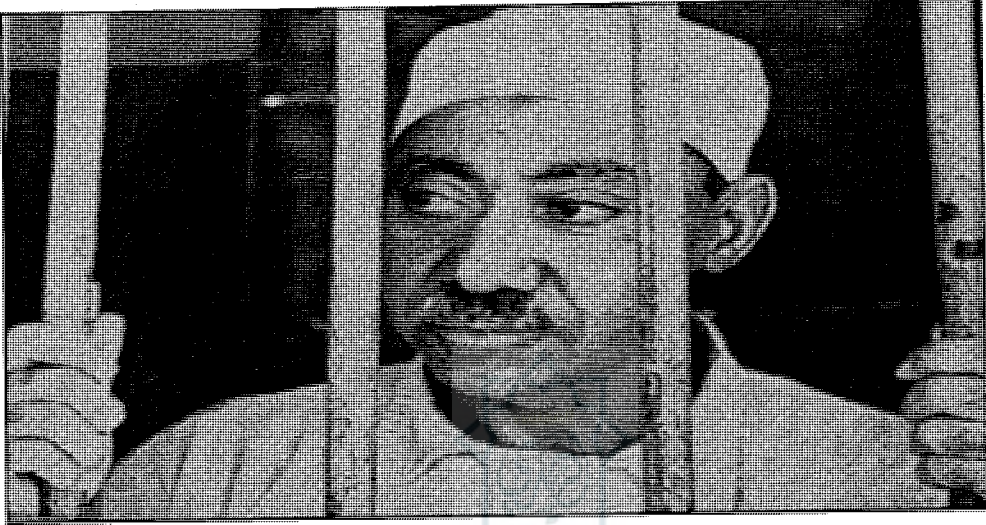
س: وماذا أيضاً وأنت فى السجن سنة ١٩٦٣.

ج: هذه كل الصلة.

س: أما كنت تعلم وأنت فى السجن على حد قولك. الشباب اللى عاوز يقرأ لك أنه

مسلح؟

ج: لا.



سيد قطب خلف القضبان أثناء نظر قضية تنظيم ١٩٦٥

س: خرجت بعفو صحى سنة ١٩٦٤ فى مايو لإصابتك بذبحة صدرية؟ وماذا؟

ج: بعد خروجى من السجن فى مايو ١٩٦٤ لا أستطيع تحديد الزيارات وبدأ يزورنى الحاج عبد الفتاح إسماعيل.

س: وهل كان بيعرفك من قبل..؟

ج: لا.

س: استأذن من فى زيارتك؟

ج: كلم محمد قطب أنه يريد أن يتزود ومحمد قطب اعتذر له لأن طبيعة محمد لم يحب أن يتصل أى اتصالات ثقافية فقال له أريد أن اقابل سيد قطب فقال لى عبد الفتاح إسماعيل تثق فيه الحاجة زينب ويريد مقابلتك.. هل لديك مانع قلت لا.

س: الواسطة محمد والزكية زينب؟

ج: أيوه وأظن أنا واضح جداً فى تعبيرى.

س: وإن لم تكن دقيقاً لى أن أستوضحك؟

ج: أيوه.. والحاج عبد الفتاح سلم على وقال إنه ممن يقرءون كتبى وأنه قرأ فصول كتاب المعالم وكان فى ذلك الوقت تحت الطبع وإن معه شباباً يقرءون لى وأنهم يريدون مقابلتى فأجبتة لا مانع ولا أذكر فى المرة الثانية جه لى ثلاثة أو أربعة.

س: من قولك.. فى المقابلة الثانى جالى هو وعشماوى.

ج: حصل.

س: ما الذى حصل من كلام على؟

ج: كلام ثقافى وأن معهم آخرين.. وما أعرفش مين فيهم اللى قالى.. والمهم جاء لى خمسة.

س: ومن هؤلاء الخمسة؟

ج: ده فى المقابلة الثالثة أحمد عبد المجيد وصبرى الكومى وعبد العزيز متولى وعبد الفتاح وعلى عشماوى.

س: أين جاءوا لك؟

ج: فى رأس البر.

س: وعبد الفتاح وعلى عشماوى؟

ج: لا أذكر والخمسة جولى فى رأس البر.

س: نحن يهمنى الخمسة. لأنهم أعضاء إيه؟

ج: أعضاء القيادة وتحديثوا معى حديثاً أوسع وذكروا لى أنهم ليسوا وحدهم ومعهم مجموعات أخرى من الشباب وذكروا لى تاريخ تكوين هذه المجموعة ومن وقتها إلى أن كونوا المجموعات.

س: لسه فى كلام كده من قولك: وبعد عدة لقاءات "الخمسة" بدءوا يقولون إن لهم تنظيمًا سرّيًا ويرجع إلى عدة سنوات سابقة وأن هذا التنظيم قائم على أساس أنه تنظيم فدائى للانتقام مما جرى للجماعة سنة ١٩٥٤.

ج: هذا صحيح.

س: يبقى عرفت فى اجتماع الخمسة أنهم قالوا لك أنه تنظيم سرى وأنه قائم من عدة سنوات وطبيعة هذا التنظيم هدفه مؤسس على أنه تنظيم للانتقام مما جرى للجماعة؟

ج:

س: من كان يتصل بك من أفراد قيادة التنظيم؟

ج: أحياناً على عشاوى.

س: قال لك غيه؟

ج: هناك أسلحة ستأتى من السعودية عن طريق السودان وأن هذه الأسلحة كان قد طلبها هو منذ سنوات من إخوان السعودية ثم نشروا هذه الكلمات حتى جاءت له الرسالة تخبره أن الأسلحة شحنت بالفعل وأنها ستصل.

س: الأسلحة كانت جاية ليه كان قائماً من قبل.

س: على اساس التنظيم الذى كان قائماً من قبل.

س: يعنى طالب أسلحة للتنظيم.

ج: من ٣ سنوات قبل ذلك.

س: يعنى قبل ما تتولى التنظيم. أنت على القيادة وتعلم بالتسليح وأنت دخلت التنظيم وهو مسلح؟

ج: قال لى إن هذا السلاح كان قد طلبه هو من ٣ سنوات حتى نسي هو.. حتى جاءته رسالة بأن الأسلحة ستصل.

س: وصلت لفين؟

ج: إلى دراو.

س: هل دراو فى الأراضى المصرية محافظة أسوان؟

ج: أيوه. ويتحتم استلامها لأن عدم استلامها يكشف التنظيم.

س: إذن من أهدافك ما ينكش هذا التنظيم؟

ج: طبعاً.. لكن دراو ليست مكاناً صالحاً لشيء كهذا لأن كل شيء فيها مكشوف غير

أنه ينبغى أن ندرس الطريق حتى إذا وصلت هذه الأسلحة. فعند استلامها تعمل صناديق مشابهة لصناديق الأسلحة.

س: قلت له أدرس المسالك والمداخل لدراو ولا تتغال فى أمور النقل لكى لا يظنوا أن

هذه مخدرات ومن باب التمويه عليك تعلم صناديق مماثلة لصناديق الأسلحة تحط فيها

بلح ودوم وحتى لا يكشف الأهالى أن هذه أسلحة؟

ج: أيوه.

س: قلت التحقيق أمام النيابة وتوديعهم البيت اللى فيه الأسلحة؟

ج: هنا فى القاهرة شيء غير دراو وغير القرى يعنى السلاح لم يتحط هنا مش خطر.

س: دى الفضيحة فى القاهرة؟

ج: دى وجهة نظرى.

س: ووجهة نظر عبد الفتاح الشريف غير كده؟

ج: طبعاً.

س: إنت مش بتأمن الأسلحة اللى جاية. والأسلحة رايحة لجحا ولا للتنظيم؟

ج: طلبها التنظيم؟

س: لما قلت لعلى ع شماوى استلم كانت حتخزن لحساب مين ومين اللى حيقوم

بالتخزين؟

ج: هنا التنظيم وفى فرق إنى أنا تهمنى الأسلحة وبين أنه يهمنى التنظيم ذاته.

س: يعنى يهكم التنظيم دون الأسلحة؟

ج: أيوه.

س: وهل الاغتيالات حتبقى بالطوب والخنق بالسلاح أم بالبوتجاز؟

ج: الاغتيال لم يكن أمراً جدياً ولما يبقى فيه اغتيال يبقى بالسلاح.

س: وهل كانت الاغتيالات من باب الهزار؟

ج: دى اقتراحات؟

س: وبعدين.. تعرف حاجة عن عبد العزيز على؟

ج: أيوه؟

س: حصل إيه عن التنظيم بالنسبة لعبد العزيز على وفريد عبد الخالق وما الذى

انتهى الأمر إليه من توجيهك فى هذا الموضوع؟

ج: أخبرونى قبل خروجى بأنهم اتصلوا بعبد العزيز على.

س: عن طريق مين؟

ج: عن طريق الحاجة زينب الغزالى. لأنهم شبان وعاوزين واحد يقودهم.

س: لتقوا كام مرة؟

ج: ما أعرفش. وأنهم لما التقوا بعبد العزيز على لم يستريحوا لمناقشته معهم.

س: لماذا.

ج: لأنه كان من بين هذه الأسئلة كان يسأل عن عدد من معه.

س: ما تعرفش أنهم لم يستريحوا له بسبب هذه الأسئلة وأن الأستاذ فريد عبد

الخالق كان حاضراً اجتماعاً مع عبد العزيز على وعبد الفتاح إسماعيل "الخمسة دول".

ج: اللى بيقودوا التنظيم وإن الأستاذ فريد عبد الخالق كذلك لم يسترح لوجود عبد

العزيز على لأن له اتصالات بجهات أجنبية وابتعدوا عنه.

س: بناء على مشورة مين؟

ج: بناء على عدم استراحتهم له ومشورة الأستاذ فريد عبد الخلق لأنه كان الأستاذ فريد عبد الخالق ليس متفقاً مع الخمسة.

س: وشنع عليهم؟

ج: وسنع عليهم.

س: هو مين.

ج: الأستاذ منير الدلة.

ج: إنهم شباب طايشين مهووسين ويودوا الجماعة في داهية.

س: قالوا لك يا استاذ سيد حوش اللي بيشنعوا علينا بيقلوا علينا مهووسين وطايشين البعض خلاف دول قال حيودوا في داهية والله أن ما كان حيبطلوا؟

ج: حنبغ عنهم.

س: وبناء عليه قالوا لك حوش عنا التشنيع فما الذي فعلته؟

ج: ما عملتش حاجة.

س: افكر كده، ألم تقابل أحداً؟ ألم تقابل حسن الهضيبي وتقول له.. الهضيبي والله

كبير يتولى زمامهم؟

ج: الكلام ده لم يدر بيني وبين الهضيبي ودار بيني وبين منير الدلة.

س: ألم تقل لهم هذا الكلام؟ ومعنى الكلام ده إنهم لاقيين واحد كبير يتولى زمامهم؟

ج: ده حصل ولا أستاذ فرى والأستاذ منير الدلة قالوا في شأن كيت وكيت قلت لهم لو

لاقيت رأس كبيرة. تقودهم ما كانوا بيقوا طايشين.

س: مجلس قيادة التنظيم قرر اغتيالات أم لا؟ وإن كان قرر.. قرر مين ومين؟

ج: لم يقرر اغتيالات واقترح اقتراحات.

س: ومن هم الأسماء الواردة بالكشف؟

ج: رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعلى ما أذكر رئيس المباحث العامة ورئيس المخابرات العامة ومدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر وهذه الاقتراحات ظلت مجرد اقتراحات.

س: ليه الكلام تانى.. وكان اسمه فى كشف مكتوب ولما وصلوا لغاية هنا قلت كفاية ده يعتبر نجاحًا لغاية كده؟

ج: لغاية كدة تساوى ولا تقربوا الصلاة أو تساوى ويل للمصلين.

س: كمل لنا.

ج: كان مجرد اقتراح.

س: كما قرر على عشاوى وقال.. وأضاف سيد قطب مدير مكتب المشير ومدير البوليس الحرى.

س: تدمير المنشآت كانت إيه ولك فيها قول محطة كهربية الإسكندرية وكبارى القاهرة؟

ج: اقتراحات لا قرارات.

س: ما عدد أفراد التنظيم.

ج: اللى أذكره أننى سألتهم عن رجال الصف الأول أخبرونى أنهم حوالى ٧٠ وأنا استنتجت أنهم يكونون ٢٠٠ أو ٣٠٠.

س: بيشتغلوا إزاي؟

ج: بيدربوا.

س: هل كانوا بيدربوا منذ ٥٩؟

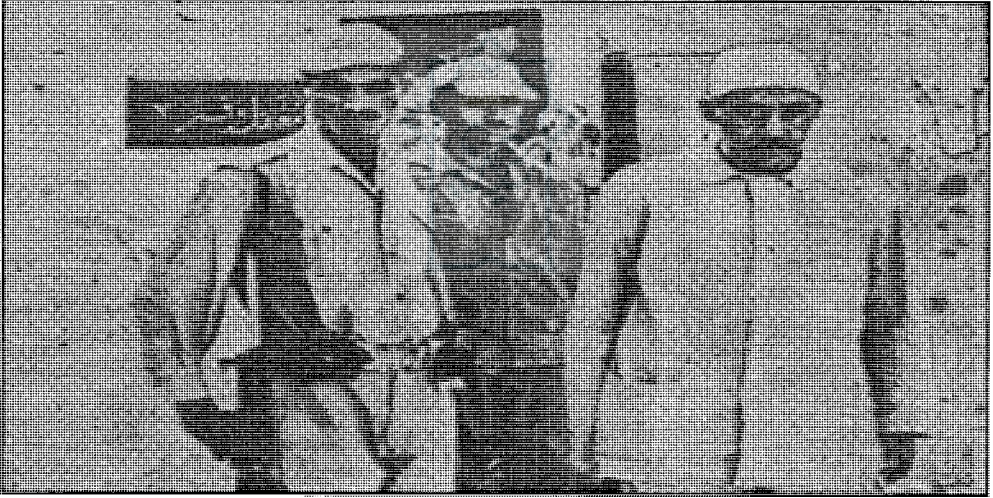
ج: قبل خروجى بـ٤ سنوات يعنى من ٦٠ أو ٥٩ والمجموعة فى الصف الأول فى خمس سنين لا تقل عن ٢٠٠.

س: كيف عرفتها؟

ج: فى عندى معلومات فى التدريس كنت موظفًا فى الإحصاء فى التربية والتعليم ودرسته فى أمريكا ونعلم أن خمس الناس فوق المستوى والخمس متوسط المستوى وفى تحت المستوى خالص ودرست الإحصاء فى أمريكا وفى اصطلاحات أفرنجى فوق المتوسط و٢٠ تحت خالص.

وبعد شد وجذب بين الدفاع والنيابة انتهت المحاكمة بإعدام سيد قطب، وعبد الفتاح عبده إسماعيل، ويوسف هواش.

وبإعدامهم تكون الصفحة الثانية من صفحات جماعة الإخوان قد طويت ودخلت الجماعة فى طور الكون لتبدأ صفحة جديدة مع بدء حكم السادات.



الأستاذ سيد قطب عقب صدور حكم الإعدام

.....

فى يناير ١٩٧٩ تلقيت المخابرات الأمريكية تكليفاً من دبيرجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومى بتحضير دراسة شاملة عن الحركات الإسلامية الأصولية منها والمتشددة فى جميع أنحاء العالم العربى على أن تعتمد الدراسة على مصادر بشرية

تتنمى إلى هذه الحركات وذلك حتى تعرف الإدارة الأمريكية أفضل الأساليب للتعامل معها وحتى لا تتكرر مفاجأة الثورة الإسلامية فى إيران.

وهى الثورة التى قلبت كل الموازين والحسابات على مستوى العلاقات العربية وعلى مستوى العلاقات الإيرانية العربية والعلاقات الإيرانية المصرية بالإضافة إلى تأثيراتها على خريطة وموازين القوة الدولية.

وضف على ذلك أن الثورة كانت الأثر الكاشف لحقيقة القوى الكاذبة والوهمية للمخابرات الأمريكية.

والتي كانت كافة تقاريرها تؤكد أن إيران ليست فى وضع الثورة أو قبل الثورة وأن الشاه لم يصل إلى مرحلة الشلل أو الفشل فى اتخاذ القرار.

وفجأة جاءت الضربة للمخابرات من حيث لا تتوقع وهذه أخطر ما فى الأمر.

وكان قيام ثورة فى بلد تضع فيها المخابرات الأمريكية أكبر قاعدة تجسس فى العالم على الاتحاد السوفيتى نظراً للتقارب الجغرافى وأن إيران كانت أقرب نقطة للإمبراطورية الروسية قد جعل السخونة تدب فى الخطوط، فالزحف الإيرانى يمكن أن يصل إلى المياه الدافئة وتحديداً الإمارات الخليجية حيث أكبر مخزون للبتروى تحت أراضيها.

هذه لمخاوف والهواجس جعلت الأمريكان يحاولون قدر الإمكان لاستفادة مما جرى فى إيران.

وكانت "مصر السادات" أول دولة صديقة للأمريكان تمارس فيها المخابرات الأمريكية العقد الإيرانية. فضاغت من عدد العملاء وفتحت خطوط الاتصالات العلانية والسرية مع كل من يمكن الاستفادة منه مستقبلاً.

وفى الوقت الذى كانت المخابرات الأمريكية تفرز العقد الكامنة داخلها على السادات. كان لدى السادات عقد من نوع خاص مصدرها أن نجاح الثورة الإيرانية قد ضاعف من حجم الأمل فى صدر الجماعات الدينية فى مصر فى ظهور خمينى آخر يخلص مصر من السادات بعد أن وصلت العلاقة بينهم وبين السادات إلى نقطة اللاعودة.

وما بين المخاوف الأمريكية ومخاوف السادات. كان هناك مسافة نما على جانبيها حوار.

الحوار البناء والمثمر بين الإخوان والأمريكان بدأ في عصر السادات في عام ١٩٧٧ والذي كشف طبيعة الاتصالات والحوارات بين الإخوان والأمريكان وثيقة سريتها المخابرات الإيرانية بعد استيلاء الطلبة الإيرانيين لمبنى السفارة الأمريكية بطهران واحتلالها لمدة ٤٤٤ يوماً.

والوثيقى التى تحمل رقم ١٤٢٩ وصادرة فى ٢٣ يناير ، ١٩٧٩

تؤكد أن مسئول القسم السياسى للسفارة الأمريكية اتصل بعمر التلمسانى والذي أعرب هو ورفاقه عن رضاهم بهذه الاتصالات من خلال مناقشاتهم الصريحة مع مسئولى السفارة وأبدوا عدم خوفهم منها بالرغم من أنها جزء من تغطية المخابرات المركزية لتحضير برنامجها المتعلق بدراسة الحركات الإسلامية.

الاتصالات الأمريكية بالإخوان كانت تجرى تحت مراقبة وعيون أجهزة السادات والدليل هو اعتراف السادات ذاته فى إحدى المؤتمرات الصحفية بهذا. وأمام رؤساء وأساتذة جامعتى أسيوط والمنيا. حيث وجدها فرصة للرد عما تنشره جماعات الإخوان على لسان مرشدها "عمر التلمسانى" فى مجلة الدعوى عن خطة أمريكية للقضاء على الجماعات الدينية، حيث قال: "ما هم - تعود على أمريكا - عايزين التلمسانى.

خروج السادات عن صمته وفضحه للمخطط الأمريكى والاتصالات الأمريكية الإخوانية نابع من خوفه أن يختار الأمريكان مرشد الإخوان بديلا عنه فى حكم مصر. خشية من تكرار تجربة الخمينى فى إيران حيث وصل إلى الحكم ولم تكن المخابرات الأمريكية تعلم شىء وكانت آخر من يعلم. ومع وصوله ضاعت قاعدة استخباراتية أمريكية كانت تمثل مصدر معلوماتى كبير فى إطار الصراع الروسى الأمريكى فى الشرق. الوثيقة تكشف عن توصية ونصيحة وجهها مسئول القيم السياسى بالسفارة الأمريكية إلى قيادته بواشنطن حيث يقول إن هذه الاتصالات "يجب أن تعزز بعناية وبشكل سرى"

والسبب أن هذه الاتصالات تجعلهم يقتربون من الهدف وهو معرفة ما يجري وراء الكواليس ورسم صورة واضحة لأوضاع التيار الدينى الداخلية".

وبعد النصيحة والتوصية رصد المسئول ملامح الحوار والنقاط التى يجب التركيز عليها فى الفترة القادمة هذه النقاط هى عدم المبالغة فى الحديث عن بدائية الجماعات الأصولية وأن تلين واشنطن فى موقفها تجاه الأصوليين المصريين مع تعزيز الجهود لتطوير الحوار مع قيادة الإخوان المسلمين مع الحذر فى الانتقادات الموجهة ذد أى دولة إسلامية أخرى من قبل أعضاء الكونجرس البارزين، والإخوان المسلمين يتعاطفون كثيراً مع الفلسطينيين بسبب قضية القدس، وأن اليمين المسلم يوجه الانتقادات للسادات بسبب توقيعه لاتفاقية كامب ديفيد مع الإسرائيليين وفضله فى الحصول على تعهد باستعادة القدس الشرقية حيث يقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

غضب وثورة السادات على اتصالات الإخوان والأمريكان يعود فى المقام الأول إلى إحساسه بالخداع من الطرفين وبقينه الثابت بأنه صاحب الفضل الأول على الطرفين وإيمانه الراسخ بأنه لولاه ما عاد الإخوان للحياة مرة أخرى ولا دخل الأمريكان المنطقة وأحتوى النفوذ الشيوعى ووقف تمدده فى المنطقة العربية وكذلك أفريقيا.

وقصة وصفقه عودة الإخوان للحياة السياسية والشارع والجامعات المصرية هى قصة تحالف الأمريكان وآل سعود ولكنها فى صورة جديدة.

بدأت بعد تشييع جنازة الرئيس جمال عبد الناصر وانتهاء مراسم توديع الجثمان حيث طلب الرئيس الرومانى شاوشيسكو لقاء كل من السيد على صبرى وأنور السادات كل على حدة. ونقل إليهما رسالة من رئيسة الوزراء الإسرائيلية فى ذلك الوقت جولدا مائير.

الرسالة التى نقلها الضيف الرومانى جاء فيها وكما جاء فى كتابه "هيكل":

١- إسرائيل لن تستغل الموقف الناتج عن وفاة عبد الناصر والتصريحات التى أدلى بها المسئولون الإسرائيليون بعد وفاة الرئيس هى تصريحات جادة تمثل وجهة نظر الحكومة.

٢- إن إسرائيل تتمنى أن يستمر المسئولون الجدد على السير فى نفس الطريق الذى سلكه الرئيس فى الشهور الأخيرة الرامية إلى إيجاد حل سلمى للمشكلة .

٣- لذلك فإن إسرائيل مستعدة أن تمد اتفاقية وقف إطلاق النار عند انتهائها لأجل غير مسمى .

٤- إن إسرائيل مستعدة لإرسال مندوبين على أى مستوى تراه جمهورية مصر العربية لإجراء محادثات لا تتعارض مع المحادثات التى يجريها السفير يارنج .

٥- وإذا كان هناك رد من المسئولين يبلغ إلى الجانب الرومانى الذى يقوم بدوره بنقله للجهاز الإسرائيلية .

هذه الرسالة رد عليها على صبرى ورد عليها السادات .

أما رد على صبرى - والذى كان يتمتع بنفوذ أدبى على كافة المسئولين فى ذلك الوقت بالإضافة إلى اعتباره فى نظر الغرب رجل روسيا الأول فى مصر - على الرسالة الإسرائيلية:

إن مصر تسير على نفس الخط ونفس السياسة التى رسمها عبد الناصر فى التعامل مع الصراع الإسرائيلى بصفة عامة ومع مبادرة روجرز بصفة خاصة والتى كانت تقوم إدارته للأزمة على أساس أن مدة وقف إطلاق النار تسعون يوماً مع بداية بناء جبهة شرقية قوية بين العراق وسوريا بالإضافة إلى تأمين العمق المدنى وحماية غطاء مصر بحائط الصواريخ لحماية المدنيين هذا كله يعطى مصر الفرصة لإعداد عملية كبيرة وإن كانت محددة لعبور قناة السويس طبقاً للخطة جرائيت فى القوات الذى لن تقوم قوات الأسطول السادس الأمريكى بدورها التقليدى كاحتياطى استراتيجى إسرائيل فإن هذا سوف يؤدى إلى وجود معادلة جديدة فى المنطقة، وينقل قضية وشكل الصراع إلى وضع جديد . هذه كانت وجهة نظر عبد الناصر، والتى أدت إلى قبوله المبادرة فالحل كان مؤقتاً للقضية وليس نهائياً فى قبوله . وهذا الرد جاء نتيجة قرب على صبرى من عبد الناصر والروس معاً .

ونجح عبد الناصر فى حماية العمق المصرى وإعادة ترتيب الأوراق الداخلية كانت هذه السباب والنتائج التى استطاع عبد الناصر تحقيقها سواء على الجبهة الداخلية أو الخارجية هى الدافع وراء رد (على صبرى) على الرسول الرومانى الذى قام بنقل وجهة نظر رفاق عبد الناصر ووجهة نظر السادات والذى أكد للرسول الرومانى من خلال إجابات دبلوماسية أن الباب موارب وإمكانية التسوية مرهونة بتغيرات خارجية وداخلية.

وجهتا النظر كما وصلتا إسرائيل وصلتا أيضاً إلى المخابرات الأمريكية وكانت التغييرات التى يراها السادات إمكانية تسوية فى الصراع العربى الإسرائيلى تتطلب إحداث تغييرات داخلية تتمثل أولاً: فى التخلص من العناصر الناصرية المتشددة فى قيادات الحكم والتى تمثل محلة التجريف والبوار لكل المرحلة الناصرية ثم يتبعها مرحلة أخرى وهى مرحلة زراعة أفكار تقوم على قبول سلام مصرى إسرائيلى.

وهذه التغييرات كانت تتطلب أولاً عدة مراحل كل مرحلة مرتبطة بالأخرى فالمرحلة الأولى كانت تقوم على التخلص من العناصر المتواجدة فى دائرة صنع القرار، وهذه المرحلة تتطلب تأمين الجبهة الداخلية أثناء التغيير خوفاً من تحريك الجماهير.

فى السياق ذاته كان لا بد وأن يتم تأمين الجبهة الخارجية خوفاً من قيام إسرائيل بأى مغامرات على الحدود المصرية. حتى إذا انتهت هذه المرحلة يدخل السادات فى المرحلة الثانية وهى مرحلة تغيير مصر الناصرية إلى مصر الساداتية.

ومن أجل تنفيذ هذه المراحل ظهر مثلث التعاون السعودى الإخوانى الأمريكى مرة أخرى. وكان لكل رأس من هذا المثلث وظيفة لتحريك تنفيذ السادات لمخططه. وكان وراء تحريك كل رأس دوافعه الخاصة. وتربطه بالإدارة المنفذة علاقة خاصة. فعلى مستوى العلاقة بين السادات والسعودية تؤكد اعترافات السادات والأسرة قدم هذه العلاقة.

ففى يناير ١٩٦٨ أعلن رئيس الوزراء البريطانى (هارولد ويلسون) أن محدودية الموارد المالية تضطر الحكومة إلى سحب الوحدات العسكرية الموجودة فى منطقة الخليج العربى قبل نهاية ١٩٧١.

ومثل هذا الانسحاب من شأنه أن يحدث فراغاً اعتادت بريطانيا أن تملأه. كحامية للمنطقة ضد التمدد الشيوعي وأن إخلاء المنطقة من القوات البريطانية يعطى للروس فرصة لزيادة تواجدهم فى المنطقة.

فى الوقت الذى يوجد عدد من القوات والخبراء الروس فى مصر. بالإضافة إلى العلاقات المتميزة بين مصر وروسيا وارتفاع حدة العداء بين مصر والسعودية. هذه كانت الصورة من خارج السعودية أما عن اصورة من الداخل فقد كانت أكثر ضبابية.

فى يونيو ١٩٦٩ أحبطت السعودى مؤامرة عسكرية للإحاطة بالملك فيصل وإقامة نظام جمهورى وتم إلقاء القبض على نحو ألفين من أفراد الجيش والقوات الجوية. وإذا كانت واقعة محاولة الانقلاب الفاشلة قد اعتبرت دافعاً داخلياً لتحرك السعودية لإعادة النظر فى التفكير فى عمليات التأمين ضد التهديد الروسى المتمثل فى الخروج البريطانى من المنطقة وامتداد النفوذ الناصرى إلى الجيش السعودى. إلا أن هذه العوامل كانت محركاً خارجياً بالنسبة للولايات المتحدة نحو اتخاذ خطوات أكثر جدية ناحية المنطقة العربية ومصر تحديداً.

فقد أقدمت الولايات المتحدة على خطوة جريئة لإثبات تعهدا بتأمين السعودية واحتواء أى تمدد للنفوذ الشيوعى. وتمثل ذلك فى عقد أكبر اتفاقية تسليح تُعقد مع دولة حيث بلغت قيمة الصفقة وقتها ٤٥٩ مليون دولار.

وقامت وزارة الدفاع الأمريكية بتدريب العديد من أفراد الجيش السعودى بالقواعد الأمريكية وتم تنشيط قاعدة الظهران الجوية. وكانت للخطوات التأمينية التى أقدمت عليها الإدارة الأمريكية ناحية السعودية أكبر الأثر فى استغلال الموقف ناحية تقارب مصر لإسرائيل.

فى عام ١٩٧١ جرت أقوى محاولة لكسب تفهم السعودية لخطة السلام الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط حيث زار روجرز السعودية واجتمع مع الملك فيصل بالرياض وشدد على حسن النوايا الأمريكية ناحية الشرق، ثم شرح الملك فيصل العوامل الداخلية

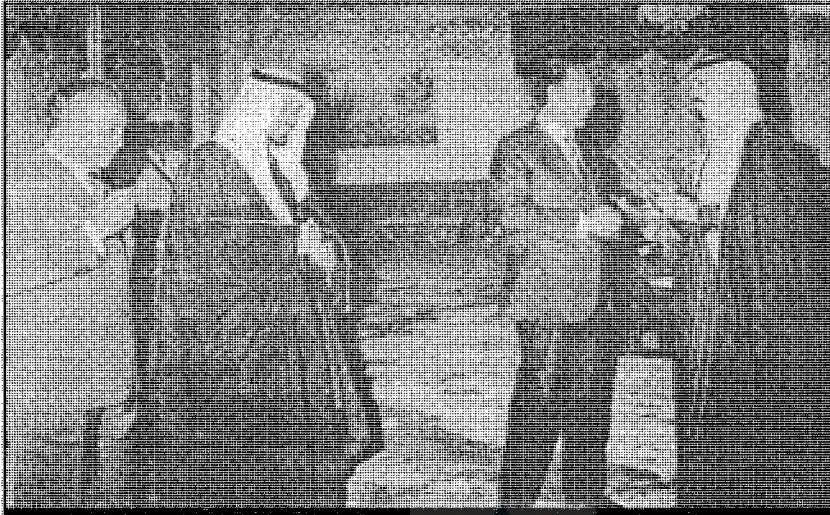
التي تحد من مرونة الولايات المتحدة في اتخاذ خطوات متشددة وسلمه خطاباً من نيكسون يتعهد فيه باستعداد الأمريكان للعب دور مؤثر ومفيد في التوصل إلى تسوية سلمية بالمنطقة. وغادر روجز السعودية مع ترك دعوة للملك فيصل لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية - في أي وقت - حسن النوايا الأمريكية ناحية الشرق والوعد الأمريكي بحماية الأراضي السعودية كان لا بد وأن ينقل إلى السادات الذي أظهر مرونة في رده إلى الرئيس الروماني حول رغبة إسرائيل في إجراء تسوية مع مصر. وكان لا بد وأن يطبق السادات حسن نواياه والتي كانت تتلخص في ضرورة التخلص من العناصر المتشددة والتي كانت تؤمن بأن الحل السلمي لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي لا تصلح.

وكانت عملية التخلص من العناصر الناصرية المتشددة ليست بالعملية السهلة وتتطلب عملية تأمين داخلية تتواءم مع عملية التأمين الخارجي الذي تعهدت به من قبل إسرائيل ممثلة في الوعد الروماني وحسن النوايا الأمريكية والتي نقلتها السعودية إلى مصر.

وإذا كان السادات قد نجح في تأمين الجبهة الخارجية فكان عليه أن يبحث عن تيار يستطيع أن يواجه إمكانية تحرك المؤيدين لأفكار عبد الناصر، وكان التيار الوحيد الذي يستطيع السادات أن يعتمد عليه هو التيار الإخواني الذي فرت عناصره القيادية إلى الخارج، وإن كانت جذورها ما زالت موجودة تحت الأرض. بالإضافة إلى أن هذا التيار يحمل ميراثاً عدائياً مع الناصريين وأن الصدام بين التيارين من شأنه أن يؤمن الجبهة الداخلية ويضمن على الأقل في ظل عدم تحرك إسرائيل فرصة للسادات لإقامة شرعية جديدة وبدأ السادات رحلة الاتصال لإعداد اتفاقية مع قيادات الإخوان المسلمين.

وبدأ الاتصال بالعناصر الإخوانية من خلال الملك فيصل بالخارج ومن الداخل عثمان أحمد عثمان والدكتور محمود جامع حيث سافر الاثنان إلى السعودية. وتحددت ليلة القدر لعقد اتفاقية عودة الإخوان. وبدأت عقب صلاة العشاء تحت نقطة الإذاعة وعلى يسار الحجر الأسود وعلى يمين حجر سيدنا إبراهيم وحضر من قيادات الإخوان الدكتور سالم نجم ومن الكويت عبد الرؤوف مشهور وعبد المنعم مشهور والدكتور يوسف

القرضاوى والدكتور أحمد العسال. وبعد لقاء امتد قرابة ساعتين وضعت شروط الصلح وتضمنت عدة نقاط أساسية تتلخص فى: الإفراج عن جميع المساجين والمعتقلين من



السادات فى أول زيارة له السعودية بعد توليه حكم مصر



اجتماع بين الملك فيصل والهنسى همام أحمد همام انتهى بالوصول على ضمانات بعدم ملاحقة الإخوان المسلمين الهاربين فى السعودية إذا هادوا مصر

الإخوان
والسماح
للهاربين
بالعودة
وإسقاط
الأحكام
الصادرة
ضدهم
وإعادة
الجنسية لمن
سحب منه .

الشروط
الإخوانية
السابقة
نقلها عثمان
والدكتور
محمود
جامع إلى
السادات
وكان

السادات يعتبر تنفيذها فى وقتها صعبة إلى حد ما وتتطلب أولا التخلص من العناصر الناصرية والشيوعية المتشددة التى تمثلت فى على صبرى وشعراوى جمعة اللذين كانا يخشاهما السادات .

وفى مارس ١٩٧١ وضع السادات خطة للتخلص من رفاق عبد الناصر. والخطة قام بوضعها (محمد حسنين هيكل) ونفذها الليثى ناصف.

واختار شهر مارس لتنفيذ مخططه وكانت له دوافعه وأسبابه. حيث دخل السادات معركة لاستعراض القوى بينه وبين من أطلق عليهم مراكز القوى وأراد أن يرفض الصيغة التي طرحت عليه بأن يملك ولا يحكم.

فقد حدث أن أرسلوا إليه ومن خلال سامى شرف إنذاراً عند عودته من موسكو فى مارس ١٩٧١ طالبوه فيه بتعيين (شعراوى جمعة) رئيساً للوزراء بدلا من الدكتور (محمود فوزى). واعتبر السادات أن مثل هذا التوجيه والإنذار بداية لصدام قادم معهم وأن التعجيل بالقضاء عليهم أفضل وسيلة لضمان بقائه فى الحكم، بالإضافة إلى أن التخلص يعنى إنشاء شرعية جديدة شرعية يضمن بقاءها الأمريكان والسعودية. من الخارج ومن الداخل الإخوان المسلمين. وبدأ السادات أول خيوط المواجهة عندما قرر قبول مد العمل بمبادرة روجرز ووقف حب الاستنزاف.

وبدأ التنفيذ عن طريق استدعاء ممدوح سالم من الإسكندرية وتأدية اليمين الدستورى أمام السادات ودار حوار صغير بينهم كان يتضمن تكليف ممدوح سالم بمهمة محددة هى ضمان عدم استخدام قوات الأمن المركزى والتحفظ على حجرة الشرائط بوزارة الداخلية، بالإضافة إلى التحفظ على اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة.. هذا عن الجانب الأول فى نفس السياق كلف الليثى ناصف وتحركت فى ليل (١٤) مايو قوات الحرس الجمهورى وقامت بالقبض على كافة القيادات بمن فيهم سامى شرف.

وبينما كان السادات ينتهى من الوجود الروسى بتسويق مع السعودية ومباركة أمريكية كان هناك خط آخر مواز يمشى فيه السادات بالاتفاق مع السعودية إعادة قيادات الإخوان من الخارج.

وإعداد جيل من العناصر الإخوانية تعطى السادات شرعية فى الحكم. ففى صيف ١٩٧١ نجح الملك فيصل فى أن يرتب اجتماعاً بين السادات ومجموعة من قيادات

الإخوان المسلمين المقيمين بالخارج. هذا الاجتماع عقد في استراحة السادات في (جانا كليس) بالإسماعيلية في إطار من السرية التامة ولم يعلم به إلا الدكتور محمد جامع وعمان أحمد عثمان والملك فيصل، والذي تعهد للقيادات الإخوانية بتأمين دخولهم وخروجهم من مصر.

وبدأ الاجتماع بكلام السادات والذي أكد فيه للقيادات الإخوانية أنه يواجه نفس المشاكل التي يواجهها الإخوان من الناصريين والشيوعيين وأنه يشاركهم أهدافهم في مقاومة الإلحاد والشيوعية.

وعرض السادات في نهاية الاجتماع على قيادات الإخوان تسهيل عودتهم إلى النشاط العلني وعقد تحالفاً معهم في السياق ذاته كانت طلبات قيادات الإخوان من السادات إظهار حسن النوايا وجدية العرض.

وأن ذلك مرهون بالإفراج عن كافة الإخوان المسجونين وإسقاط الأحكام على الهاريين وقد وافق السادات على الطلبات الإخوانية ووافق الإخوان على عقد تحالف إخوانى ساداتى.

ولتأكيد مباركة السعودية للاتفاق فقد قام الملك فيصل بتقديم منحة قدرها ١٠٠ مليون دولار إلى الأزهر دفع منها ٤٠ مليون دولار تخصص لقيادة حملة ضد الشيوعية والإلحاد.. وبوصول دولارات الملك فيصل وبموافقة السادات والإخوان انطلق الطرفان في تنفيذ شروط الاتفاق، وكان البادئ بالتنفيذ الذى تمثل فى إفراج عن العناصر الإخوانية وإصدار تعليمات إلى الأجهزة الأمنية بوقف كافة أعمال المراقبة والرصد. وفقاً للتقارير الأمنية فى ذلك الوقت فإن السادات كان يؤمن فى تأسيس شرعيته فى الحكم من إحداث نوع من التوازن داخل الشارع المصرى من خلال الصراع بين اليسار والإخوان. وأن استمرار الصراع بين الطرفين هو الضمان الوحيد لبقائه فى الحكم.

وكانت الجامعات المصرية هى الساحة التى طبق فيها السادات نظريته فى الحكم باعتبارها مصنع المستقبل وأن السيطرة على الحركة الطلابية تضمن له عدم إثارة

مظاهرات داخلية، فى وقت كانت السعودية تجرى اتصالاتها مع الأمريكان للضغط على إسرائيل وذلك لضمان عدم قيام إسرائيل بأى مغامرة على الجبهة المصرية تهدد مخطط السادات فى القضاء على رجال عبد الناصر وتأسيس شرعية جديدة، وخلال الفترة من ١٩٧١ وحتى نهاية السبعينيات انطلق السادات والإخوان كل فى طريقه لتنفيذ مخططه، حتى جمعتهم المتغيرات والأحداث السياسية الدولية للتعاون مرة أخرى والعمل تحت المظلة الأمريكية والمباركة السعودية.

بالغزو الروسى لأفغانستان عاد هاجس الخوف المشترك بين السادات والإخوان والأمريكان والسعودية يجمع بين الأربعة مرة أخرى.

وقد عبر كل ضلع من أضلاع الخوف المشترك عن وجهة نظره فى التعامل مع القضية الأفغانية وما هى المخاطر التى يتعرض لها من الغزو الروسى لأفغانستان والمزايا التى قد تعود عليه؟

ففى مصر كان الغزو الروسى لأفغانستان وسيلة من وسائل التقدم خطوة للأمام لإقامة دولة إخوانية، وليس هناك مانع أن يكون انطلاق الصحوة الإسلامية من هناك وبجوار العقل الشيوعى.

فى السياق ذاته كانت الحرب الأفغانية بالنسبة للسادات إحدى وسائل تخفيف الضغط الشعبى عليه ووسيلة من وسائل تجميل صورته أمام العالم العربى والإسلامى. وبالنسبة لأهمية الغزو الروسى لأفغانستان وتأثيراته على الولايات المتحدة الأمريكية والسعودية.

فلاحتلال الروسى كان يمثل تغييراً فى موازين القوى فى العالم كله وقارة آسيا بصفة خاصة فالغزو يهينى موسكو ميزة جغرافية كبرى تمكن السوفيت على نحو أفضل من أن يؤثروا فى القوات الإقليمية كباكستان وإيران. بالإضافة إلى أن وصول الأقدام الروسية لأفغانستان يتيح لها السيطرة على ثلاثة أرباع النفط العالمية والتى يتركز معظمها فى الحدود السعودية والإمارات المجاورة لها والعراق.

وبالتالى فإن نجاح الروس فى إحداث نوع من السيادة والسيطرة المستقرة قد يغيرهم باستخدام القوة للاحتفاظ بالسيطرة على حدود السوفيت النائية مما يشجعهم على القيام بمغامرات مشابهة فى المستقبل.

وأصبحت الدول الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة والسعودية ومصر والإخوان - لديهم قناعة بأهمية ضرورة القيام بعمل موحد لتحجيم الغزو الروسى كمرحلة أولى ثم استمرار الضغط عليه لإخراجه من أفغانستان. وذلك يكون من خلال تتبع مسارين:

الأول: على مستوى الدبلوماسية بكثرة المؤتمرات وإصدار البيانات لحشد كل القوى العالمية ضد الغزو الروسى.

والمسار الثانى: يكون من خلال دعم حرى متزايد لرجال المقاومة. وكان لكل طرف من الأطراف الأربعة دوافعه الخاصة فى التعامل من خلال المسارين اللذين حددا كإطار عام للتحرك.

ولعبت الأحداث الداخلية فى كل من مصر والسعودية والرغبة فى إقامة دولة إخوانية والخوف على المصالح النفطية للأمريكان الدور الأهم لكل منهما فى دعم المقاومة إخوانية، وتفاصيل تلك الدوافع الخاصة كانت على النحو التالى:

تتمتع المملكة العربية السعودية بين الدول الإسلامية بنوع من المكانة الخاصة والنفوذ المعنوى. وهذه المكانة تستمدتها من وجود المقدسات الإسلامية بالأراضى السعودية وكان هدف الاستعمار الغربى ومنذ بداية دخوله منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة والوطن العربى بصفة خاصة أن تتحول السعودية أو منطقة الحجاز لوضعية تشابه الفاتيكان بحيث يكون له نوع من السيادة النوعية على الدول الإسلامية.

المخطط البريطانى هذا ومنذ جلاء الاستعمار الإنجليزى عن المنطقة العربية السعودية على العديد من الدول الإسلامية الفقيرة ساعدهم فى ذلك الوفرة التى نشأت نتيجة ظهور البترول وارتفاع أسعاره، بالإضافة إلى أهميته فى الصناعة.

ومع الثراء السعودية كان دائماً هناك هاجس من وصول الأفكار الشيوعية إلى منطقة الجزيرة وإن من شأن هذه الأفكار زعزعة الاستقرار وتهديد عرش آل سعود.

لذا فإن السعودية ومنذ بداية ظهور الروس كقوة عظمى فى العالم تعاونوا مع الأمريكان فى مخططهم الرامى إلى احتواء النفوذ الروسى فى منطقة الشرق الأوسط.

وكان الوصول الروسى إلى أفغانستان تهديداً مباشراً لاستقرار الخليج العربى بصفة عامة والسعودية بصفة خاصة فالسيطرة الروسية تعنى أن أفغانستان ستكون نقطة انطلاق ناحية الخليج العربى ومنطقة الجنوب الآسيوى ومضيق هرمز. بالإضافة إلى ذلك فإن السيطرة الروسية تعنى حصول الروس على منطقة أكثر تقدماً ناحية الخليج العربى فى وقت تمر المنطقة بحالة عدم استقرار نتيجة الثورة الإيرانية والصراع الدائر بين أنصار الشاه والخمينى.

والسعودية باعتبارها أكبر حليف للغرب فى المنطقة العربية وبها أكبر القواعد الجوية والخطر الروسى يهددها كما يهدد مصالح الغرب فإنها لا بد وأن تلعب دوراً مؤثراً فى دعم المقاومة الأفغانية دوراً يختلف عن باقى الأدوار دوراً تستمد منه وجود المقدسات الإسلامية بأراضيها بجانب الوفرة المالية بخزائنها. وبالفعل لعبت السعودية دوراً مختلفاً عن باقى المساهمين فى دعم المقاومة الأفغانية.

فمن خلال وجود المقدسات الإسلامية بالراضى السعودية. تحولت البواعث وراء المقاومة الأفغانية إلى حرب لتحرير أرض مسلمين من يد كفار، وتحولت المقاومة إلى نوع من الجهاد الإسلامى ضد المشركين. وعلى الجانب الآخر فإن الدعم المعنوى ورفع شعار الجهاد لم يكن يكفى لإخراج الروس فلا بد وأن يسانده دعم حرى ولكنه من النوع المتقدم.

لذا فقد فتحت السعودية خزائنها لشراء أسلحة ومعدات حربية متقدمة، بالإضافة إلى المساعدات الطبية. وفى السياق ذاته لعبت السعودية دوراً مهماً فى تخفيف العبء الاقتصادى الذى أصبحت تعنى منه أفغانستان. عندما احتله الغزو الروسى. وبدأت المقاومة الأفغانية تأخذ شكلها المنظم.

عقد مكتب الإرشاد الإخوانى بمقره بالتوفيقية اجتماعاً حضره كل من الشيخ عمر التلمسانى وحسن عبد الباقى وأحمد الملط وفريد عبد الخالق. وكان الاجتماع يهدف إلى مناقشة سبل دعم التنظيم العالمى للإخوان المجاهدين الأفغان.

السمة الغالبة على لغة الخطاب في الحوار داخل مكتب الإرشاد كانت تهدف إلى أهمية سيطرة الإخوان على حركة المقاومة الأفغانية. باعتبار أن نجاح الجهاد الأفغاني وتركيز قيادة حركة المجاهدين الأفغان في يد عناصر إخوانية قد يصل في المستقبل في حالة خروج الروس أن تكون أفغانستان أول دولة يسيطر عليها حركة الإخوان.

واهدى تفكير الحاضرين إلى السبيل الأوحى لإمكانية سيطرة الإخوان على حركة المجاهدين وهو تركيز تمويل الحركة في يد أحد العناصر المنتمين إلى الإخوان المسلمين واتفق مكتب الإرشاد على دعم الأفغان "عبد الرؤوف سياف" باعتباره إخوانياً وسبق وأن قدم البيعة وأعلن ولاءه لحركة الإخوان وكان الدافع وراء اختيار "عبد الرؤوف سياف" عدم وجود جبهة سياسية موحدة بين جماعات المقاومة مع استحالة القيام بترتيبات سياسية داخلية على طول البلاد ومع وجود فراغ في الزعامة لم يكن هناك قوة واحدة تستطيع توحيد جبهة المقاومة سوى الدين، خاصة أن حركة المقاومة الأفغانية ومنذ سيطرة الشيوعيين على الحكم كانت محصورة بين الأحزاب الإسلامية التقليدية والأحزاب الإسلامية الثورية والعلمانيين.

وعلى مدار عمر حركة المقاومة فشلت التقسيمات الثلاث حتى في إحداث نوع من الوحدة تحت قيادة زعامة أى رئيس من رؤساء الأحزاب الثلاثة حتى ولو على أساس دورى وأصبحت حركة المقاومة تتحرك دون وجود زعيم يجمع شتات الحركة.

حتى وقع اختيار قادة الإخوان على عبد الرؤوف سياف كمرشح إخوانى لتولى الزعامة والذي قد خرج لتوه من السجن. وأضاف الدعم والتمويل الإخوانى الذى كان يجمع من الدول العربية وإرساله إلى "سياف" ميزة تختلف عن باقى زعماء المقاومة المنتمين إلى الأحزاب الأخرى. واستطاع سياف أن يشكل جماعة شبه سرية قامت بتنفيذ العديد من الهجمات الناجحة ضد الروس وقدمت "سياف" كزعيم دينى يملك المال والعتاد. وحققت للإخوان أحد أهدافهم نحو إقامة دولة إخوانية.

بمجرد دخول الروس أفغانستان، أعلنت الولايات المتحدة أن تمسكها بالوفاق الأمريكى الروسى قد نقض حيث كان هناك اتفاق أمريكى روسى على بقاء أفغانستان دولة محايدة غير منحازة فى مجال النفوذ لأى من القوتين.

وبالتحرك الروسى ناحية التوسع فى الأراضى الأفغانية اعتبرت الولايات المتحدة أن هذا حادث له متضمناته الإقليمية والعالمية المؤثرة على مصالح الولايات المتحدة فى منطقة بالغة الحساسية.

ولكن هذه الحساسية لا بد وأن تضع فى الاعتبار أن رد الفعل العسكرى مستحيل حتى على مستوى الدول المجاورة لأفغانستان، بالإضافة إلى أن هناك اتفاقاً غير مكتوب بين الروس والأمريكان يتعلق بنوعيات الأسلحة التى يدخلها كل طرف للآخر فى منطقة نفوذه.

فكان الحل الوحيد هو تمويل المقاومة الأفغانية على مستوى العمل الداخلى وعلى المستوى الخارجى فإن التحرك الأمريكى سيكون مجاله الدبلوماسية الأمريكية ويتمثل فى إصدار البيانات وعقد المؤتمرات للتديد بالغزو الروسى وتكاليف هذا الجزء من الناحية المالية والبشرية. بحيث يصبح الغزو الروسى قضية ماثلة أمام العالم كله. ويجب أن تشارك فى تلك المقاومة جميع الدول التى ترى تهديد روسيا لها من غزو أفغانستان.

بالإضافة إلى ذلك فإن دخول الولايات المتحدة بشكل علنى فى دعم المقاومة يكسب الولايات المتحدة ميزة هامة فى التعامل مع الدول الإسلامية يحقق مزيداً من النفوذ الأمريكى فى المنطقة.

كان وراء مخاوف السادات من الغزو الروسى لأفغانستان عاملان أساسيان:

الأول داخلى والثانى خارجى.. وكل من العاملين أكد له أن السياسات الاقتصادية التى تبناها بما فيها الانفتاح الاقتصادى وحرب أكتوبر لم تستطع أن تقضى على الوجود الشيوعى والناصرى فى الشارع المصرى. وعجز السادات أن يجد له مكاناً وسط القوى السياسية وبجانب السياسة الخارجية المصرية فى تلك الفترة كانت قد أصيبت بعدة هزائم أمام التعتن الإسرائيلى فى تقديم أى تنازلات ناحية اتفاقية السلاح. حتى أصبح السادات معزولاً عن العالم العربى وعن الوطن المصرى.

وكانت الأجواء وقتها تكشف أن صداماً ما على وشك الوقوع بين السادات والقوى اليسارية بكافة درجاتها. ففى داخل المؤسسة الدينية التى يمثلها الأزهر وقع صدام بين شيخ الأزهر والشيوعيين.

فقد تقدم شيخ الأزهر بطلب التخلّص من "٤٨" من أعضاء هيئة التدريس والمعيدون وذلك بحجة أنهم موفدون من بلاد اشتراكية ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. بعد أن قام الإمام بعرض قائمة الأسماء غير المرغوب فيها على الجماعات الأخرى لتختار منها ما تشاء.

وبدأت أولى المصادمات باستدعاء الحاصلين على الدرجات العلمية للمثول أمامه وإعلان توبيتهم ثم أقدم على خطوة غاية في الجرأة وذلك بإنهاء عقود أساتذة اللغة الألمانية في كلية اللغات وذلك بحجة أنهم حاصلون على درجاتهم العلمية من ألمانيا الشرقية، بالإضافة إلى إصدار قرار مكتوب بوقف إيفاد أى بعثات علمية إلى دول الاشتراكية، بلغ الأمر ذروته بطلب شيخ الأزهر ضرورة كتابة كل عضو من أعضاء هيئة التدريس جنسى وديانة زوجته.

هذه كانت الصورة داخل المؤسسة الدينية أما عن الصورة داخل المؤسسة التشريعية فكانت أكثر وضوحاً في التأكيد على حتمية الصدام بين اليسار بكل دجاته ومسمياته والسادات. فتحت قبة مجلس الشعب وقف ممثل حزب الوسط وهو الحزب الذى كان يرأسه السادات. السيد محمود أبو وافية سكرتير الحزب والرجل الثانى فى الحزب يتهم اليساريين المصريين بالعمالة والخيانة. وأن ولاء الماركسيين المصريين للاتحاد السوفيتى وليس مصر. وفى السياق ذاته قاد الشيخ صلاح أبو إسماعيل وعلوى حافظ هجوماً عنيفاً على عبد الناصر وعصره. وكان هجوماً الاثنى معاً يعد تعبيراً عن وجهة نظر السادات خاصة وأن العضو الأول ممثل لجنة الشؤون الدينية. والثانى يشغل منصب السكرتير المساعد. واستمرت الأجواء الخلافية تأخذ الشكل الطبيعى فى التصاعد حتى جاء يوم ١٨ يناير سنة ١٩٧٧ كان الرئيس السادات فى مقره الشتوى بأسوان يقضى الشتاء كعادته وفى الوقت ذاته كان يستعد لاستقبال الرئيس اليوغسلافى تيتو وقبل وصول الرئيس تيتو كان السادات يجلس فى شرفة الاستراحة ومعه صحفية لبنانية تجرى معه حواراً.

وأثناء الحوار توقف السادات فجأة عندما شاهد أعمدة الإنارة تملؤها الأدخنة فسأل الصحفية ما هذا؟ فأجابته ربما تكون مظاهرات القاهرة قد وصلت هنا، ولم ينتبه السادات إلا مع دخول محافظ أسوان مذعوراً طالباً منه مغادرة الاستراحة لأن المظاهرات فى طريقها إليه فهرب السادات تاركا كل شىء وركب طائرته. وفى الطائرة بدأ يستعيد الذاكرة ويستذكر الدوافع والعوامل التى أدت إلى قيام المظاهرات مسترشداً فى ذلك بالشعارات التى كانت ترددها الجماهير واليت لم تخرج عن شعارات الفقر والجوع.

فى يناير ١٩٩٥ أجر الرئيس مبارك حواراً مطولاً لمجلة "نيويورك" الأمريكية وبثته كل وكالات الأنباء العالمية وكان السبب وراء اتساع دائرة شد الحوار هو الاعراف الذى أدلى به الرئيس مبارك على علاقة المخابرات الأمريكية بجماعة الإخوان المسلمين.

حيث قال "بأن الحكومة الأمريكية على صلة بإرهابيي جماعة الإخوان المسلمين وعناصر العنف فى البلاد وأن الأمر كله جرى فى سرية تامة ودون علمنا فى بادئ الأمر. وأضاف: "أنتم تتصورون أنكم ستصححون الأخطاء التى اتكبتموها فى إيران حيث لم تكونوا على صلة بأية الله الخميني وجماعته المتطرفة قبل أن يصلوا إلى السلطة".

وفى مقطع آخر من الحوار يقول: "لكن أستطيع أن أؤكد لكم أن تلك الجماعات لن تسيطر أبداً على هذا البلد ولن تكون أبداً على صلة طيبة بالولايات المتحدة وأن هذه الاتصالات لن تكون ذات فائدة لكم أو لأى دولة أخرى تساند تلك الجماعات" ثم انتقل مبارك فى حوارهِ إلى الجماعات الأخرى مثل الجماعة الإسلامية والجهاد.

حيث شن هجوماً شديداً عليهم وقال: "إنهم لا يمتون للإسلام بصلة لأنهم بكل وضوح وبساطة شديدة يريدون الاستيلاء على السلطة واصفا إياهم بأنهم ليسوا سوى محترفى هز.

خروج مبارك عن صمته فى هذا التوقيت بالذات كان خروج مثير للدهشة والغرابة فى ضوء مقدمات وباديات العلاقة بينه وبين الإخوان المسلمين وتطورها وفى السياق ذاته الأحداث التى كانت تدور وقتها سواء على المستوى الداخلى وكذلك الخارجى.

وإعادة قراءة أحداث الشأن الداخلى ومقارنتها مع ما كان يحدث خارجياً يؤكد أن مبارك كرر أن يتخلص من الإخوان بعد أن استهلكهم طوال الفترة من عام ١٩٨١ وحتى تصريحه فى عام ١٩٥٥. لماذا صمت مبارك وسكت عن تمددهم وانتشارهم وسيطرتهم على المجتمع المدنى طويلا فهذه حكاية طويلة بدأت مع توليه الحكم مباشرة.

* * *

فى ديسمبر ١٩٨١ جرت أغرب مفاوضات واتصالات مصرية فى تاريخ مصر بين نظام حاكم وتنظيم محظور مضمونها ضمان عدم قيام التنظيم المحظور بالقيام بمظاهرات عدائيه أثناء قيام الرئيس بزيارة خارجية لإحدى العواصم الأوروبية.

حيث أرسلت وزارة الداخلية وكيل مباحث أمن الدولة فى ذلك الوقت اللواء "فؤاد علام" لإجراء مفاوضات مع المرشد الخفى لجماعة الإخوان المسلمين المستشار على جريشة والذى كان يقيم بألمانيا ويرأس المركز الإسلامى هناك وكان أمام المفاوض المصرى مهمة واحدة وأساسية لا تخرج عن الحصول على ضمانات من المرشد الخفى بعدم القيام بمظاهرات ضد الرئيس "مبارك" أثناء زيارته إلى ألمانيا فى ألمانيا فى أول زيارة خارجية يقوم بها بعد توليه لمنصب الرئاسة خلفاً للسادات.

المفاوضات بين وفد مباحث أمن الدولة والمرشد نجحت لكن المقابل الذى حصلت عليه جماعة الإخوان المسلمين سواء المعلن أو الخفى يظل حتى الآن سراً وإن كانت مذكرات الإخوان وبعض المسئولين السابقين الذين عاشوا عن قرب تكشف أن الإخوان قد حصلوا على مقابل ويؤكد منهج السلطة فى التعامل معهم.

وحتى تكشف الأيام تفاصيل هذه المفاوضات فإنها تظل حاملة مفاتيح بداية أول صفحة فى ملف الإخوان المسلمين ومبارك صفحة شديدة الخصوصية وتختلف عن سابقتها وسبب خصوصيتها أنها أطول مع جماعة الإخوان المسلمين، بعد أن بدأ الاقتراب من الملف منذ أن كان نائباً للسادات فى منتصف السبعينيات ثم رئيساً لمصر بعد اغتيال السادات واستمراره رئيساً لأطول فترة زمنية فى حكم مصر.

ليس هذا فقط هو مصدر الخصوصية بل إن الظروف السياسية التي فتحت فيها الصفحة الجديدة سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى أضافت تميز وخصوصية جديدة للعلاقة.

فلما تولى مبارك السلطة كانت علاقة السلطة بالقوى لسياسية الأخرى قد دخلت فى مرحلة اللاعودة وتكفل وزير داخلية السادات اللواء "النبوى إسماعيل" فى نسف كل الجسور والمعابر بين السلطة والقوى السياسية، وضم على ذلك أن اغتيال السادات نفسه كان على يد حليفه الذى أطلقه للقضاء على ما أسماهم خصومه.

وعلى المستوى الخارجى كانت العلاقات المصرية العربية قد وصلت إلى أدنى مستواها بعد اتفاقية السلام بين السادات والكيان الصهيونى، هذا على جانب النظام الحاكم.

أما عن الصورة من زاوية الإخوان المسلمين بشكل خاص والتنظيمات المتشددة بشكل عام فقد كانت مختلفة ومصدر اختلافها يرجع إلى أن الكوادر الإخوانية التى أفرج عنها السادات مع بدء حكمه انطلقت للعمل فى كافة المجالات واخترقت كل زوايا وأركان المجتمع المصرى بالإضافة إلى ذلك فإن الأجيال الجديدة التى بدأ تجنيدها منذ بداية السبعينيات وكانوا طلاباً فى المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية كانوا قد تخرجوا وبدءوا العمل فى قطاعات الصحة والإسكان والخارجية والمحاماة والقضاء وغيرها من القطاعات.

وبمعنى أدق وأصح أصبح الإخوان منتشرين فى القطاعات الحكومية والمدنية معاً من نقابات وجمعيات وأحزاب سياسية.

وفى السياق ذاته كانت الأفرخ التى خرجت من الرحم الإخوانى قد أعلنت تمرداً على المنهج التقليدى الذى تتعامل به الجماعات مع السلطة. وأن انتظار جنى الثمرة مسألة طويلة وبعيدة المنال وأن الانتشار والسيطرة على أجزاء الجسد المصرى كفيلاً بإصابته بالسكتة القلبية الواقع العملى أثبت فضله، وأن الدخول فى مواجهات مسلحة مع النظام هو الكفيل بقلب الحكم، وإعلان الخلافة الإسلامية.

- الاستعداد للمهام المستقبلية.

- رفع الكفاءة.

والرسالة فى عرف الجماعة وحسب نص الوثيقة تستهدف التهيؤ لتحمل مهام المستقبل وامتلاك القدرة على إدارة الدولة وإعداد البناء الداخلى لمهام المرحلة "الكفاءة" والأخير تقصد بها الوثيقة وضع سياسة مواجهة لذلك التهديد الخارجى يقصدون به محاولات إجهاض مخططات الجماعة للسيطرة والتغلغل وذلك عن طريق:

- الانتشار فى طبقات المجتمع الحيوية والقدرة على تحريكها.

- الانتشار فى المؤسسات الفاعلة ويقصدون بها الجيش والشرطة.

- والتعامل مع القوى الأخرى.

- وأخيراً الاستفادة من البعد الخارجى.

وتؤكد الوثيقة أن الانتشار فى قطاعات الشعب "طبقات المجتمع" الحيوية والقدرة على تحريكها يحقق فوائد عدة للجماعة أهمها أن هذا التغلغل يقلل من فرص التهديد ويجعل قرار المواجهة أكثر صعوبة كما أن القدرة على تحريك هذه الطبقات يزيد من فرص التغيير والاقتراب من تحقيق الرسالة التى هى القدرة على إدارة أمور الدولة والسيطرة على الحكم.

وحسب نص الوثيقة أنه تم اختيار القطاعات المرشحة للاختراق والتغلغل والتمكين منها وفق الأسس التالية:

- سهولة الانتشار.

- فعالية التأثير على تحريكها.

- مدى إمكان تحريكها.

- استمرارية التأثير.

وإنه وفق هذه الشروط الربعة تم اختيار قطاعات الطلاب وقطاع العمال والمهنيين ورجال الأعمال والطبقات الشعبية كقطاعات مرشحة لأعمال خطة التمكين بشقيها.

فبالنسبة للطلاب فإن هذا القطاع يتميز بسهولة الانتشار وإمكان التحريك واستمرارية التأثير مع فاعلية نسبية فى التأثير.

وبالنسبة للعمال فإن هذا القطاع الحيوى يتميز كما فى الطلاب بفاعلية التأثير والقدرة على التحريك وسهولة الانتشار.

وعلى صعيد المهنيين تقول الوثيقة: إن هذا القطاع يتميز بسهولة الانتشار وفاعلية التأثير واستمرارية هذا التأثير وقدرة نسبية على التحريك.

وعن قطاع رجال الأعمال فإنه قطاع يتميز أيضاً بفاعلية التأثير واستمراريته فضلاً عن أن قطاع الطبقات الشعبية يتميز بسهولة الانتشار والقدرة على التحريك وفاعلية نسبية فى التأثير.

ولعل أخطر ما فى هذه الوثيقة ما يتعلق بتنفيذ خطة التمكين فى المؤسسات الفاعلة والوثيقة تصف هذه المؤسسات بأنها تمثل:

١- أداة تحجيم ومواجهة الحركة الإسلامية.

٢- إضافة حقيقية لقوة وفاعلية الحركة فى التعبير فى التغيير.

وإذا كان الشرطان لا ينطبقان سوى على الجيش والشرطة فإن أوصافاً أربعة خلعتها الوثيقة على تلك المؤسسات الفاعلة تؤكد بأنهم يقصدون الجيش والشرطة فالوثيقة تقول: إن اختيار المؤسسات الفاعلة يتم على الأسس التالية:

- فاعليتها فى مواجهة وتحجيم لحركة الإسلامية.

- القدرة على إحداث التغيير.

- شمولية واتساع مساحة التأثير.

- المدى الزمنى الطويل فى المواجهة.



خيرت الشاطر في طريفة للنيابة عام ٢٠٠٧م

وجنباً إلى جنب تضع الوثيقة الجيش والشرطة كأحد أهم أهدافها مع المؤسسات، ذات التأثير وعلى رأسها المؤسسة الإعلامية.

وتلك المؤسسة حسب ما تشير إليه الوثيقة ستتميز بشمولية واتساع مساحة التأثير والمدى الزمنى الطويل فى الأثير والقدرة على إحداث التغيير والفاعلية فى المواجهة.

وعن المؤسسة الدينية -

الأزهر -

قالت الوثيقة: أن لها ميزات المؤسسة الإسلامية نفسها ولها طابعها الخاص فى ذلك.



قيادات الإخوان أمام مبنى نيابة أمن الدولة لتجديد حبسهم

أما على صعيد المؤسسة القضائية فتقول الوثيقة: إنها تتميز بفاعلية القدرة على التغيير ومواجهة الحكومة نفسها فى المؤسسة التشريعية "مجلس الشعب".

حداثة الخطاب الأدبي - صلب وتجانس مكوناته كمنهج أدبي وفناني في المجتمع ضمن الحضارة في إطاره وتبنيته من تركيزه على الأدب والخطاب الأدبي

1. إضفاء الطابع الأدبي
2. إضفاء الطابع الأدبي
3. إضفاء الطابع الأدبي
4. إضفاء الطابع الأدبي
5. إضفاء الطابع الأدبي
6. إضفاء الطابع الأدبي
7. إضفاء الطابع الأدبي
8. إضفاء الطابع الأدبي

المحور الثاني

حالة الخطاب
 صلب وتجانس مكوناته كمنهج أدبي وفناني في المجتمع ضمن الحضارة في إطاره وتبنيته من تركيزه على الأدب والخطاب الأدبي

1. إضفاء الطابع الأدبي
2. إضفاء الطابع الأدبي
3. إضفاء الطابع الأدبي
4. إضفاء الطابع الأدبي
5. إضفاء الطابع الأدبي

المحور الثالث

حالة الخطاب
 صلب وتجانس مكوناته كمنهج أدبي وفناني في المجتمع ضمن الحضارة في إطاره وتبنيته من تركيزه على الأدب والخطاب الأدبي

1. إضفاء الطابع الأدبي
2. إضفاء الطابع الأدبي
3. إضفاء الطابع الأدبي
4. إضفاء الطابع الأدبي
5. إضفاء الطابع الأدبي

المحور الرابع

حالة الخطاب
 صلب وتجانس مكوناته كمنهج أدبي وفناني في المجتمع ضمن الحضارة في إطاره وتبنيته من تركيزه على الأدب والخطاب الأدبي

1. إضفاء الطابع الأدبي
2. إضفاء الطابع الأدبي
3. إضفاء الطابع الأدبي
4. إضفاء الطابع الأدبي
5. إضفاء الطابع الأدبي

المحور الخامس

حالة الخطاب
 صلب وتجانس مكوناته كمنهج أدبي وفناني في المجتمع ضمن الحضارة في إطاره وتبنيته من تركيزه على الأدب والخطاب الأدبي

1. إضفاء الطابع الأدبي
2. إضفاء الطابع الأدبي
3. إضفاء الطابع الأدبي
4. إضفاء الطابع الأدبي
5. إضفاء الطابع الأدبي

وتتعدد الوثيقة صفحاتها لما يعرف بالتعامل الواعي مع الآخر ضمن إطار خطة التمكين وعلى طريقه أعرف عدوك تقول: "إننا لا نعمل بمفردنا فى الساحة ولكن توجد قوى أخرى تؤثر سلباً وإيجاباً على قدرتنا فى تأدية رسالتنا، لذا فإن توافر حالة الاستمرارية فى جهود التمكين يتطلب تعاملًا واعياً يؤدى إلى احتواء الآخر، أو التعايش أو التحييد أو تقليل فاعلية الجهات المناوئة والتوجيه والتنسيق مع الجهات المحايدة التى لم تحدد موقفها أو الجهات المؤيدة لرسالتنا - الإخوان - كلياً أو فى بعض جزئياتها. على أن نضعه فى اعتبارنا - حسب نص الوثيقة - على أن تكون لدينا القدرة على التعامل مع الحالات البديلة فى آن واحد.

فبالنسبة للسلطة أمام الإخوان هناك أربعة خيارات:

الأول: الاحتواء بتوظيف أجهزتها فى تحقيق رسالتها من خلال اتخاذ القرار أو تغيير نظمها.

الثانى: التعايش بمعنى العمل على إيجاد صورة كمن صور التعايش مع النظام بالتأثير على الأوضاع بما يجعله حريصاً على استمرار وجودنا بفاعلية.

الثالث: التحييد وذلك عن طريق إشعارهم - أى السلطة - أننا لا نمثل خطراً عليها.

الرابع: تقليل الفاعلية فى مواجهتها لاستمرار جهود التمكين.

وعلى مستوى التعامل مع الأقباط تقول الوثيقة: لا بد من اختيار أحد أساليب ثلاثة للتعامل مع المجتمع القبطى:

- الأول: التعايش بإقناعهم بأن مصالحتهم فى تطبيق الحكم الإسلامى بما يحمله من عدالة قد لا يوفرها النظام الحالى.

- الثانى: التحييد بإشعار الأقباط أننا - الإخوان - لا نعادىهم ولا نمثل خطراً عليهم وما اصطلح على تسميته فى الوثيقة "التأمين" أى تأمين الجانب القبطى.

- الثالث: تقليل فاعلية خطرهم وتقليل تأثيرهم الاقتصادى وإضعاف العون المادى، وحددته الوثيقة فى كلمة "التفتيت" أى تفتيت الصف القبطى الموجه للإخوان.

ولم تخل الوثيقة أيضاً من تحديد الموقف من اليهود واقتصر الحديث على سطر واحد يقول نصه: "لا بد من تقليل فاعلية أخطارهم فى جميع المجالات".

الأخر لدى الإخوان يشمل إلى جانب السلطة والأقباط واليهود جماعات الضغط والأحزاب وليس مستغرباً أن تضم الوثيقة إلى هؤلاء أيضاً النوادي والجمعيات المشبوهة "حسب نص الوثيقة" والجماعات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين.

فعلى صعيد النوادي والجمعيات المشبوهة تقول الوثيقة - دون أن تحدد أسماء أو ماهية هذه النوادي - إن خطورتها في تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار بضمها الشخصيات التنفيذية وفي تأثيرها في اتجاهات الرأي العام بضمها لقيادات الإعلام والفن ويؤدي ذلك إلى استصدار قرارات وقوانين تخدم مصالحهم لمدي بعيد كما أنه يصعب اختراقهم لأن المعلومات تصل لديهم عند مستوى معين وتمثل عدم القدرة على إثبات مخاطرهم بصورة عملية نقطة ضعف واضحة لدينا - التنظيم الإخواني - لا بد من استدراكها ويكون التعامل كما تشرح الوثيقة على عدة مستويات:

الأول: التوجيه بالدخول والسيطرة على مراكز اتخاذ القرار بأن تكون لنا الأغلبية.

الثاني: التنسيق إذا لم تكن لنا الأغلبية فلا بد أن ننسق معها في المساحات المشتركة بل ونوجد مصالح مشتركة معها.

الثالث: في هذا المستوى تجمع الوثيقة بين أساليب الاحتواء والتحييد وتقليل الفاعلية إذا لم تنجح جهود التوجيه أو التنسيق.

وتشير الوثيقة إلى أن التعامل مع الأحزاب والقنابات يحتمل جميع صور التعامل لطبيعتها وتباين مواقفها.

الجزء الأخطر من هذه الوثيقة يتعلق بالجماعات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين وفيه تكشف جماعة الإخوان عن موقفها من تلك الجماعات صراحو ولأول مرة.

وحسب نص الوثيقة فإن هذا القطاع يشمل:

- جماعات ومفكرين إسلاميين مستقلين وهؤلاء يتفقون معنا في الرسالة ولو جزئياً ويختلفون في التفاصيل وهنا يستوجب ضرورة التنسيق والتعاون والتكامل والتحالف فضلاً عن أساليب الاحتواء والتحييد والتعايش لو لم تثمر جهود التحالف والتنسيق.

- جماعات إسلامية ومفكرون غير مستقلين وتابعين لجهات معينة وتستغل لضرب وتعويق جهود التمكين ولهؤلاء يتم التعامل بأساليب تبدأ بالتوجيه والاحتواء والتحييد وتقليل الفاعلية.

وفى فقرة أخرى وتحت عنوان فرعى "القوى الخارجية المعادية (أمريكا والغرب)" هنا تقول الوثيقة وبالحرف الواحد أن التعامل معهم يبدأ بمرحلة التعايش وذلك بإقناعهم أنه من مصلحتهم التعامل مع القوى الحقيقية لأبناء المنطقة وإن الإخوان كقوة تتميز بالاستقرار والانضباط على أن التعامل مع الغرب يمر بمرحلة التحييد وذلك بإشعار الغرب أنه من مصلحتهم عدم الإضرار بنا لأننا لا نشكل خطراً عليهم ما داموا لا يعوقون جهود التمكين وفى الوقت ذاته إننا نملك - الإخوان - أو نستطيع التأثير على مصالحهم إذا ما وقفوا ضد جهود التمكين.

وآخر مراحل التعامل مع الغرب وأمريكا هى مرحلة تقليل الفاعلية وذلك لتقليل أخطارهم بالتأثير المباشر على مصالحهم وإضعاف تأثير مؤسساتهم فى التأثير على اتخاذ القرار لمصلحتهم على أن يتم الاستفادة بالبعد الخارجى كلما كان ذلك ممكناً.

الممارسات الفعلية للإخوان المسلمين كشفت أنها استفادة من البعد الخارجى وضغوط الغرب بشكل عام وضغوط الأمريكان بشكل خاص ولما سئل نائب المرشد العام للإخوان المسلمين فى مايو ٢٠٠٥ حول ما إذا كانت الضغوط الخارجية خصوصاً تلك التى تمارسها الإدارة الأمريكية من أجل إصلاح ديمقراطى فى مصر ساهمت فى تشجيع جماعة الإخوان على النزول إلى الشارع.

قال: "نحن نرفض الضغوط الخارجية ونعتبرها نوعاً من الوصاية ونرى أنها تخدم أهداف الإدارة الأمريكية.. لكن كل القوى السياسية المصرية مستفيدة من هذه الضغوط كونها تقلل من فرص لجوء السلطات إلى إجراءات قمعية فى مواجهة معارضيه".

إدارة الدولة

أخطر ما فى وثيقة التمكين أنها توضح الشكل الانقلابى الذى يعده الإخوان للسيطرة على نظام الحكم والوصول إلى مرحلة إدارة الدولة أو ما اصطلح على تسميته فى تلك الوثيقة الخطيرة بالاستعداد للمهام المستقبلية.

وتقول الوثيقة: إن المحافظة على الحالة من التمكين التى يصل إليها المجتمع يتطلب ضرورة امتلاك القدرة على إدارة الدولة لمواجهة احتمال اضطرارنا لإدارة الدولة بأنفسنا وفى الوقت ذاته ستؤدى حالة التمكين إلى تكالب القوى المعادية الخارجية. لذا كان لا بد من الاستعداد لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية من خلال أن يكون لدينا - الإخوان - رؤية لمواجهة التحديات سواء من حيث امتلاك الإمكانيات اللازمة لتحقيق هذه الرؤية والقدرة على تطوير تلك الرؤية، وهذا يتطلب إعداد البناء الداخلى بما يتواءم مع متطلبات المرحلة ويحقق الاستخدام الأمثل للموارد الذى اصطلحت الوثيقة على تسميته "بالكفاءة" .. وتضيف الوثيقة أن هذا يمثل التحدى العملى فى تحقيق الخطة بأهدافها المختلفة مما يستوجب مع جزئيات البناء الداخلى لتطويرها كل تتوافق مع طبيعة المرحلة القادمة سواء من حيث الرؤية أو التكوين للأفراد أو البناء الهيكلى على النحو التالى:

فعلى صعيد الرؤية وهى أحد أهم أضلاع مثلث مرحلة الكفاءة فإن هذا يتطلب توحيد توجهات الصف فى اتجاه البناء والتغيير لذا فلا بد من استيعاب كامل من قبل الصف "العناصر الإخوانية" لقضية التغيير ووضوح كامل للتوجهات حتى لا تواجه الخطة بالمقاومة السلبية من الداخل، وضرورة البدء بطرح قضية التغيير للحوار على جميع المستويات من أجل أن يتفاعل الجميع ويكون عامل المشاركة دافعاً لإثارة كوامن الفكر والمبادرة وتجسيد القضية.

فى جانب تكوين الأفراد فإنه وحسب ما تصرح به الوثيقة - إضافة إلى البرنامج التكوينى القائم حالياً فلا بد أن يشمل فى المرحلة المقبلة انعكاسات الجزئيات المختلفة للخطة عليها.

فالانتشار فى طبقات المجتمع وهو صلب خطة التمكين يتطلب رفع قدرة الأفراد على التأثير فى قطاع عريض من المجتمع يرفع إمكانات الحوار والقدرة على الإقناع والتدريب وذلك عن طريق:

- إحداث التوازن بين الدعوة الفردية من أجل الضم للصف والدعوة العامة.

- تنمية حلقات القيادة والقدرة على تحريك المجموعات.

دقيق لا يتقصه سوى التنفيذ مكون من خمس صفحات فلوسكاب تشكل الدليل الكامل لتنفيذ الخطة وستة ملاحق كل منها تمثل استمارة استبيان علمية لرفع الحالة أى دراسة الواقع الفعلى فى كل محافظة بدءاً من لجنة الشارع مروراً بالأسر إلى مكاتب الإرشاد فى المحافظات وحسب نص الوثيقة فإن مطلوب تأدية الخطوات متتالية زمنياً.

الوثيقة كشفت عن منهج الإخوان فى التحرك وبعتراف الإخوان فى الوثيقة بأنهم قد حققوا مكاسب عديدة وذلك من خلال ما سجلته وحدات قياس النجاح التى وضعها الإخوان والذى ترجم فى القطاعات الحكومية وبشكل خاص فى المجتمع المدنى وتحديدًا النقابات المهنية من محامين وأطباء ومهندسين بالإضافة إلى الأحزاب السياسية من خلال السيطرة على حزب العمل وتحويل جريدته إلى جريدة ناطقة باسم الإخوان ومعبرة عن وجهة نظر الإخوان وتقديم الحلول السياسية لحل الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من الواجهة الإخوانية وتضخيم المشاكل وكشف فساد المسئولين.

إذن من خلال الوثيقة يتضح أن مخطط الاختراق قد نجح وبدأ يجنى ثماره، فالبداية على سبيل المثال فى المجتمع المدنى فى نقابة مثل نقابة المحامين كانت فى اوائل الثمانينيات وهى نقابة بطبيعتها تضم كل ألوان الطيف السياسى المصرى وعرفت قاعاته باستضافة كل رموز العمل الوطنى وتبادل على رئاستها نقباء سجلوا مواقف بطولية ضد السلطة وتصدوا لمحاولات التطبيع مع الكيان الصهيونى.

ومع عودة الحياة السياسية وتأسيس الأحزاب حاو لكل حزب السيطرة على النقابة من خلال مرشحين له.

وانعكست تلك السيطرة على طبيعة الانتماء المهني وحلت المصالح الشخصية والحزبية محل المصالح المهنية وأحجم العديد من المحامين على المشاركة فى الانتخابات. وسهل هذا الاحجام من مهمة تزوير الانتخابات وكان يكفى حضور ١٠٪ من أعضاء النقابة لإعلان فوز النقيب وتشكيل المجلس.

وخلال هذه الفترة شعر الإخوان أن اللقمة أصبحت سائغة وأن ميعاد الضربة القاضية للاتجاه القومى فى النقابة قد حان فى ظل حالة التشرزم والتناحر بين التيارات السياسية.

ولما حان موعد الانتخابات كانت جماعة الإخوان المسلمين هى القوى الوحيدة المنظمة والتي تتسلح بسلاح الانتماء والطاعة والدعم المالى غير المحدود، وتمتلك أغلبية منظمة فى ظل قانون ينظم النقابات لا يشترط حضور نسبة معينة من الزعماء.

وعندما حان موعد الانتخابات تصدرت اللافتات الإخوانية كافة غرف المحامين من الإسكندرية حتى أسوان وكان التنظيم والمنهج فى الحركة منهج شديد الدقة ولم يتركوا شئ للصدفة.

وأعلنت نتائج الانتخابات ورفعت عن النقابة الصبغة القومية وحصد الإخوان أغلبية المقاعد فى مجلس النقابة بالإضافة إلى المواقع المؤثرة داخل المجلس من لجنة الشباب والفكر وأمانة الصندوق والعلاج وغيرها من اللجان التى تسمح لهم بشل يد النقيب عن اتخاذ أى قرار دون الرجوع إليهم.

وما حدث فى نقابة المحامين تكرر أيضاً فى نقابة المهندسين والأطباء والصيادلة والنقابات العمالية فى كافة المصالح والهيئات الحكومية.

للمرشح الحكومى، وفى نفس الوقت السيطرة على باقى مقاعد المجلس فأصبح على رأس النقابات المهنية ممثلى احكومة والمجلس من جماعة الإخوان. فالمهندس حسب الله الكفراوى على رأس نقابة المهندسين وأحمد الخواجة نقيباً للمحامين والدكتور حمدى السيد للأطباء.

السيطرة الإخوانية بدأت تشعر بها الحكومة ولكنها حبيسة فكرة ومخطط السادات وعثمان أحمد عثمان بأن الإخوان هم ضمان السلطة لمحاربة القوى السياسية الأخرى ورغم ذلك حاولت بعض الأصوات إثارة انتباه بخطورة قانون النقابات المهنية فى ظل غياب الأغلبية عن التصويت.

ورغم ذلك ظلت الحكومة والأجهزة الأمنية مترددة فى إصدار قانون جديد تاركة للإخوان حرية الحركة والانتشار والتغلغل.

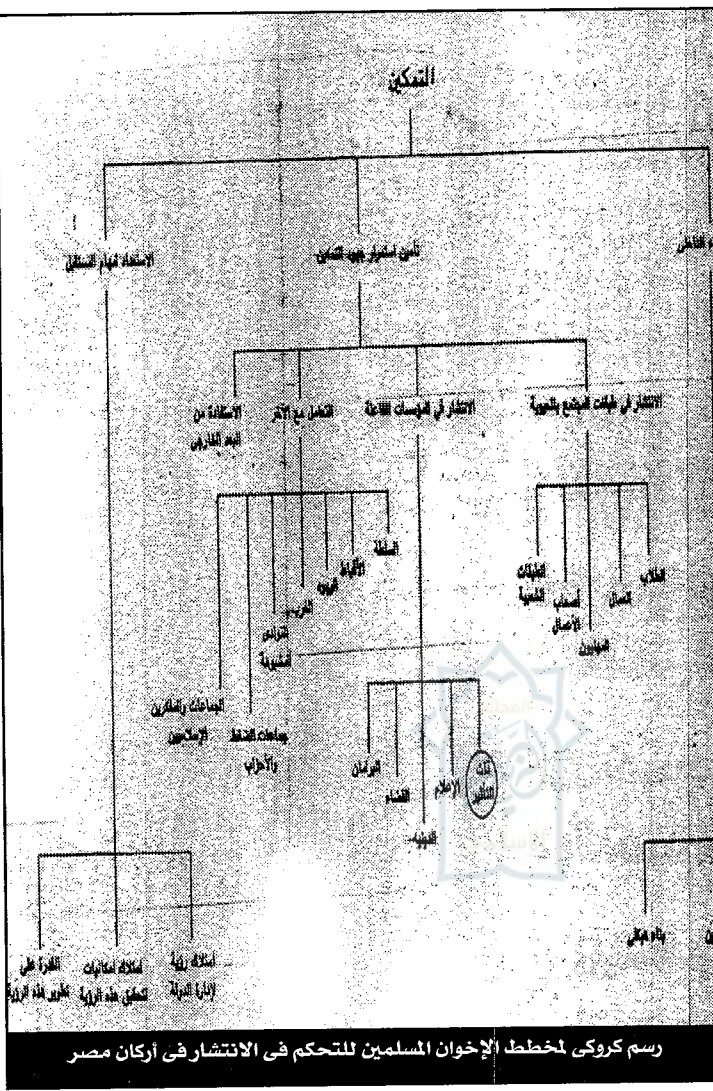
حتى حدثت واقعتان جعلت النظام السياسى يدخل فى مواجهة مع الإخوان الواقعة الأولى جاءت على لسان رئيس الجمهورية ذاته عندما صرح فى حوار لمجلة "نيويورك" الأمريكية فى يناير ١٩٩٥ وبثته وكالات الأنباء، بأن الحكومة الأمريكية على صلة بإرهابيين جماعة الإخوان المسلمين وعناصر العنف فى البلاد وأن الأمر كله جرى فى سرية تامة دون علمنا فى بادئ الأمر. وأضاف "أنتم تتصورون أنكم ستصححون الأخطاء التى ارتكبتها فى إيران حيث لم تكون على صلة بأية الله الخمينى وجماعته المتطرفة قبل أن يصلوا إلى السلطة". وأضاف: لكننى أستطيع أن أؤكد لكم أن تلك الجماعات لن تسيطر أبداً على هذا البلد، ولن تكون أبداً على صلة طيبة بالولايات المتحدة وإن هذه الاتصالات لن تكون ذات فائدة لكم أو لأى دولة أخرى تساند تلك الجماعات وشن الرئيس هجوماً شديداً على المتشددىن وقال: إنهم لا يمتون للإسلام بصلة لأنهم بكل وضوح وبساطة شديدة يريدون الاستيلاء على السلطة واصفاً إياهم بأنهم ليسوا سوى محترفى هز وسط وطبالين فى الأزقة.

الواقعة السابقة أو الاتصالات بين الإخوان والأمريكان من وراء ظهر الحكومة كانت السبب الأول للتعجل بالصدام بين السلطة والإخوان، أما السبب الثانى فهو الأهم والأخطر حيث أرادت الجماعة أن تعرف مدى قوة وصلابة السلطة وشعبيتها فى الشارع المصرى وفى الوقت ذاته استعرض قوتها وهذه الوسيلة الاختبارية تقوم فكرتها على ركيزة أساسية واحدة وهى أن رد الفعل تجاه قوى مضادة للنظام الحاكم إذا كان عنيفاً وعصبياً فهو يدل على ضعف هذه السلطة وعدم شعبيتها. وإذا كان رد فعل طبيعى ومتوازن فهو إعلام قرتها وشعبيتها ومثانة هذا النظام.

بالونة الاختبار بين الإخوان والسلطة شهد تفاصيلها شارع "رمسيس" بوسط العاصمة أظهر شوارع مصر على الإطلاق، وبدأت مراحل إطلاق البالونة وجس النبض من جانب الإخوان للسلطة.

مع نبأ وفاة المحامى "عبد الحارث مدنى" فى مايو ١٩٩٤ متأثراً من التعذيب على يد مباحث أمن الدولة.

الهدف الثانى الذى نجح فى تحقيقه فى



عهد رئاسة مبارك هو نجاحهم فى اختراق الحياة السياسية وسيطرتهم على حزب العمل وجريدة الشعب رغم كل القيود ومحاولتهم فى منتصف التسعينيات تأسيس حزب سياسى يعبر عن تطلعات الجيل الجديد من الإخوان وتقديمهم رؤية إخوانية معاصرة تنطلق من ثواب فكر الإمام "حسن البنا" وتغليب تحركاتهم فى تأسيس وتميرير الحزب وأوراقه داخل لجنة الأحزاب بعيداً عن الصبغة الإخوانية.

عندما سُئل الراحل مصطفى مشهور المرشد العام الأسبق للإخوان المسلمين فى ٧ فبراير ١٩٩٦ عن رأيه فيما أعلنه إخوان حزب الوسط عن أنهم لا ينتمون لتنظيمًا لجماعة الإخوان؟ قال: "هذا كلام يقولونه لدرء الشبهات وهؤلاء الشباب يريدون أن يدفعوا عن أنفسهم كونهم فى تنظيم غير شرعى حتى يحظى حزبهم بالقبول لكنهم لم ينسلخوا عنا وما زالوا أعضاء فى تنظيم الإخوان؟".

رد المرشد رغم تلقائيته وبساطته إلا أنه لخص فكر ومنهج الإخوان فى التعامل مع السلطة فى الثمانينيات واختراقهم للحياة السياسية والتي بدأت مبكرًا جدًا وتحديداً عندما أدهش الإخوان المراقبين عندما تحالفت الجماعة مع حزب الوفد وأضافت الطابع الإسلامى على البرنامج الانتخابى وأجبرت كل الأحزاب المصرية الأخرى بما فيها الحزب الوطنى على جعل الإسلام والمطالبة بتطبيق الشريعة جزءًا أساسيًا من برامجها وبياناتها ونجح تحالف الوفد والإخوان فى الحصول على ٥٨ من بين مقاعد مجلس الشعب.

هذا النجاح الإخوانى فى أول تجربة انتخابية كان بداية مرحلة جديدة فى منهج الإخوانية وفكرهم الحركى نحو الاستفادة من المناخ المتاح فى بدايات الثمانينيات، حيث قرر الإخوان اختراق حزب العمل وتحويله إلى حزب إخوانى وتحويل جريدته ل طرح أفكار ومبادئ الإخوان بالإضافة إلى تشويه وتضخيم وتعرية رجال الحكومة وأعضاء الحزب الوطنى.

وكانت البداية للسيطرة على حزب العمل بداية إعلامية فى عام ١٩٨٥ وهو العام الذى شهد خروج عدد كبير من أعضاء حزب العمل الاشتراكى وسيطرة "إبراهيم شكرى" والمقربين منه على أمانات المحافظات والمقر الرئيسى، وقتها اعتلى الراحل "عادل حسين" عرش الجريدة وقبول المهندس إبراهيم شكرى للسيطرة الإخوانية مصدره النجاح الذى تحقق فى ١٩٨٨ عندما تحالف الإخوان مع حزب العمل الاشتراكى والأحرار بدلا من حزب الوفد وجاءت النتيجة مبهرة حيث فاز التحالف بحوالى ستين مقعداً كان نصيب الإخوان (٣٥) من بين الستين وبحسبة بسيطة نجد أن الإخوان تمكنوا فقط خلال ثلاث سنوات من رفع تمثيلهم فى مجلس الشعب بنسبة خمسة أضعاف.

وبدأ المخطط الإخواني في السيطرة على حزب العمل برئاسة عادل حسين لجريدة الشعب حيث اعتلى عرش الجريدة وبدأ التمهيد للتحويل وخطب في العاملين معه.

السيطرة على النقابات المهنية وحزب العمل أثبت من خلالها الإخوان مهارة فائقة في إدارة اللعبة السياسية طبقاً للقواعد التي سنتها السلطة.

وأصبح الإخوان يتصرفون كحزب سياسى وأصبحت القوى السياسية والسلطة تتعامل معهم فى الواقع كما لو كانوا رغم انتفاء الشرعية القانونية فالمنع الدستورى من تحول الجماعة إلى حزب سياسى واستخدام الدولة المصرية لكل وسائل السلطة التنفيذية بما فيها القهر لتصفية الجماعة لم يفلح فى وأدها أو تصفيتها فقد ظلوا يحتفظون بنواة صلبة من الأعضاء وبمحيط أوسع من الأتباع والمريدين الذين منحوهم الشرعية الاجتماعية وإن لهم إيماناً أوقبولاً لدى قطاع ملموس يعتقد به من المصريين بايديولوجية الإخوان المسلمين وهى الأيديولوجية التى تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة نظام اجتماعى إسلامى وشامل للمجتمع والدولة على حد سواء.

ومع تعثر الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بدأ الإخوان يستفيدون من كل الفرص والظروف المتاحة ويمارسون المناورات الحزبية والتربيطات دون أن تطلهم يد السلطة التنفيذية فى ظل عدالة السلطة القضائية فمن خلال النقابات المهنية والذب السياسى وأعضاء البرلمان وجريدة معبرة عن أفكار وأطروحات الإخوان بدأت الجماعة تدخل مع السلطة فى واحد من أخطر اللعبات السياسية واستطاعت فى خلال سنوات قليلة أن تعرى وتكشف عورات الحكومة وقدمت للمواطن المصرى من خلال جريدة الشعب حقيقة ما يدور فى الخفاء من مفاسد رجال السلطة.

.....

حالة الهدوء والعقلانية التى سادت العلاقة بين الإخوان والسلطة منذ بداية الثمانينيات وحتى أواخر التسعينيات كانت مصدر تساؤلات وحيرة الكثيرين من المراقبين والمهتمين بالشأن والهم العام. لكن هذه الحيرة سرعان ما تتبدد عندما نعرف أن سبب تأجيل الصدام طوال هذه الفترة وهو أن السلطة كانت مشغولة بملف أشد خطورة وأكثر

أهمية وهو ملف الأفراخ التي خرجت من الرحم الإخوانى هذا الملف بكافة تفاصيله الدقيقة وأسباب تضخمه وعلاقات تنظيمات الداخل بالتنظيمات الخارجية والدول التي تساعدهم وتمولهم موجود داخل أدرج مجلس الشورى المصرى ومختوم بختم السرية ويحمل رقم (١٤ لسنة ١٩٩٤) وأعدته نخبة من المتخصصين فى الأمن والاقتصاد وعلم الاجتماع والنفس والسياسة.

ويقدم هذا الملف وجبة متكاملة من المعلومات والأرقام ويؤكد أن الحديث عن مواجهة ظاهرة الإرهاب يتطلب ضرورة تحديد المجموعات المسئولة عن القيام بالأعمال التي تشكل فى مجملها هذه الظاهرة، وليس المقصود بذلك تحديد أسماء هذه الجماعات فقط، لكن التعرف أيضاً على أفكارها وأساليبها فى العمل ومناطق تمركزها وارتباطاتها الداخلية والخارجية، وهياكلها التنظيمية، وتطور الهياكل عبر الزمن إلى أن وصلت إلى الآونة الحالية، وكذلك التعرف على قياداتها المختلفة، وما قامت به من أعمال عنيفة. وما تم إحباطه - من تلك الأعمال - قبل حدوثه، فكل هذه الأمور تؤدى بالضرورة إلى فهم أكبر للإرهاب، وبالتالي تحديد أدق لكيفية التعامل معه، غير أن الاستغراق فى مثل هذه التفصيلات السابقة قد يؤدى إلى فقدان الهدف، فضلاً عن أن كثيراً من تلك الأمور أصبح معروفاً إلى حد ما على نطاق واسع، لذلك يقتصر البحث هنا على ما يفيد فى تناول أسباب وأساليب مواجهة الإرهاب، وهو ما يعنى ضرورة التركيز على الأبعاد والجوانب الحديقة للظاهرة، دون الإغراق فى تاريخها، وهذه الأبعاد والجوانب ترتبط فى الأساس بانتشار جماعات الإرهاب فى السبعينيات، رغم أنه يظل صحيحاً - بصورة عامة - إن نشأة أعمال الإرهاب تضرب بجذورها فى تربة الأربعينيات، وربما قبل ذلك.

بداية، يكاد يكون من المتفق عليه أن الجذور القريبة لظاهرة العنف الإرهابى فى مصر تعود إلى ظهور بعض الكتابات المتطرفة، التي أدت إلى إحداث تحول فكرى وتنظيمى كبيرين فى مسار الحركة الإسلامية فى مصر، وهى جذور ذات دلالات هامة، فهى تشير إلى أمرين، هما:

١- أن هناك بعداً تاريخياً لظاهرة الإرهاب، فتلك الظاهرة لم تظهر فجأة فى السبعينيات، إذ كانت لها جذور فكرية وعملية عنيفة فى مراحل سابقة وإن كانت الأطر

الفكرية والتوجهات الحركية قد اختلفت عما كان سائداً من قبل، فقد تستر الإرهاب بعباءة الدين لي طرح فكراً خاصاً به يستند إلى اجتهادات دينية متطرفة لا يقرها مجمل المجتمع المصرى بقواه السياسية والاجتماعية والثقافية، ولا تقرها مؤسساته الدينية أيضاً. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. فقد تعددت جماعات الإرهاب والعنف وتشعبت لأسباب مختلفة، فنحن أمام ظاهرة ذات جذور تاريخية، إضافة إلى أنها ظاهر تتطور، وهى مسألة مهمة فى الحديث عن مواجهتها.

التقارير الحكومية الرسمية رصدت حالة الارتفاع غير المسبوق لعمليات العنف التى نفذتها الأفراخ التى خرجت من الرحم الإخوانى واعترفت بخطورة وحجم الكارثة بجانب الدقة التى اتسمت بها هذه العمليات والأهداف التى كانت تقصدها والتى تصب فى النهاية نحو تحقيق هدف واحد ورئيس وهو إصابة النظام بالسكتة القلبية وقراءة التقارير بصورة متأنية يكشف أن النظام كان حريصاً طول فترة الثمانينيات وحتى منتصف التسعينيات على عدم إدانة جماعة الإخوان المسلمين بشكل مباشر حتى وقع متغيران: الأول خارجى والثانى داخلى، أما عن المتغير الخارجى فيتمثل فى وصول عمليات التفجير والقتل إلى داخل الولايات المتحدة الأمريكية والمتغير الثانى الداخلى فكان حصول السلطة التنفيذية فى مصر على حكم قضائى من القضاء الإدارى يسمح لها بإحالة قضايا المتهمين فى مثل هذه القضايا إلى القضاء العسكرى.

وتفاصيل رحلة وقوع هذه المتغيرات كانت رحلة شاقة جداً بعد أن بح صوت رئيس الدولة من مناشدة القادة الأوروبيين والأمريكان على ضرورة وقف اتصالاتهم مع قادة العنف ووقف منحهم حق اللجوء السياسى وكانت ردود القادة الغربيين مخيبة لآمال النظام المصرى وكان رفض الأوروبيين الاستجابة لنداءات النظام أسباب أولها ما حدث فى إيران عندما وصل الإمام الخومينى إلى السلطة وقاد ثورته ضد الشاة نت باريس دون أن تعلم المخابرات الأمريكية والأوروبية حدود خطورة الرجل وثورته. فلك يكن أى من النظام الغربية والولايات المتحدة قد فتحت خط اتصال ومفاوضات معه.

ومع تكشف وانتباه الأمريكان للثورة الإيرانية وبدء تصديرها للخارج نشأت عقدة الخميني لدى الغلاب بشكل عام والأمريكان بشكل خاص.

ولأن الأمريكان أرادوا الاستفادة من خطأ التجربة الإيرانية فإنهم قرروا ومنذ اللحظة الأولى لاغتيال السادات فتح قناة اتصال سرية مع قادة العنف في مصر.

وكانت الاتصالات مع الدكتور عمر عبد الرحمن مفتى تنظيم الجهاد واحدة من أهم الاتصالات التي حرصت عليها المخابرات الأمريكية بعلم ودون علم النظام المصري الذي حاول استغلال فرصة طلب الدكتور عمر الحصول على تأشيرة أداء العمرة حتى سمحوا له بالخروج وعندما عاد رفضت الحكومة المصرية السماح له بالدخول وظل مقيماً بالباخرة التي جاءت به من جدة. وقتها عرض الدكتور "حسن الترابي" استضافته بالسودان.

ومن هنا سهلت له العناصر الإخوانية بقيادة الترابي الحصول عللا تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة بترتيبات مع المخابرات الأمريكية التي كانت ترى في استضافته ومراقبة تحركاته فرصة لمنع تكرار تجربة الخميني في إيران وإذا حدث وقامت ثورة في مصر، فإن الاتصالات معه مفتوحة وبالتالي لا توجد مخاوف مستقبلية على المصالح الأمريكية بالمنطقة.

ورغم كل المخالفات الموجودة في ملف الدكتور عمر التي تمنع حصوله على تأشيرة إلا أن المخابرات الأمريكية سهلت كل شيء وتغاضت في سبيل تأمين مصالحها المستقبلية ورفضت كل الطلبات التي تقدمت بها الحكومة المصرية لتسليم الدكتور عمر.

حتى حدثت واقعة في يونيو ١٩٩٣ قلبت كل الموازين وجعلت الحكومة الأمريكية تعيد فتح ملف الدكتور عمر عبد الرحمن بشكل خاص والإسلاميين بشكل عام. هذه الواقعة تكشفها الدعوى القضائية التي أقامها النائب العام الأمريكي في نيويورك، عن بدء أعضاء شبكة التخريب الإرهابية، التخطيط لأعمالها منذ أوائل الشهر الماضي. كما كشفت عن نجاح مكتب التحقيقات الفيدرالي، في زرع مرشد تابع له، وسط شبكة التخريب.

وصول الضربات إلى قلب الولايات المتحدة وباستشعارها خطورة الجماعات بدأت تعيد النظر فى طلبات الحكومة المصرية التى وجدت فى الخلاف بين الأمريكان والجماعات فرصة ذهبية وبدأت تحصد ثمارها، هذه الثمار كشفها وزير الداخلية فى بيانه أمام مجلس الشعب فى ١٦/٢/١٩٩٧ عندما وقف ليعلن ويقول:

لقد امتدت الجهود الأمنية للوزارة نحو رصد وملاحقة النشاط الإجرامى للعناصر الإرهابية خارج البلاد وإحباط مخططاتها المضادة الموجهة للبلاد وذلك وفقاً للمحاور التالية:

- رصد مراكز نشاط العناصر الإرهابية المتطرفة الهاربة بمختلف الدول المتمركزة على أراضيها "الأمريكية والأوروبية والعربية والآسيوية والإفريقية" والوقوف على شكل الحركة ومخططاتها بالخارج.

- متابعة تحرك قيادات تنظيم الجهاد الإرهابى المتمركز بعاصمة إحدى الدول الأوروبية فى اتجاه التخطيط والإعداد لتوجيه عمليات إرهابية على الساحة الداخلية.

- كشف أبعاد حركة بؤر تنظيم الجماعة الإسلامية بإحدى الدول الأوروبية الأخرى واتخاذها من أحد المساجد بالعاصمة مركزاً لأنشطتها، التنظيمية مثل: التجنيد والاستقطاب ونشر الفكر ودفع بعض العناصر المدربة إلى البلاد لإدارة العمليات الإرهابية.

بيان وزير الداخلية أمام مجلس الشعب كشف التحركات المصرية على مستوى المتغير الخارجى ودخولها فى اتفاقيات مع العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية التى رأت حتمية التعاون بعد أن أصبح هناك خطر يهدد مصالحهما معاً وأن تبادل المعلومات وتسليم العناصر المتشددة.

وفى السياق ذاته على مستوى المتغير الداخلى كان الحصول على الحكم من محكمة القضاء الإدارى بإحالة المتهمين فى قضايا العنف إلى القضاء العسكرى فرصة ذهبية للنظام أن يجرى محاكمات سريعة لهم دون الدخول فى ألعاب المحامين ورد القضاء فى المحاكمات المدنية.

وكانت سرعة إجراءات المحاكمة وصدور أحكام عديدة بالإعدام فرصة لتوصيل رسالة لقيادات الداخل للتوقف عن تنفيذ أى أعمال عنف مستقبلية، خاصة وإن عمليات الدعم والتمويل الخارجى قد توقفت واختراق صفوف التنظيم وتجنيد عناصر من داخل ساهم كله فى انحسار نشاطات هذه الجماعات حتى الآن.

وبدأت الحكومة بعد أن اطمأنت ملف الأفراخ الإخوانية تعيد ترتيب أوراقها من جديد والتفرغ للإخوان المسلمين ومهارتهم فى إدارة صراعهم مع النظام.

أول الخطوات التى اتخذتها السلطة كانت التخلص من السيطرة الإخوانية على المجتمع المدنى من خلال خطة تقوم على جعل الخلاف بين أبناء النقابات والمنتديات داخلى على أن تظل هى بعيدة مكتفية بتسريب الأوراق والمستندات التى جمعتها الأجهزة الرقابية على رجالها فى هذه التجمعات ثم ترك القضية كلها إلى المحامين والقضاة. حتى لا تظهر فى الصورة بمظهر الشرير.

وبوضع النقابات المهنية تحت الحراسة انتقل الصراع بين السلطة والإخوان إلى مربع جديد مربع يتميز بعدة مزايا فى الشكل والمضمون.

فقد نجحت السلطة فى تحويل معركتها مع الإخوان إلى معركة قضائية دخلت فيها القضية دهاليز المحاكم والأعياب المحامين واستخدمت المستندات والأوراق الرسمية ورد الإخوان بالطعن عليها بالتزوير وردت السلطة بإحالة الملفات إلى الطب الشرعى وخبراء وزارة العدل واستمرت القضايا منظورة أمام المحاكم. وأصبحت مصر ضيف أساسى على تقارير منظمات حقوق الإنسان والعمو الدولية وهى التقارير ذاتها التى كانت مصدر إزعاج للنظام قبل نجاحه فى تأمين الجبهة الخارجية وعقد الاتفاقيات الثنائية لتبادل المعلومات والمجرمين للحد الذى وصل إلى فتح مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية مكتباً له بالقاهرة وأصبحت ورقة الإخوان أداة الضغط الذى استخدمته السلطة ضد أى إدانة خارجية وكلما صدر تقرير كان التهديد بخطر السماع للإخوان بالعمل اللحن الذى تعزفه السلطة.

واستمرت اللعبة بين الإخوان فى التسعينيات والسلطة تمشى فى اتجاه مصلحة السلطة التى نجحت فى الحصول على حكم قضائى بإحالة المدنيين إلى القضاء العسكرى الأمر الذى سهل لها إحالة القضايا المتهم فيها الإخوان إليه وهو قضاء لا يعرف ألعيب المحامين وإجراءات التطويل والتأجيل.

حتى جاء عام ١٩٩٩ وهو العام الذى يعد عام الحسم ضد الإخوان حيث قررت السلطة التخلص من قيادات الإخوان داخل مؤسسات المجتمع المدنى. ففى ١٤ أكتوبر ١٩٩٩ قامت مباحث أمن الدولة يرافقتها وكلاء نيابة أمن الدولة بإلقاء القبض على ١٦ من قيادات الإخوان الذين يشرفون على ملف النقابات المهنية الرئيسية والفرعية بتهمة



شباب وشيوخ الإخوان فى طريقهم للمحاكمة بتهمة قلب نظام الحكم

الانضمام لتنظيم يرس غير مشروع يهدف لقلب نظام الحكم. ويهدد الاستقرار الداخلى بإعداد مخطط لإعادة إحياء التنظيم المحظور المسمى بجماعة الإخوان المسلمين وذلك استناداً إلى مذكرة التحريات التى أعدتها مباحث أمن الدولة.

وبالقبض على مسئولى ملف النقابات المهنية داخل جماعة الإخوان المسلمين بدأت الحكومة الإعداد للمرحلة الثانية وهى مرحلة التخلص من التواجد الإخوانى داخل الحياة السياسية وتحديدأ مرحلة غلق البوابة الإعلامية التى يصدرون منها أفكارهم وأطروحاتهم. وهى جريدة الشعب التى يصدرها حزب العمل.

وجاءت الفرصة التي انتظرتها الحكومة كثيراً وبدون ترتيبات مسبقة والاستغراق في نظرية المؤامرة الكبرى وذلك عندما أعادت مكتبة الأسرة التابعة لوزارة الثقافة راية "وليمة لأعشاب البحر" للكاتب السوري "حيدر حيدر" والذي نشرها قبل خمسة عشر عاماً ولم يهتم بها أحد ودخلت في مخازن وزارة الثقافة وظلت قيد الإهمال ولم يتبرع أحد من المثقفين بالكتابة عنها أو عرض دراسة نقدية نظراً لعدم أهميتها من الناحية الثقافية، ولكن عندما أعادت وزارة الثقافة نشرها في عام ٢٠٠٠ تبرع أخصائى تحليل طبية بمدينة طنطا وهو الدكتور "محمد عباس" الكاتب الدائم بجريدة الشعب والذي لا يمت بأى صلة للنقد الأدبى وتطرح لقراءة الرواية بشكل يظهرها بأنها تمس الثوابت الإيمانية تحرض الناس ضد الدين الإسلامى دين أغلبية الشعب المصرى وأن الألفاظ الإباحية التي تحتويها الرواية وفكرة الوجود والعدم فى خلق الإنسان التي تدور حولها أفكار الرواية كلها تؤكد المنهج العلمانى والتحريض ضد الإيمان بالإسلام الذى تتبناه الدولة فى خلال مؤسساتها الثقافية وما إن نشرت جريدة الشعب رؤية وتفسير "محمد عباس" للرواية إلا واندلعت المظاهرات فى الجامعات المصرية وقاد طلاب جامعة الأزهر الخطوة الأولى فى التظاهرات التي استمرت أكثر من ثلاثة أيام وقام خطباء المساجد فى الأحياء الشعبية بشن هجوم على الرواية وكاتبها.

هذه العوامل مجتمعة منحت الفرصة للسلطة أن تتخلص من حزب العمل وجريدة الشعب معاً وفى ضربة واحدة.

وكالعادة جعلت الحكومة الصراع بين أعضاء حزب العمل فقط ووقفت هى من بعيد تقدم المستندات والمساعدات للذين قادوا المؤامرة داخل الحزب، والذي انتهى إلى شطره إلى ثلاث جبهات أفرزت ثلاثة رؤساء فبثت بينهم صراعات وخلافات واتهامات مبادلة دفعت فى النهاية لجنة شؤون الأحزاب إلى اتخاذ قرار بعدم الاعتداد بأى من الرؤساء الثلاثة إبراهيم شكرى وحمدي وأحمد إدريس وإحالة الأوراق التي أرسلتها الأطراف المتنازعة بها فيها من اتهامات إلى المدعى الاشتراكي للتحقيق فيها وكان الصراع

محتدأ إلى أن يحسمه رضاء باتفاق الأطراف الثلاثة على رئيس واحد أو قضاء بحكم محكمة يعنى أحقية شخص واحد بالرئاسة.

السلطة من جانبها اعتبرت الصراع على رئاسة حزب العمل فرصة لن تعوض للتخلص من الجريدة والإخوان والحزب ومؤسسة "إبراهيم شكرى" والذي تم إحالته لنيابة أمن الدولة، وبدأت معه تحقيقاً مطول الأسئلة فيه والإجابات كانت تأريخ لبدء دخول واختراق الإخوان للحياة الحزبية فى مصر ومراحل الشد والجذب بين والتقارب والتباعد بين الإخوان ومبارك.

بانشاطار حزب العلم إلى ثلاث جبهات وتعليق نشاط الحزب لحين اتفاق الفرقاء ووقف طبع جريدة الشعب تكون السلطة قد حققت الجزء الثانى من مخططها ضد نشاط جماعة الإخوان وبذلك فقد الإخوان البوابة الإعلامية.

وفى الوقت ذاته تقلصت سيطرتهم على مؤسسات المجتمع المدنى وأحيل مسئولوا ملف النقابات المهنية إلى القضاء العسكرى وصدرت ضدهم أحكام مشددة. ودخلت العلاقة بين الطرفين فى مرحلة كمون مؤقتة وارتاحت السلطة وقتياً من صراع الإخوان.

وظلت هذه الحالة حتى عام ٢٠٠٤ وتحديداً مع احتلال قوات الغزو الأمريكى للعراق، وهو الذى ساهمت فيه النظم العربية وشاركت فيه بطريقة التزام الصمت وغض الطرف وتأمين ثورات وغضب شعوبها ضد الممارسات الأمريكية والسماح لقواتها بالإنطلاق من قواعدها بالدول العربية ومرور بواخرها وسفنها الحربية من قناة السويس واختراق طائرتها للمجال الجوية العربى.

وذلك مقابل ضففة تقوم على اتحاد خطوات إيجابية والنظر بعين الاعتبار للملف الفلسطينى وذلك من خلال إجبار إسرائيل على قبول مبادرة "خارطة الطريق" وإقامة دولتان على الأراضى المحتلة.

وبدأت الحرب الأمريكية في ظل إدانة دولية ورفض الأمم المتحدة للإتهامات الأمريكية للعراق بامتلاكه أسلحة دمار شامل وحدوث شق في الصف الأوروبي ولم تجد أمريكا وسيلة سوى إعلان منفردة ضاربة بكل المواثيق الدولية عرض الحائط.

وقامت المظاهرات في كل دول العالم ولم تقف الدول المتحضرة ضد شعوبها في التعبير عن غضبها وتعاملت مع المظاهرات بنوع من العقلانية وفي المقابل وقفت النظم العربية ضد شعوبها واستخدمت قبضتها المتوحشة في التكيل بكل من يحاول أن يعبر عن غضبه في الفضاء التي ترتكبها القوات الأمريكية ضد الشعب العراقي.



الحرب بدأت في ٢١ مارس ٢٠٠٣ وانتهت في ٩ أبريل ٢٠٠٣ وما بين مارس وأبريل بدأت النظم العربية تطالب الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ وعودها وإجبار شارون على قبول خطة "خارطة الطريق" إلا أن الولايات المتحدة وكعادتها اتصلت من وعوها وقررت أن تضع النظم العربية في مأزق يجبرها على السكوت للأبد وعدم التفكير في فتح الملف مرة أخرى بل ألقت بالكرة الملتهبة في أيديهم وجعلتهم في موضع الخصم لشعوبهم وذلك بطرح مبادرة "الإصلاح السياسي" أولاً قبل حل الصراع العربي الفلسطيني وتأسيس حلف أطلقت عليه اسم الشرق الأوسط الكبير يبدأ من باكستان وينتهي بالقاهرة ويدخل فيه كل شعوب المنطقة.

بل أضافت الولايات المتحدة إضافات جديدة جعلت العرب يشعرون بالخوف على عروشهم، عندما حددت الهدف من الإصلاح فى عدة نقاط منها: حرية العمل السياسى وتأسيس الأحزاب وحرية الإعلام والمساواة بين الرجل والمرأة والشفافية وإلغاء قوانين الطوارئ ووقف التزوير فى الإنتخابات وكلها إصلاحات لو طبقت سيكون مقابلها الإطاحة بهذه النظم.

وبهذه الخطوة الأمريكية انتقلت النظم العربية من موقع الهجوم ضد الأمريكان إلى موقع المدافع الذى يبحث عن مخرج من المأزق الأمريكى وانطلق القادة العرب يبحثون عن مخرج، منهم من انطلق إلى البيت البيض مباشرة ومنهم من اتجه إلى الاتحاد الأوروبى، طالبين التدخل لإقناع الولايات بالتراجع عن مشروعها، إلا أن الأمريكان كانوا مصرين ومتشددين فى موقفهم وكانت حجتهم أن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ سببها سوء النظم السياسية فى الدول العربية التى خرج منها منفذى الهجوم، وأن الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى هذه الدول هو سبب العنف وأن تجنب حدوث ذلك مستقبلا يتطلب إجراء إصلاح سياسى شامل.

ومع زيادة الضغوط الأمريكية وتتصلها من وعودها بدأت النظم العربية ترضخ لهذه الضغوط وحاولت تقديم مبررات للأمريكان لتأجيل تطبيق طلبات الأمريكان وكان مبرر النظم العربية هو أنها لا ترفض مبادرة الإصلاح للشرق الأوسط الكبير لكنه تجب مناقشته مع الدول المعنية مع ضرورة مراعاة قدرة كل مجتمع على استيعاب مثل هذه الإصلاحات والاستفادة منها آخذة فى الاعتبار الاختلافات الجوهرية فى التركيبة الثقافية والاجتماعية من مجتمع لآخر بما فى ذلك تعداد السكان، وذلك انطلاقاً من كون الإصلاح مرة واحدة من شأنه أن يفتح أبواب الجحيم على مصراعيه، ما لم تخضع المبادرة إلى دراسة دقيقة وتنسيق وتشاور بالإضافة إلى أن المبادرة ذاتها يكتنفها الغموض حول المقصود بالشرق الأوسط الكبير بالإضافة إلى ذلك فإن المنطقة العربية يسودها الإحباط واليأس الناتج عن

عدم تسوية مكالات المنطقة واتباع معايير مزدوجة فى التعامل معها المر الذى يؤكد
ضرورة إيجاد حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية .

المبادرة الأمريكية أو المشروع الأمريكى بمعنى أدق وضغوطها على النظم العربية جعلها
تبحث عن مخرج للخروج من المأزق الأمريكى .





8

شارون طوق نجاة
مبارك.. ونسف الأنفاق
مقابل الحماية



فى ٥ مارس ٢٠٠٥ بدأ مبارك جولة أوروبية فى محاولة منه لتخفيف الضغوط الأمريكية، وكانت أول محطاته روما، واختيار إيطاليا بالتحديد كانت تحكمه عدة عوامل فى مقدمتها أن رئيس الوزراء الإيطالى فى ذلك الوقت "بيرلسكونى" كان يتمتع بمكانة خاصة لدى الإدارة الأمريكية، وصداقة من العيار الثقيل مع الأمريكى جورج بوش زادت بعد قيامه بالدخول فى تحالف مع بوش وقيادة حرب كلامية مع البرلمان الإيطالى للحصول على موافقة بإرسال قوات إيطالية إلى العراق لمساندة القوات الأمريكية.

مهمة مبارك فى إيطاليا كانت محددة وهدفها هو استطلاع مواقف أصدقاء مصر فى الاتحاد الأوروبى إزاء مبادرة الشرق الأوسط الكبير التى تعتمزم الإدارة الأمريكية طرحها على قمة مجموعة الثمانى الصناعية.

أجندة مبارك كانت تحمل مشروعاً أعده وزراء الخارجية العرب حول تصوراتهم للإصلاح السياسى، مشروعاً ينطلق من ركيزة وحيدة وهى أن الإصلاحات السياسية والاقتصادية التى تقترحها واشنطن فى هذا التوقيت وبهذا الشكل لا يمكن تنفيذها ويجب أن تتم على عدة مراحل.

مبارك لم ينس أن يثير مخاوف الغرب من الإسراع فى تنفيذ المخطط الأمريكى مدللاً على ذلك بالتجربة العراقية والجزائرية.

رئيس الوزراء الإيطالى كان دبلوماسياً إلى أبعد الحدود فى إجاباته على أسئلة الصحفيين، فهو لم ينكر الأسباب والدوافع وراء زيارة مبارك وفى نفس الوقت لم ينكر

قيامه بإجراء الاتصالات مع الأمريكي. ولكن ما هي النتائج التي توصل إليها؟ فقط كانت سرًا من الأسرار العليا.. حيث اكتفى بالقول: أنتهز هذه الفرصة ليس فقط لأعبر عن مشاعر الصداقة المخلصة وإنما لسعادتي بإبلاغه أنه خلال اتصالاتي الدولية الأخيرة وجدت دائمًا تقديرًا عامًا للرئيس مبارك، واليوم تبادلنا وجهات النظر مع الإدارة الأمريكية وفي هذه المناسبة تم التأكيد على أهمية دور مبارك فيما يتعلق بالتوصل إلى حلول ممكنة للأوضاع الصعبة في الشرق الأوسط.

وعقب انتهاء المؤتمر الصحفي المشترك بين المصري ورئيس الوزراء الإيطالي، أجرت صحيفة "لاريبوبليكا" الإيطالية حوارًا مطولًا مع مبارك أجراه رئيس قسم الشؤون الخارجية بالصحيفة "نيكولا لومبردوتسي".

وفي الحوار كان مبارك حريصًا في ردوده على الصحفي الإيطالي فهو لم يقبل المبادرة الأمريكية، وفي نفس الوقت لم يرفضها فهو كان أقرب إلى إمساك العصا من النصف، حيث أكد في البداية على أن أي محاولة لفرض نمط موحد من الإصلاح على جميع الدول العربية ولا يقوم على التشاور المسبق والتنسيق الوثيق لن يأتي إلا بنتائج عكسية، وأضاف أن هذا الموقف لا يعنى رفض المساعدات الخارجية للمجهودات الغربية وإنما يعنى الترحيب بأي مجهود يسعى لتعزيز قدرة كل من دول المنطقة على إجراء الإصلاح المنشود وفقًا لخطتها الذاتية المبنية على ظروفها وإمكاناتها وقدرة مجتمعاتها على استيعابها، واحترام إرادتها.

وأضاف: نحن لا نرفض المشروع الأمريكي لإصلاح الشرق الأوسط الكبير لكنه تجب مناقشته مع الدول المعنية.

ولأن الحديث مع الصحيفة الإيطالية جاء في توقيت شديد السخونة والخصوصية، لهذا كانت الإجابات ذات دلالة واضحة كشفت بوضوح حقيقة المأزق التي كانت تعيش فيه الأنظمة العربية جميعًا. وقد نص الحديث حرفيًا على النحو التالي:

ففي رده على سؤال عمّا إذا كان سيادته قد حصل على تفاصيل المبادرة من البيت الأبيض، أجاب مبارك بالنفي، وأضاف أنه سيلتقى مع بوش في ١٢ أبريل المقبل في

واشنطن لمناقشة المبادرة التي يرى سيادته أنها ما تزال خطة يكتنفها الغموض ويتعين مناقشتها مع الدول المعنية، وإلا فسوف يكون مصيرها الفشل، وسأطلب منه توضيحات حول معنى الشرق الأوسط الكبير وما المقصود منه، لأن هناك شيئاً ما غير واضح، ربما أكون مخطئاً وربما أكون محقاً، ولا أضيف شيئاً آخر.

- سيادة الرئيس لقد أشار البيت الأبيض إلى سيادتكم وطلب الإصلاحات في مصر على أساس أن مصر تقود النهضة في العالم العربي، فما موقف سيادتكم من المبادرة؟

ذكر مبارك أننا لا نحتاج إلى دروس، ولم نتظر أحداث ١١ سبتمبر، فمنذ أعوام الثمانينيات قطعنا طريقاً كبيراً، إقامة نظام قضائي مستقل، والشروع في إقرار نظام انتخابي جديد، والقانون الجديد حول الصحافة، والمدارس وأحوال المرأة حيث دخلت المرأة المصرية اليوم في جميع القطاعات الحرفية، لكن كل هذا لم يتم بعضاً سحرية، مطلوب وقت واحترام التقاليد والثقافة وإجراء الإصلاحات بطريقة تدريجية وإلا فستقوم بتقوية العناصر المتطرفة.

- وبسؤاله إلى أي شيء يشير، ذكر سيادته: أفكر فيما حدث في الجزائر، فالحرية والديمقراطية يمكن أن تُحدث هزات عنيفة في دولة ما. ماذا سيحدث إذا فاز المتطرفون بالأغلبية العظمى في البرلمان، ولناخذ ما حدث في الجزائر منذ ١٢ سنة يمكنكم الرهان، سنرى الإسلاميين يعلنون الحكم في مصر وفي العراق، لكننا بالتأكيد لن نسمح بفرض أنماط محددة من الإصلاحات تدفع نحو الفرق وتلقى بنا في الفوضى، إننا نعرف بلادنا أفضل من أي شخص آخر.

- وبسؤاله عن الطريق الذي تقترحه مصر من أجل الإصلاحات، ذكر سيادته أنه ستتم مناقشة المقترحات المصرية للإصلاحات في القمة العربية القادمة، وأنه لا يمكنه استباق التفاصيل التي سنقوم جميعاً بوضعها.

- وبسؤاله: هل يمكن لأوروبا تقديم مساعدتها؟ قال: نعم بالتأكيد، حيث تربطنا بأوروبا مشاركة تسير على نحو طيب وفي سبيلها إلى تحقيق إصلاحات جديدة نقوم

بتطبيقها بدون ضوضاء، وكانت مصر فاتحة طريق والآن تحذو الدول الأخرى حذونا: الأردن وتونس والمغرب. لكن الإصلاحات وحدها لا تكفى لإخماد النيران المشتعلة فى الشرق الأوسط فهناك بركان جاهز للانفجار ونحن نولى اهتماماً كبيراً للصراع الإسرائيلى - الفلسطينى.

- وبسؤاله عما إذا كان يعتمد على إيطاليا بصفة خاصة، ذكر مبارك أن إيطاليا لها دور يمكنها القيام به، فرئيس وزراءكم بيرلسكونى صديق جيد لشارون، وأكد لى أنه مستعد لمعاونتنا، ويجب كسر الجمود ووضع نهاية لعمليات القتل، والمآثم والعذاب، وأضاف سيادته أن الاتصالات مستمرة مع إسرائيل من أجل فهم كيف يمكن التوصل إلى حل.

- وبسؤاله: هل يعنى ما ذكره أيضاً أن إسرائيل يمكن أن تكون شريكاً لكم من أجل إحلال السلام؟ ذكر مبارك: لا يمكن أن أفقد الأمل وسأمضى قدماً إلى الأمام؛ بحثاً عن بارقة أمل.

- وبسؤاله سيادته عما إذا كان يثق فى وعود شارون بالانسحاب من الأراضى الفلسطينية. قال مبارك: لا أقول لا، لكنه بشرط ألا ينتقل المستوطنون فى الضفة الغربية وإلا سوف تتعقد الأمور من جديد، ويجب أن يتم الانسحاب بالتعاون مع السلطة الفلسطينية، الالتزام كثيراً.

- وعما إذا كان الجدار الإسرائيلى يقلقه، ذكر مبارك أن الجدار لن يعفى إسرائيل من ضرورة التفاوض فهى مشكلة كبيرة، فالجدار يُقسّم البلد ويقسم الأرض ويشتت الأسر الفلسطينية ويعوق حرية الفلسطينيين، ولن يُوقف العنف، بل إن المجتمع الإسرائيلى منقسم على نفسه بشأن هذا الجدار، وبالتأكيد فإن السلام ليس بحاجة إلى الجدار.

الجولة الأوروبية للرئيس مبارك نتائجها كانت سلبية حتى شهر إبريل والدليل على فشل الجولة هو المفاجأة التى أعلنتها مؤسسة الرئاسة بمصر فى ١٢ إبريل ٢٠٠٥ بإلغاء

الزيارة السنوية المقررة للرئيس بزيارة الولايات المتحدة وهو القرار الذى أثار التساؤل فى الشارع المصرى بشكل خاص والأوساط الدولية بشكل عام خاصة وهى زيارة سنوية مقررة وتدرج على أول بنود الأجندة الرئاسية.

وكانت أكثر أدوات الاستفهام المستخدمة فى الحوارات "هل".

وكان التساؤل هل يعقل أن يلغى مبارك زيارته السنوية للولايات المتحدة؟.. منذ أن تولى الحكم منذ ٢٣ عاماً قام مبارك بزيارات سنوية تقريباً لـ"واشنطن" ورغم كل التوترات التى كانت تجتاح العلاقات المصرية - الأمريكية. الإعلان الذى جاء عن إلغاء الزيارة سواء من جانب السفير المصرى فى واشنطن نبيل فهمى أو المتحدث باسم الرئاسة سليمان عواد شكل علامة استفهام كبيرة؟.. هل يعقل أن يلغى مبارك أكبر زيارة سنوية مهمة له وهل يعقل أن يتم إلغاء هذه الزيارة بدعوى ازدحام جدول زيارات ومشغوليته؟.. لا توجد مشغوليات أمام مبارك فى الفترة القادمة سوى مؤتمر القمة العربى وبعدها لا يوجد شئ سوى فى شهر مايو عندما يتم الترشيح لمنصب الرئاسة وتتطلق بعدها حملات الدعاية التى وعد فيها مبارك بزيارة أغلب محافظات مصر. أم أن ما أعلن عن إلغاء الزيارة هو مجرد تعميم إعلامى، بينما قد يفاجئ البعض بعد ذلك بقيام مبارك بزيارة واشنطن؟!

لا شك أن العلاقات المصرية - الأمريكية المتدهورة منذ إعادة انتخاب بوش وما يصاحبها من حملات صحفية أمريكية متوالية قد انتقلت من انتقاد الأوضاع فى مصر إلى الهجوم الشخصى على مبارك وحتى الانتقال إلى مرحلة جديدة من الهجوم يتمثل فى الأصرار على أن مصر تمتلك برنامج تسليح كيميائياً ونوويًا محوريًا، وأنها لعبت دورًا فى تسليح صدام حسين كيميائيًا وربما نوويًا.

التدهور لم يقتصر على إلغاء زيارة مبارك (والتى أعلن من قبل أن وزير الخارجية أحمد أبو الغيط يعد لها أثناء زيارته الأخيرة لـ"واشنطن" ولكنه امتد إلى الدكتور أحمد نظيف الذى ألغى هو أيضاً بعثة "طرق الأبواب" التى تضم رجال أعمال فى غرفة التجارة

الأمريكية برئاسة وزير التجارة فى ذلك الوقت رشيد محمد رشيد، وكل هذه الزيارات كانت تهدف التمهيد لزيارة مبارك لـ"واشنطن"، ولكن يبدو أن سياسة واشنطن الآن هى "العصا" فقط بدون "الجزرة".

التوتر المصرى - الأمريكى لا يقتصر فقط على تبادل الحملات الدبلوماسية (أبو الفيط وكوندليزا رايس) أو الحملات الصحفية، ولكن الأمر انتقل إلى الكونجرس حيث قامت لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس الأمريكى حيث قامت لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس بتمير قرار يدين القبض على أيمن نور وتدعو لإطلاق سراحه، ويقال إنه من المتوقع أن يصدر الكونجرس قرارات أخرى تدين سجل مصر المتواضع، أو بالأحرى المتدهور - فى مجال الإنجاز الديمقراطى، وتهدف لممارسة المزيد من الضغوط على مصر فى هذا المجال، ولا شك أن أحمد نظيف كان سيواجه بعاصفة من الانتقادات لو قام بزيارة واشنطن وكذلك الحال بالنسبة للرئيس مبارك أيضاً.



مع إعلان الولايات المتحدة الدوافع والأسباب وراء طرحها لمبادرة الإصلاح الجذرى فى الوطن لعربى، وضبابية نتائج الجولة الأوروبية للرئيس مبارك، بدأت الضغوط الأمريكية تأخذ منحى تصاعدياً ولهجة أكثر غطرسة بلغت ذروتها فى نهاية مارس ٢٠٠٥ باتصال هاتفى من كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية.

وربما تصور - لوهلة - أن وزيرة الخارجية الأمريكية قد تشرح دواعيها وأسبابها لإلغاء مؤتمر كان مقرراً - بعد أيام - فى شرم الشيخ يضم وزراء خارجية الدول الثماني الكبرى ووزراء الخارجية العرب تحت اسم "منتدى الإصلاح والمجتمع المدنى"، أو قد تأسف - بلغة دبلوماسية معتادة فى مثل هذه الأحوال - عما يمكن أن تتصوره مصر إهانة لحقت بها بإلغاء المؤتمر من طرف واحد وبصورة مفاجئة.

غير أن رايس فى هذا الاتصال الهاتفى أبلغت "أن ما يجرى فى مصر من إصلاح سياسى بطىء بما لا يشجع الولايات المتحدة وحلفاءها الكبار على المشاركة فى مؤتمر من أهدافه دعم وتمويل الإصلاح السياسى فى المنطقة العربية".

ثم مضت كوندليزا رايس - بلغة غير مسبوقة في التحدث مع رئيس أكبر دولة عربية: "إن الولايات المتحدة الأمريكية تتطلع لانتخابات رئاسية تنافسية حقيقية في مصر بين مرشحين متعددين".

والمثير للانتباه أن الخارجية المصرية بررت ما اسمته تأجيل المؤتمر، المثير للاهتمام والجدل، بذريعة انتظار ما قد تُسفر عنه قمة الجزائر العربية من نتائج وقرارات تخص الإصلاح السياسى فى المنطقة.

لم تكن الذريعة المعلنة حقيقية، وبدا فى أفق الأزمة أن الإدارة الأمريكية وجدت فى تعقيدات قضية النائب أيمن نور فرصة لإعلان استراتيجيتها الجديدة فى التعامل مع دول المنطقة، ومن بينها النظام المصرى.

وهكذا عندما انفضت قمة الجزائر لم يتحدث أحد - مرة أخرى - عن مؤتمر شرم الشيخ، ولا عن الدعوة إليه من جديد بانتظار ما تقرره واشنطن.

والأكثر إثارة فى هذه القصة أن ما كانت تقوله كوندليزا رايس فى مثل هذا الاتصال الهاتفى، أو عبر الحقائق الدبلوماسية بات علنياً ومنشوراً بحوارات معها فى كبريات الصحف الأمريكية.

بعد هذه المكالمة بأقل من أسبوعين مضت أطراف نافذة فى الاتحاد الأوروبى على الطريق الأمريكى الجديد، استخفاً بنظام الحكم أو القواعد الدبلوماسية المتعارف عليها، ففى تصريح - غير معلن - لنائب رئيس البرلمان الأوروبى، الذى كان يشارك فى المؤتمر البرلمانى لليورو - متوسطى، منتصف مارس الماضى، أكد أنه سوف يشارك بنفسه فى مراقبة الانتخابات الرئاسية المقبلة وبجلسة خاصة جمعت مع بعض مراسلى وكالات الأنباء الأمريكية سئل: "هل طلبت ذلك من الحكومة المصرية؟" ... أجاب: لا، سواء قبلوا أو لم يقبلوا فسوف أراقب مع وفد أوروبى برلمانى نزاهة الانتخابات الرئاسية.

نبرة الاستهانة والسخرية من النظام المصرى فى الخطاب الأوروبى وتصاعد الضغوط الأمريكية كشفت أمام المواطن العادى حقيقة وحجم وثقل النظام المصرى، وتراجع الدور والمكانة المصرية على المستويين العربى والغربى، هذا التراجع انعكست صورته فى الشارع

المصرى وكانت أولى القطاعات التى التقطت الصورة هى قطاعات النخبة سواء بالمؤسسة القضائية أو الدينية أو المجتمع المدنى، وكان داخل كل مؤسسة صراع بين فريقين: الأول يقود ويطالب بالإصلاح، والثانى من مؤيدى بقاء الوضع كما هو عليه.

* * *

مبارك كان رجل محظوظ على طول الخط ويمتلك أوراقاً خاصة جداً يستخدمها وقت اللزوم وفنانوساً سحرياً يستحضر منه عفريتاً قادراً على منحه القدرة على تجاوز المخاطر.

فرغم حالة السخط العام التى كانت تسود الشارع المصرى، وتصاعد حدة المعارضة وتناولها فى أحيان كثيرة مع وضوح الرغبة فى التغيير داخل كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية من المؤسسة القضائية والدينية والمجتمع المدنى والنقابات المهنية، وتلاقى تلك الرغبة السائدة فى الشارع المصرى مع رغبة خارجية تمثلت فى أجنحة فى الاتحاد الأوروبى والإدارة الأمريكية تطالب بالتغيير والإسراع فى التخلص من نظام مبارك، ورغم كل هذه الضغوط كان لدى مبارك رهان على تحوّل بداخل الإدارة الأمريكية يميل بالتدريج إلى أن بدأ قدر أكبر من الواقعية فى التعاطى مع الملف المصرى وتغليب فكرة الإبقاء على نظام مبارك لما يؤديه من أدوار فى خدمة الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة، وبخاصة فى فلسطين والعراق. انطلاقاً من أن الإدارة الأمريكية فى حاجة إلى سند إقليمى يساعد فى الخروج من فخ العراق وحصار جماعات المعارضة وتحقيق الأهداف الاستراتيجية من عملية احتلال العراق.

النظام المصرى كان يدرك أن لديه فرصة مقايضة سياسية للتخفيف من الضغوط الأمريكية عليه فى ملف الإصلاح السياسة مقابل أدوار يؤديها ومطلوبة منه، أو قد يُطلب منه فى الملف العراقى.

وأصبحت الصورة داخل الإدارة الأمريكية فى هذا الوقت منقسمة إلى قسمين أو صراع بين تيارين التيار الأول يحمل اسم تيار الواقعية، وهو التيار الذى يرى ضرورة فى الحفاظ على نظام مبارك باعتباره يحقق مصلحة استراتيجية محققة بالفعل.

والتيار الثانى كان تياراً راديكالياً، ويرى هذا التيار ضرورة التخلص من نظام مبارك باعتباره عبئاً على الاستراتيجية الأمريكية الجديدة فى المنطقة، وهذا ما كانت تتحاز إليه وزيرة الخارجية الأمريكية "الآنسة كوندى".

ولكن حدث متغير جديد كشف عن انتصار تيار الواقعية الأمريكية والمطالب ببقاء مبارك ومنحه فرصة جديدة، والسماح له بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية على مراحل.

هذا المتغير لم يُكشف عنه ولم يخرج متحدث باسم الرئاسة الأمريكية ليعلن تفاصيله ولكن الذى كشف عنه نجل مبارك جمال وتحديداً فى نهاية شهر مايو ٢٠٠٥ أمام اجتماع غرفة التجارة الأمريكية عندما نفى بشدة أن يكون هناك توتر فى العلاقات الأمريكية المصرية، وأضاف مؤكداً أن الأيام المقبلة ستثبت خطأ كل من يعتقد بوجود توتر فى هذه العلاقات، والأسبوع القادم ستزور "كوندليزا رايس" القاهرة.

وفى الوقت الذى كان جمال مبارك يخطب أمام الغرفة الأمريكية كان رئيس الوزراء "أحمد نظيف" يقدم مبررات الإدارة المصرية أمام الإدارة الأمريكية حول أسباب عدم الإسراع فى إجراءات الإصلاح السياسى، وأن المناخ العام فى مصر يستدعى أن يتم الإصلاح متدرجاً خاصة وأن الشعب المصرى غير مؤهل لاستيعاب مثل هذه الخطوات، والعواقب قد تكون وخيمة وأن الإصلاح وفقاً للتصور الأمريكى والسيناريو المطروح قد يسمح بوصول تيار سياسى أو دينى متطرف معارض للسياسة الأمريكية والإسرائيلية.

زيارة الدكتور "نظيف" والملف الذى قدمه للإدارة الأمريكية والذى كان يتضمن عدداً من التحقيقات الصحفية أجرتها بعض الصحف المستقلة والمعارضة حول قضية "أيمن نور" ومستقبل الإصلاح السياسى والاقتصادى فى مصر كان لها مفعول السحر، وربما حققت الزيارة بعض النتائج لصالح مبارك وهو الأمر الذى دفع الصحف الحكومية أن تعود للكلام مرة أخرى عن خصوصية العلاقة بين القطب الأوحى فى العالم الولايات

المتحدة ومصر الدولة المحورية الأولى فى المنطقة بالإضافة إلى النفى عن وجود أزمة فى العلاقة بين الدولة القطب والدولة المحور.

تغير لغة الخطاب الإعلامى المصرى قابله تغير مقابل فى لغة الخطاب الأمريكى وتعاطيه مع قضية الإصلاح السياسة فى مصر، وهو التغير الذى كشفتته "الواشنطن تايمز" فى شهر يونيو ٢٠٠٥ حيث أكدت الصحيفة أن أسلوب التعامل الأمريكى مع التغير السياسى فى مصر شهد مؤخرًا تحولاً لصالح من يطالبون بالحدز فى التعامل مع الإسلاميين وإبعادهم عن السلطة حتى يقوم هذا التيار بإيضاح أو تعديل موقفه من العديد من السياسات، ولكن هناك مدرسة أخرى من التفكير تضغط من أجل إحداث تغير سريع فى مصر بغض النظر عن العواقب، وكانت هذه المدرسة هى التى شهدت صعوداً وقبولاً مع بداية العام ولكنها فقدت أرضيتها منذ ذلك الحين.

وفى التصريحات الرسمية يقوم المسئولون الأمريكان بتوجيه النصح للحكومة المصرية لاتخاذ خطوات محددة مثل: ضمان نزاهة الانتخابات، والسماح للمعارضة باستخدام وسائل الإعلام، ومنع العنف ضد مظاهرات الشوارع إلا أن المسئولين الذين كانوا يدلون بهذه التصريحات، وعلى رأسهم بوش، كانوا لا يفصحون عن مدى سرعة تنفيذ تلك الخطوات التى يعتقدون أن التغيير يجب أن يتم بها وما إذا كانوا يرغبون فى رؤية رحيل مبارك الذى تمتع بصله وثيقة مع رؤساء الولايات المتحدة على مدار ربع قرن.

وأضافت الصحيفة: إن أهم مظاهر التحول فى الموقف الأمريكى شخصية "سعد الدين إبراهيم".

وكما يقول أحد المصادر الدبلوماسية "لقد ذكر لى شخص ما فى مجلس الأمن القومى الأمريكى فى البيت الأبيض لقد كنا مغرمين ومعجبين بشخص مثل سعد الدين إبراهيم منذ ستة أشهر، ولكننا أصبحنا الآن أكثر حذرًا فى التعامل مع أى معارض وخصوصًا من يطالبون بالتعامل مع التيار الإسلامى مثل سعد الدين" وأضافت الصحيفة وعلى لسان دبلوماسى أمريكى أن الولايات المتحدة تركز على ما اسمته "إدارة التغيير"، بمعنى أنه من غير الواقعى أن نتوقع أن يقوم مبارك بإحداث تغيرات درامية فى خلال الأشهر القليلة

المقبلة، وأضافت: يمكن الحكم من خلال التعليقات السابقة أن الولايات المتحدة لم تتوصل بعد إلى صياغة موقف متماسك تجاه الإخوان المسلمين، وهي جماعة عدوانية تجاه الولايات المتحدة وتجاه حليف أمريكا "إسرائيل"، ولكن كل ما تريده الولايات المتحدة أن تقوم جماعة الإخوان بعمل نقلة جذرية في وضعها أو بمعنى أن تتحول من حركة دينية إلى حركة سياسية تتقدم ببرنامج وسياسات. عملية التغيير في الموقف الأمريكي وانتصار تيار الإبقاء على مبارك ورجاله تغير كان وراءه أسباب ودوافع وصفقات من العيار الثقيل وعرض مفر قدمه النظام المصري للإدارة الأمريكية وعن طريق وسيط لا تجرؤ الإدارة الأمريكية على رفض وساطته!

هذا الوسيط هو "شارون" رئيس الوزراء الإسرائيلي. والذي نجح استناداً إلى ما نشره موقع "نيوز فرست كلاس" الإخباري الإسرائيلي في توقيع اتفاقية أمنية لتبادل المعلومات بين مصر وإسرائيل عن المنظمات الإرهابية وحركات المقاومة الفلسطينية التي وصفت بالإرهابية، ويقضى الاتفاق بالتعاون لدرء التهديدات التي تحدى بالحدود المشتركة، وأن هذا الاتفاق هو جزء من الاتفاقية الأوسع بين مصر وإسرائيل لنشر جنود على محور صلاح الدين.

والحقيقة أن هذه الاتفاقية هي الأولى من نوعها بين مصر وإسرائيل، حتى أن اتفاقية كامب ديفيد التي عقدها السادات لم تنص في ملاحقتها السرية على تعاون بهذه الدرجة. الصحف الإسرائيلية علقت على الاتفاقية بالقول أن النظام المصري يبذل كل جهده من أجل البقاء على مقاعد الحكم، وأن تبني مبارك لخطة الانفصال في اتفاقية نشر قوات أمام الولايات المتحدة بأمل أن تتجاوزه في طريقها لفرض الديمقراطية بالقوة على كل دول الشرق الأوسط.

الصفقة التي نجح شارون بتفصيلها السرية والعلانية، كشفها حوار مبارك مع القناة الثانية الإسرائيلية، والذي تعمدت وسائل الإعلام المصرية أن تحذف منه بعض الجمل الحوارية مثل:

المذيع: طب صحيح الكلام إنه لما ينتهى الانسحاب، سيادتك هتيجى تزور شارون فى إسرائيل؟

مبارك: مازوروش ليه، مش مشكلة يعنى أنا عاوز أكل خروف من بتوعه دول هو دعانى على العموم أكل خروف قبل الخرفان ما سمنا قوله يحوش لى الجيل الثانى أنا عندى انتخابات.

المذيع: يعنى بعد الانتخابات ممكن تيجى؟

مبارك: بعد الانتخابات على أول السنة الجديدة بس قول للمستتر شارون ما يخلصهمش كلهم لحد ما آجى إليه.

المذيع الإسرائيلي علق على هذه الأجواء قائلاً: مبارك كان سعيداً للغاية وهو يجرى الحديث وترك الصحفيين الإسرائيليين يتجولون بحرية من حوله وهو واقف على بعد مليمترات من شيمون بيريس.

وفى ظل هذه الأجواء الدافئة بين مبارك وشارون كان على مبارك استقبال وزيرة الخارجية الأمريكية "كوندليزا رايس" والتي كانت تحمل معها على ما يبدو رسالة محددة تريد توصيلها إلى مبارك.

وفى الوقت ذاته أراد شارون أن يظهر مساندته للرئيس مبارك وتحديه لأى خطوة يمكن أن تتخذها الإدارة الأمريكية حتى ولو كانت شفوية لذا فقد أرسل إلى القاهرة نائبه "شيمون بيريس" ووزيرة الاتصالات داليا رابين والذين كانا متواجدين داخل مبنى الرئاسة وقت استقبال مبارك لوزيرة الخارجية الأمريكية. وإن المعلن وقتها أنها تحمل أجندة تتضمن حزمة من الأوامر على النظام المصرى تنفيذها وهى: السماح لرقابة دولية على الانتخابات، وإجراء تحقيق فى وقائع الاعتداء على المتظاهرين يوم الاستفتاء، إنهاء احتكار الحزب الحاكم للمجالس التشريعية وأن تُجرى الانتخابات بنزاهة وبما يضمن وجوداً حقيقياً للمعارضة.

الأوامر السابقة - أو النصائح الأمريكية كما كان يردد الإعلام المصرى - لم تطرحها وزيرة الخارجية، بل جاءت الزيارة بمثابة ضوء أخضر وموافقة أمريكية على بقاء الوضع على ما هو عليه.

اتفاقية مبارك وشارون كانت السبب وراء رفع الأمريكان يدهم عن مبارك والابتعاد قدر الإمكان من طريقه وحتى الآن لا يعرف أن كانت عملية الضغط بدأت بترتيبات وتنسيق بين الأمريكان والإسرائيليين أما لإجبار مبارك على الدخول في مربع حتمية التنسيق الأمني بين مصر وإسرائيل لوقف العمليات الاستشهادية وإغلاق الانفاق بين مصر وفلسطين ومنع وصول الإمدادات والأسلحة إلى الفدائيين من حماس وفتح وكافة الفصائل.

المهم أن مبارك قد نجح في النهاية وأن كان المقابل الذي حصلت عليه الإدارة الأمريكية وإسرائيل لم يكشف عنه حتى الآن وأن كانت اعراض الاتفاقية الأمنية أو المكافأة التي حصل عليها شارون قد ظهرت في صورة سلسلة تفجيرات في طابا وشرم الشيخ وميدان التحرير وحى الأزهر. وأياً كانت نتيجة هذه التفجيرات وعدد القتلى فإن مبارك قد أصبح الآن متفرغ للملف الداخلى بعد أن أرتاح من الصداق الأمريكى وبدأ عملية ترتيب البيت من الداخل مرة أخرى وبمجرد إعلان نيته بإدخال تعديلات دستورية على المادة "٧٦" من الدستور بحيث يصبح هناك أكثر من مرشح يتنافسون على منصب ، أصبح المرشد هدفاً وقبلة لكل وسائل الإعلام والمراسلين الأجانب خاصة وأن أول تصريح صحفى له كان غامضاً إذا قال فيه.

"أنا شخصياً لن أرشح نفسى لرئاسة الجمهورية، لكن هناك من الإخوان من يستطيعون أن يقودوا هذه الأمة".

وعن موقف الإخوان من دعم مبارك في انتخابات الرئاسة القادمة، قال فضيلة المرشد: ليس هناك مانع من دعم إذا كان ذلك في صالح الوطن والأمة، وشريطة أن يكون هناك حوار جاد بيننا وبينه يُبنى على التفاهم لتحقيق مصلحة هذه الأمة.

وأعرب عن ترحيب الإخوان بدعوة مبارك لتعديل المادة ٧٦ من الدستور، التي استجاب فيها للنقض المصرى، إلا أنه شدد على ضرورة أن يتبع هذه الخطوة عدة إجراءات لتحقيق الحرية والديمقراطية، يأتى على رأسها: وقف العمل بقانون الطوارئ

والغاء قانون الأحزاب وكافة القوانين الاستثنائية، والإفراج عن كافة المسجونين السياسيين، واحترام الإنسان، موضحاً أن حسم كل هذه القضايا فى يد السيد .

وعن موقف الإخوان من الشروط التى حددها فى خطابه لمن يترشح للرئاسة، قال الأستاذ عاكف: لدى اعتراض كبير على الشروط التى وردت فى خطاب السيد لمجلس الشعب والشورى، والذى يشدد فيه على ضرورة وجود نسبة معينة تؤيد المرشح للرئاسة؛ حيث كان من المفترض أن يترك هذا الأمر لمجلس الشعب .

وعقب التصريحات الصحفية للمرشد أجرى حواراً مطولاً مع قناة الجزيرة، أعلن فيه تأييد الإخوان لترشيح مبارك. وهو الحوار الذى أحدث انشقاقات داخل صفوف الجماعة وصلت إلى حدّ المطالبة بعزله من منصبه، وإعادة انتخاب آخر بدلاً منه .

وهو الانشقاق الذى دعاه إلى تكذيب ما قالته الجزيرة. وأجرى حواراً مطولاً مع "عبدالفتاح عبد المنعم" بجريدة العربى كان نصه كالتالى:

فى زفة الترحيب بمبادرة حول إلغاء المادة "٧٦" خرجت منكم تصريحات حول مبايعة الإخوان للرئيس مبارك فى حالة ترشيح نفسه.. ما حقيقة تلك التصريحات؟

.. أنت تقصد تصريحاتى لقناة الجزيرة.. بداية أنت كنت رافضاً فكرة التصريح لهذه القناة لأنها ليست محايدة فى نقل الحقيقة على عكس ما يدعونه! ورغم ذلك وافقت على الحوار معها بعد أن طمأنونى بأنه سيتم إذاعة كل ما سأقوله فوافقت وجاءت إجابتى واضحة حول قرار بإلغاء المادة "٧٦" حيث رحبت بها ولكنى قلت: "إنها خطوة غير كافية" وإنما لن تؤتى ثمارها إلا إذا اتبعتها خطوات أخرى فلا قيمة لإلغاء المادة "٧٦" دون إلغاء قانون الطوارئ وقانون إنشاء الأحزاب، والإفراج عن جميع السجناء السياسيين، وإلغاء كل القوانين الاستثنائية والمحاكم العسكرية ووقف التعذيب فى أقسام الشرطة.. كل هذه الخطوات أساسية للترحيب الكامل بخطوة .

ولكنكم قلتم أيضاً إنكم تريدون مبارك للرئاسة؟

.. المذيع سألنى: هل من الممكن أن تؤيد مبارك للرئاسة؟ فقلت: ليس عندى مانع ولكن بشرط أن يأتى إلينا ويتحاور معنا .

هل الحوار معكم فقط هو بوابة التأييد لمبارك؟

.. الحوار مهم لمصلحة الأمة، وعندما نتفق فى الحوار على تنفيذ كل ما طالبت به فلا مانع عندى كإخوان مسلمين من أن أؤيد مبارك خصوصاً أنه لا يهمنى الشخص الذى يكون على رأس هذه البلد، وهدفنا إنقاذ الأمة ولا يهمنى الرئاسة ومن يضع يديه فى أيدينا لإنقاذ هذه الأمة فلن نتردد فى تأييده، لهذا فالحوار شرط أساسى فى مبايعة مبارك، فمن الضرورى أن يكون هناك حوار نتفق عليه، أو نختلف عليه المهم أن يكون هناك حوار لأنه سيصل فى النهاية إلى خير هذه الأمة لو أرادوا الإصلاح.

وماذا عن كلامكم حول ضرورة طاعة ولى الأمر؟

.. لم أقل هذا الكلام، بل يجب احترام ولى الأمر، فلا يصح أن أشتم رئيس الدولة باعتباره رمزاً، ورفضت من قاموا بسب مبارك أمام نقابة الصحفيين لأنه لا يليق بأى حال من الأحوال توجيه شتائم للرئيس لأنه تقليل من قدره، فرئيس الجمهورية رمز للأمة علينا احترامه. أما طاعة ولى الأمر لا تجوز إلا لمن يحكم بكتاب الله.

وهل يطبق مبارك كتاب الله؟

.. لا.. فنظام مبارك لا يحكم بكتاب الله طبعاً.

إذن طاعته غير واجبة؟

.. لا.. طاعته واجبة بنص الدستور والطاعة هنا تعنى طاعة القوانين، أى أنها طاعة لفظية فقط فالجماعة هنا تطيع القانون وتحترم الدستور وولى الأمر، الناس يقولون: لا يوجد غير حسنى مبارك فى البلد.. هذا بلاء مبين!! هناك قوانين ودساتير ومؤسسات علينا احترامها وتدعيمها، وإذا كان هناك فساد فعلىنا أن نصلحه.

ولكن تم تفسير احترام ولى الأمر بأنه ولاء لحسنى مبارك الذى رفض الحوار معكم؟

.. شوف.. ليس لنا ولاء إلا لهذا الشعب، أما مبارك بسياسته فتحن نعارضه بشدة وتتعرض الجماعة بسبب هذه المعارضة لعمليات اعتقال وتعذيب ومحاكم عسكرية ورغم ذلك فالإخوان لن يتوانوا فى تبليغ رسالتهم وإعلاء كلمة الله فى كل وقت بقوة لأننا نحمل رسالة حقيقية غير موجودة فى أى مكان آخر.

ما موقفكم من أى شخص آخر يرشح نفسه للرئاسة؟

.. هذا الأمر سابق لأوانه وغير مطروح الآن لأنه ليس محل بحث داخل الجماعة الآن.

هل يعنى تفكير الجماعة ترشيح منافس للرئيس؟

.. من الممكن أن نرشح أحداً ولكن لا أستطيع إعلان ذلك إلا بعد معرفة نتائج

اجتماعات مجلس الشعب وما هو شكل القانون الجديد، وما هى الخطوات الإصلاحية الأخرى التى سيطرحها والتى وعد بها مؤخراً، بعد كل هذا ستقرر الجماعة موقفها.

ما هو منهج الإخوان فى عملية الترشيح؟

.. صالح الأمة.. فلو أن مصلحة الأمة عدم ترشيح الإخوان فى أى انتخابات لن

نرشح، فأنا أنظر أين مصلحة الأمة ثم بعد ذلك أقرر.. وجميع الأنشطة جاءت لخدمة الأمة بمنهج الإخوان المسلمين.

ما هو رأيكم فيمن يطالب بضرورة إلغاء المادة "٧٧" التى تنص على إطلاق مدة بقاء؟

.. هناك ٣٥ مادة يجب تعديلها فى الدستور منها المادة "٧٧" وقد أعلنتها فى مبادرتى

وطالبت بضرورة تعديل الدستور حتى يتوافق مع العصر ويناسب مصلحة الأمة..

فالدستور ليس به سوى المادة الأولى والخاصة بأن افسلام دين تشريع وما عدا ذلك فإن

كل موادها قابلة للتعديل ولكن بشرط أن يتم تعديلها من خلال مجلس شعب محترم، أما

المجلس الحالى فهو مشكوك فيه ولكن للأسف يجب احترامه باعتباره أحد مؤسسات

الدولة، ومن الضرورى أن تكون الانتخابات المقبلة حرة ولن يتحقق ذلك إلا بإلغاء قانون

الطوارئ لأن وجوده لن يُشعر المواطن بحرية كاملة.

ما موقف الجماعة فى انتخابات مجلس الشعب القادمة؟

.. الإخوان مستعدون لخوض أى انتخابات لأن شعارنا خوض أى انتخابات بداية من

الانتخابات الطلابية وحتى الرئاسية أية انتخابات فى مصلحة الأمة سنخوضها بلا تردد

لهذا لم ولن ننسحب من انتخابات مجلس الشعب أو الشورى أو المحليات.. وغيرها.

حتى انتخابات الرئاسة؟

.. نعم، أقول لك إن الانتخابات ستكون لمصلحة الأمة سنخوضها لأننا نعتبر الانتخابات هي الأسلوب العصري لتداول السلطة بطريقة سليمة بشرط أن تكون نزيهة ولكن للأسف النظام الحالى يرفض تداول السلطة وعموماً انتخابات الرئاسة ما زالت بعيدة وعندما تأتى سنقول كلمتنا فى النهاية فلكل حدث حديث.

بصراحة شديدة ما زالت الجماعة غير واضحة فى رفضها لولاية خامسة لمبارك كما فعلت حركات سياسية جديدة ظهرت مؤخراً مثل (كفاية) وما زال ردكم غير واضح فما تعليقكم؟

.. حركة كفاية أعتز بها وأشجعها ولكن لى حسابات غير حسابات "كفاية" أو غيرها.

بمعنى؟

.. أنا أمثل جماعة ضخمة جداً اسمها جماعة (إخوان المسلمين) وعندما أتحرك يبقى لها ألف حساب فالجماعة بدون حركة يتم ضربها والقبض على قيادتها من المنازل ويتم سجنهم وتعذيبهم وقتلهم فما لنا لو تحركت الجماعة ورغم ذلك فإن كل ما يجرى لنا لا يزعج الإخوان، ولن نجبرهم على التراجع حتى لو تم تعلقنا جميعاً على المشانق فالإخوان لديهم هدف ورسالة.

عودة لمبادرة مبارك بتعديل المادة "٧٦" .. ألا تخشون من "ترزية القوانين" من أن يدمروا.

هذه الخطوة؟

.. نعم، هناك ترزية قوانين وتوجد عصابات مسيطرة على الحكم ويشكلون مراكز قوة كثيرة داخل النظام المصرى كل فئة تسعى لمصلحتها؛ ولذا أقول لترزية القوانين اتقوا الله واعملوا لصالح الشعب المصرى فالمناصب زائلة.. ولذا عليكم العمل من أجل الشعب فى كل شئ.

ماذا لو تم استخدامك كـ"محلل" فى انتخابات الرئاسة المقبلة؟

.. لن يجبرنا أحد على دخول الانتخابات الرئاسية إلا بقرار من الجماعة فهناك من يؤكد أن الانتخابات ما هي إلا صورة من صور الاستفتاء، وإن مبارك يعمل لصالح ابنه وإنه يحاول الترويج له عبر الانتخابات وليس الاستفتاء، ولهذا فإن الجماعة لم تعلن حتى الآن موقفها النهائي من انتخابات الرئاسة حيث سأقوم بإصدار بيان لوضع كل آراء الإخوان في عملية الإصلاح والانتخابات.

ما رأيكم فيما يقال حول تمويل أمريكا لبعض الأفراد والتيارات السياسية؟
.. أمريكا تفضح كل من تموله "وبعدين" تستخدم كل من تموله للضغط على الأنظمة، ومن الواضح جداً أنه تم الضغط على النظام المصري في قضية سعد الدين إبراهيم وإيمن نور؛ ولذا فأنا أرفض التمويل الأجنبي، وخاصة الأمريكي منه، ولست مع سعد الدين إبراهيم الذي حصل على أموال من أمريكا.

هل سمعت عن مرشحي الرئاسة المنافسين للرئيس مبارك؟

.. سمعت.. وضحكت خاصة عندما عرفت أن منهم سعد الدين إبراهيم ونوال سعداوى وقلت "ربنا يعافينا".

حوارات وتصريحات المرشد ونفيه تأييد الجماعة لترشيح مبارك لم يكن مع جريدة "العربي الناصري" فقط فقد كان لديه إصرار لتقديم نفيه لكل وسائل الإعلام لذا نجده يعود ويجري حواراً مطولاً مع جريدة الغد، وتحديداً مع "مجدى عبد الرسول"، كى ينفي حدوث انشاقات داخل صفوف الجماعة، وإن الكلام عن المطالبة بإقالته كلام ليس له أساس من الواقع.

حيث جاء نص الحوار كالتالى:

البعض يقول إن لوائح الإخوان مجمدة منذ عام ١٩٢٨ حتى الآن ويطالبون بتعديلها؟
.. ومن أدرهم أننا نقف عند لائحة ١٩٢٨ هم لا يعلمون شيئاً وهذا دليل آخر بأنهم خارج الإخوان وأنهم يمثلون آخرين فنحن نقوم بإدخال التعديلات عندما نرى أن ذلك يخدم مصالح الأمة والجماعة.

وما حقيقة الاتهامات الموجهة من بعض الإخوان للمهندس "أبو العلا ومختار نوح" حسب زعم البيان الذى أصدره بأن ماضى سرق أموال الجماعة؟
.. أنا لا أرى أحداً ولا أتهم أحداً ولا أجامل أحداً على الإطلاق ونحن لا نعلم بهذه الاتهامات ومن وراءها والأسباب التى دفعتمهم لذلك.

ولكن أؤكد لك أن الخلافات بين الجماعة و"أبو العلا" جاءت بسبب قيام حزب الوسط، ولكن كانت وجهة نظر بالنسبة للحزب من جانب الإخوان فالوقت لا يسمح بوجود حزب للإخوان ومع ذلك لا نمانع بقيام ماضى بتأسيسه وإعلانه لحزب الوسط، وطلبنا منه فى حالة رفض الحزب عليه، أى أبو العلا ماضى، ألا يلجأ للقضاء.. وهنا خالف المهندس أبو العلا ماضى قرار مكتب الإرشاد وحدث ما حدث بإعلان خروجه من جماعة الإخوان لأن لم يرتض أن يعمل معنا بالجماعة بصورة محددة.. هو حر.

أما مشروع الأخ الفاضل مختار نوح فكان محجوزاً بجوارى ولكن مختار جمد عضويته بنفسه داخل الإخوان ونحن نعتز به لأنه رجل فاضل وأخ عزيز.

هذه حقيقة الأمور بدلا من الأقاويل التى يحاول الآخرون بها هدم الجماعة.. فهم لا يدرون ولا يعلمون حجم الإخوان وكيفية تصرفاتهم.. البعيدة عن ضرب الآخرين.. بل احترامنا الكامل لكل الآراء.

ما حقيقة الانشاقات داخل صفوف الإخوان المسلمين؟

.. هذه الأقاويل بعيدة عن الحقيقة فهؤلاء أشخاص لم يتدربوا فى صفوف الإخوان

المسلمين؟

.. هذه الأقاويل بعيدة عن الحقيقة فهؤلاء أشخاص لم يتدربوا فى صفوف الإخوان المسلمين وهم يعملون أننا أصحاب خلق ولا أفخر بأننى على رأس هذا النظام.. وعظمة الإخوان بأنهم جماعة مؤسسات وتدار عن طريق إخوة أعتز وأحترق كل صغير وكبير فيها وله مطلق الحرية فى أن يقود مؤسسته فى ظل منهج الجماعة.. وكل شيء.. يدرس فى مكانة وحتى الخلاف يدرس فى مكانة ومؤسسته والقرار شورى والزاعمون بوجود

خلافاً واهمون ولا يدرون بحقيقة جماعة الإخوان المسلمين فنحن جماعة قيم ولسنا جماعة يتصارع أفرادها على إثبات الذات وإنكار وجود الآخرين.

إذن ما الذى دفع مجموعة الـ ١٧ لمعارضة الجماعة والمرشد، فلا يوجد دخان من غير نار؟

.. اسألهم.. هم أعلم بحقيقة دوافعهم فليست لدينا صراعات كما تتوهم هذه المكاتب المتخصصة والمأجورة فعندما يشاهدون عملاً ناجحاً يحاولون الإساءة إليه، ونحن لا نهتم بمثل هذه الأمور ولا أعطيها أى اهتمام فالإخوان لكل منهم دور يقوم به، وفى حدود اختصاصه، فى يسر وسهولة.

ثم إذا كانت لهؤلاء مطالب لماذا لم يحضروا إلينا، إذا كانوا حقاً محسوبين على الإخوان.. فالباب مفتوح.. فهناك نائب المرشد الدكتور محمد حبيب والمهندس خيرت الشاطر فهل هما متشددان.. أرى أنها مجموعة لا تريد غير مهاجمة الإخوان بعد أن أصبحنا نزل الشارع مؤخراً.

ولكن البعض توهم أن هناك آراء متعددة وخلافات موجودة وتضارباً فى التصريحات ومحاولات القفز على منصب المرشد هذه الكلمات التى لا أساس لها من الصحة.

دعا الإخوان إلى تحالف القوى والأحزاب السياسية معها ما هى النتائج التى تحققت؟ .. هذه الاجتماعات طالبت وسوف تستمر فى المطالبة بإطلاق الحريات وإطلاق سراح المعتقلين جميعاً وحرية إنشاء الأحزاب وإصدار الصحف وهى نفس المطالب لكل الأحزاب صغيرها وكبيرها.

.. عندما تبدأ الدولة فى الإصلاح السياسى ب، فإذا توافرت الشروط النزيهة للانتخابات بالتأكيد وضع الرئاسة سيتغير.

إذن أنت مع رئاسة "مبارك" وإعادة انتخابه؟

.. أنا رجل عريض المنشأ وتاريخى كإخوانى ممتد لأكثر من ٨٠ عاماً ورجالى يحملون هذا المنهج، والتاريخ يقدر احترامى لسياسة ورأى الغير.. بقدر أن احترم سياستى ومنهجى فأنا لا أتأثر بغيرى.. ولكن أنظر إلى مصلحة البلاد وأسعى إلى تحقيق آمالها

وهى إقامة الحريات فهى ألف باء حرية التى تعنى التغيير فى مفهومك أنت والآخريين،
وأى جماعة كبيرة أو صغيرة أو فيصل أو حزب سياسى يسعى لتحقيق ذلك فأنا معه.

هل تنفيذ سياسات مبارك وراء تراجع السياسة المصرية؟

.. فرد من الأفراد وهو يستطيع أن ينهض بالأمّة إذا استعان بالحرية.. ولكن بوجود
العقول المتخلفة التى أنشئت فى ظل الاستبداد فلن يستطيع الشعب أن يغير شيئاً
عاجلاً.. ولكن إذا كانت هناك عقول متفتحة مع نبض الشعب فإن التغيير سيكون أكيداً..

هل ترى أن النظام مع الشعب؟

.. النظام فى وادٍ والشعب فى وادٍ آخر، والدليل مهزلة المادة "٧٦" وغيرها من القوانين
التى أقرها المجلس أخيراً، بالإضافة إلى قانون مباشرة الحقوق السياسية.. والمادة "٧٦"
ردتها المحكمة الدستورية العليا، كل هذه الأمور تدل على أن النظام فى وادٍ آخر وبعيد
عن الشعب ومطالبه.

لقد خرجت المظاهرات تعارض المادة "٧٦" والاستفتاء ولا تزال هذه المظاهرات، أين
الإخوان منها والتى ينظر إليها الشارع المصرى بأن الإخوان "طوق نجاة"؟

.. اعلم يا بنى أن هناك أمانة ملقاة على عاتقنا وهى أمانة يتحملها الإخوان بعون
الله.. والشعب يضع آمالاً عريضة على تحرك الإخوان بهدف التغيير، ولكن نحن فى ذات
الوقت نريد تحقيق مطالب الشعب برصانة بعيداً عن الفوضى التى تريدها أمريكا.

الإخوان قادرين على حشد مظاهرات ضخمة تملأ الشوارع.. ولكن نريد أن نحافظ
على مؤسسات هذه الدولة بقدر ما نستطيع برغم ما فيها من فساد الذى يجب علينا
إصلاحه وليس تدميره فنحن ننظم المظاهرات مرة ونقوم بعقد الندوات والمؤتمرات مرات
ومرات.. ونبدل كل ما نستطيع ولا نجد حرجاً فى هذا. وحينما لا نجد مخرجاً.. إلا الكى
بالنار سوف نضطر إلى التصعيد ولدينا المزيد.

إذن أنتم تصعدون الموقف مع الأمن مما يؤدى إلى وضع آلاف أخرى فى المعتقلات؟
هذه هى التوضيحات التى أتكلم عنها ونحن مستعدون لمزيد من التوضيحات، إذا كانت
النتائج فى صالح الأمّة التى لا نبخل عليها بشيء وأهمها الرجال والأرواح.

لقد قدمنا ثلاثة آلاف معتقل وشهيد وعدداً من المصابين وهذه الحملات لا تخيفنا أو ترهبنا أو تجعلنا نتراجع ولكن هناك أموراً وحسابات وتقييماً لكل مرحلة نخوضها فالعمل لدينا منهج وليس عشوائياً .

إذن صحيح أن الثلاثة آلاف معتقل جعلت الإخوان يعيدون حساباتهم؟

.. هذا غير صحيح ونحن لدينا خطة نعمل بها وهذه الخطة وضعت منذ زمن بعيد ونسير عليها الآن ولكن وفق ما تتطلبه كل مرحلة فلدينا وسائل أخرى لم نستخدمها من الممكن ألا تكون المظاهرات.

هل من الممكن أن تكشف عن هذه الخطط "أم أنها سرية"؟

.. لن تكشف عنها إلا فى حينها .. ولكن كل شىء يأتى فى وقته وحينه .. وحتى الآن لم يأت موعده بعد .

لقد ذكرت أن هناك سيناريو الفوضى والكل يتخوف من هذا السيناريو الذى سيضرب بأمن البلاد القومى؟

.. سمعت من مندوب إحدى الوكالات الأجنبية أن عماد الدين فى محطة أوربت ذكر بأن هناك محاولة لاغتيالى عند صلاة الفجر حتى تعم البلاد الفوضى ومن هنا يأتى التدخل الأجنبى وتحديداً الأمريكى وإننا كإخوان مسلمين لا نخشى أو نهاب الموت وإننا ضد الفوضى وضد أى عمل يقوم به الأجانب للتدخل فى الشؤون المصرية .

هل تطبيق سيناريو الفوضى يبدأ من الاغتيالات وما هو المقصود من وضعك على قائمة الاغتيالات؟

.. هذا كلام يصب فى مصلحة النظام .. والعالم كله يعلم والنظام معهم من هم الإخوان المسلمون وكيف نتعامل مع الأجانب والأمريكان بالتحديد والاتحاد الأوروبى فهذا الموقف الرافض من جانبنا شرف لكل المصريين .

هل الإخوان فرضوا توصيتهم على التحالف الوطنى؟

.. غير صحيح والدليل حضور أكثر ١٥٠٠ من كل التيارات مثل الدكتور يحيى الجمل والدكتور عاطف البنا والدكتور عبد الحليم قنديل ورفيق حبيب وضياء رشوان وحمددين

صباحى وغيرهم ممن لا تسعفنى الذاكرة، ولم يقل أحد من الحضور إن الإخوان سيسيطرون على التحالف.. وبالعكس.. أقاموا ثلا ثورش عمل وإلقاء بيان رفضنا إذاعته فى حينه وأجلناه لليوم التالى، حتى تعلنه الأمانة العامة للتحالف.

متى نرى حزباً للإخوان المسلمين؟

.. عندما تستقيم الأمور وتسمح سنعلن عن الحزب وذلك بعد ذهاب وجلاء شئون الأحزاب فهى لجنة دستورية، وبالتالي كيف أذهب إليها لإعلان حزبى السياسى فيجب إلغاء هذه اللجنة.. ثم إن القانون الحالى لمباشرة الحقوق السياسية أشد من القانون السابق وفى حالة إعلاننا عن الحزب نرفض فيه أى تدخلات من أى لجنة باستثناء الدستور والمقومات الأساسية للمجتمع التى ذكرتها.. فإذا كان حزب الإخوان يتعارض معها فالقضاء هنا هو الفيصل.

طلبت أكثر من مرة مقابلة مبارك فلماذا يرفض لقاءك؟

.. ضحك بصوت عالٍ واستراح قليلاً على مقعده.. ثم أجاب بحزم ووجه عابس: مبارك يتقابل مع شارون وبيريز وشالوم ويرفض لقاء الإخوان ولقاء مهدى عاكف، فأنا لا أبغى مصلحة خاصة من لقاءه أو اضع أملاً أو حتى يفرض علىّ شيئاً ولكن لقاءى كان لإبداء النصيحة لوجه الله تعالى..

هل رسالة الأمن وصلت للإخوان؟

.. وصلت طبعاً والثلاثة آلاف معتقل كانوا بيعلموا بيها.

.. إن شاء الله عنها ما وصلت فالمظاهرات عندنا ليست غاية ولكن وسيلة إعلام حتى نقول للناس أننا نعترض لما حدث على المادة "٧٦".

* * *

فى أول مايو بدأت وزارة الداخلية المصرية وبعض الشخصيات البرلمانية المنتمية للحزب الوطنى مفاوضات جادة وشاقة مع قيادات جماعة الإخوان المسلمين للوصول إلى

اتفاقية بمقتضاها لا تخرج إلى الجماعة في مظاهرات ومسيرات في شوارع وميادين القاهرة والمحافظات، تندد فيها بالتعديلات التي أدخلت على الدستور وتحديداً المادة "٧٦" والتي سمحت بإجراء انتخابات الرئاسة بين عدد من المرشحين بشروط تعجيزية، بالإضافة إلى التعديلات التي أدخلت على قوانين ممارسة الحقوق السياسية. وهي التعديلات التي رفضتها كل القوى الوطنية.

المفاوضات والاتصالات بين أجهزة الأمن وقيادات الإخوان باءت بالفشل ودخل الطرفان في استعراض لاستخدام القوة.

الإخوان من جانبهم أعلنوا عقب فشل المفاوضات بأنهم لن يتنازلوا عن حشد عشرة آلاف من أعضائهم أمام مجلس الشعب للمطالبة بتغيير الدستور وإحداث تعديلات تشريعية معتبرين أن هذا الرقم هو التجمع الرمزي الذي يمكن أن يعبر عن رسالة الجماعة وهو الأمر الذي اعتبرته أجهزة الأمن محاولة مرفوضة لاستعراض القوة، على اعتبار أن قوى المعارضة الأخرى التي أقدمت على المظاهرات لم تحشد في أي مرة أكثر من ألف متظاهر. وعلى الفور بدأت مباحث أمن الدولة في التعامل مع الموقف بجديّة ولكن بالتدرّج فبدأت في اعتقال قادة الأفرع من جماعة الإخوان في كافة المحافظات من القاهرة إلى أسوان، حيث تم اعتقال خمسين من قادة الجماعة منهم عصم العريان ومحمود عزت وعبد المنعم أبو الفتوح وذلك اعتقاداً منهم أن القبض على هؤلاء القادة سوف يصيب الجماعة بالشلل ويتم التراجع عن فكرة الخروج في مسيرة.

الإخوان من جانبهم ردوا على المخطط الأمني بمخطط آخر أصاب الأمن بالشلل والحيرة، وأجبر الأمن على الانتقال من موقع لآخر لمتابعة تحركات الجماعة في قلب القاهرة والمحافظات. حيث استخدم الإخوان طريقة جديدة للهروب وذلك بعدم الإعلان عن موعد التظاهرات ووسعوا من أماكن تجمع ناشطي الجماعة في وسط القاهرة والفيوم والزقازيق وكفر الشيخ.

حتى فوجئ الأمن يوم ٥ مايو ٢٠٠٥ بحوالي ٣ آلاف من جماعة الإخوان أمام مسجد الفتح بميدان رمسيس أكبر وأشهر ميادين القاهرة.



القرضاوى داخل مكتب الإرشاد أثناء أزمة حزب الوسط ورفض الجماعة
لتأسيس حزب فى منتصف التسعينيات



مظاهرة إخوانية بميدان رمسيس

وأمسك "عبد المنعم أبو الفتوح" والذي كانت قوات الأمن قد أفرجت عنه الميكروفون وسط حالة من الصمت والهدوء داخل ساحة المسجد، وألقى كلمة قال فيها: "تحيا مصر.. الحرية لمصر.. الحرية للشعب المصرى.. نعم لتقديس شريعتنا الإسلامية لا للطوارئ لا للقمع.. نعم لمصر.. لا للفساد لا لنهب البنوك.. لا للاستبداد.. نعم للحرية للانتخابات المزورة.. نعم لشريعتنا الإسلامية.. لا لاستفراد حزب بالحكم لا لانفراد شخص بالحكم.. نعم لحكم مصر ديمقراطيًا نعم للمواطنة.. لتحيا مصر عربية إسلامية".

وبمجرد الانتهاء من كلمته بدأت الهتافات الإخوانية وبدأت العناصر تهتف مرردة "احنا مين احنا مين.. احنا الإخوان المسلمين.. احنا مين احنا مين.. احنا كل المصريين.. مطالبنا هيه هيه الدستور والشريعة.. يا أهلينا انضموا معنا.. نرفع صوتنا علشان مولانا.. الإصلاح الجذرى منانا.. لا أهداف شخصية وانا..".

ومع الهتافات التهب مشاعر وحواس المشاركين وبدأت الدائرة تتسع، وبدأ الأمن - مضطرباً. فى فتح الشوارع الجانبية وأبواب ساحة المسجد الخلفية بعد أن أصيبت الحياة ووسط القاهرة بالشلل التام بعد أن أجبر الأمن العديد من الهيئات الحكومية فى وسط القاهرة إلى تعطيل العمل وإغلاق العديد من المحلات وتغيير خطط السير المرورية.

ورغم كل هذه الإجراءات والاحتجاجات إلا أن الأمور كعادتها خرجت من تحت السيطرة وقامت قوات الأمن باعتقال "١٠٠٠" متظاهر فى القاهرة والمحافظات الأخرى بعد استخدامها للقنابل المسيلة للدموع والعصى وطلقات الصوت.

واضطرت وزارة الداخلية إلى إصدار بيان بثته وكالة أنباء الشرق الأوسط ووزع على كافة وسائل الإعلام والمراسلين الأجانب، جاء فيه: "إن المعتقلين أصروا على التجمع والتظاهر على نحو يخل بمقومات الأمن التى فرضت حظر أى مسيرات دون موافقة مسبقة الأمر الذى استوجب اتخاذ الإجراءات القانونية والأمنية الحازمة ضدهم.. ومما يؤكد جنوح العناصر التى تم ضبطها إلى الإثارة والتحريض وتكدير الأمن العام وإهدار مصالح المواطنين هو أن عناصر أخرى من ذات التحرك الإخوانى لم يتخذ ضدها أى

إجراء أمنى لاستجابتها للتحذير وانصرافها". وفى السياق ذاته كانت نيابة أمن الدولة قد بدأت تحقيقاتها فى ست محافظات مع العناصر الإخوانية التى تم القبض عليها، وأكد نائب المرشد العام محمد السيد حبيب أن عدد المعتقلين من الإخوان بلغ "٢٦٥١". فى الوقت الذى استمعت فيه النيابة إلى أقوال "٢١" من رجال الأمن أصيبوا فى المظاهرات.

المظاهرة السابقة كانت يوم الأربعاء، وبعد يومين وتحديداً يوم الجمعة وعقب الانتهاء من الصلاة خرجت مظاهرات من جماعة الإخوان بنفس الطريقة وفى محافظات غير التى اندلعت فيها مظاهرات يوم الأربعاء وتعامل الأمن بنفس الطريقة: خراطيم المياه والقنابل المسيلة للدموع والعصى لتفريق المتظاهرين والقبض على من يقع منهم فى يد قوات مكافحة الشغب والعناصر المتخفية فى ملابس مدنية.

إلا أن مظاهرة يوم الجمعة اختلفت عن مظاهرة يوم الأربعاء فى أنها شهدت تصعيداً من جانب الإخوان رداً على التشدد الأمنى بعد أن لوح المرشد العام للإخوان "مهدي عاكف" بإعلان حالة العصيان المدنى قائلاً: "إذا كان يحقق الحرية للشعب"، وأشار إلى أن حالة الانسداد السياسى التى تعيشها مصر قد أدت إلى التخلف العلمى والتقنى والحضارة وتسببت فى الأزمات الاقتصادية الخانقة وتهميش الدور الاستراتيجى والمحورى لمصر.

كما صدر بيان من الجماعة أعلنت فيه رفضها للممارسات الأمنية والسياسية محذرين من الخطر الدايم والغليان الشديد فى الداخل، ومعلنين فى الوقت ذاته استمرارهم فى القيام بواجباتهم الشرعية والوطنية مؤكدين على المطالبة بحقوق الشعب بكل الوسائل السلمية والحضارية وعبر القنوات والتضحيات.

الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل قرر الإخوان الاستفادة من الموقف وتعرية ممارسات الأمن ونقل الفضيحة والتجاوزات من الشارع والإطار المحلى إلى الخارج وعبر الفضائيات ومن حوارات المقاهى إلى مجلس الشعب.

وكان المرشد هو أول من أطلق القذيفة فى وجه النظام وعبر قناة الجزيرة حيث اتهم الأمن بتعامله مع الإخوان بأسلوب يتناقض صراحة مع كل الادعاءات التى يروج لها

النظام حول الإصلاح السياسى وقال: لقد تقدمنا بمبادرة للإصلاح وطلبنا منهم التفاهم ولكنهم بهذا الأسلوب يهدمون كل شىء، وأضاف: إن الإخوان تعودوا على مثل هذه الإجراءات منذ سنوات وإن الشعوب باقية والنظم ستنتهى، والإخوان باقون رغم الاضطهاد الذى يتعرضون له منذ أكثر من ٥٠ عاماً لأنها جماعة تقوم على مبادئ وقيم ولن تُغير استراتيجيتها.

وختم تصريحه مؤكداً أن "التصعيد الأمنى ضد الإخوان رسالة لا تخدم إلا المصالح الأمريكية والصهيونية ولا تصب فى مصالح مصر".

ومن تصريحات المرشد وقيادات الإخوان للفضائيات إلى نقل القضية من الشارع إلى مجلس الشعب. حيث تقدم نواب الكتلة البرلمانية للإخوان، وفى مقدمتهم الدكتور محمد مرسى رئيس الكتلة ومعه الدكتور حمدى حسن والنواب حسين محمد العزاوى وعلى لبن ومصطفى محمد وأكرم الشاعر وعلى فتح الباب ومحفوظ حلمى والسيد حزين، بيانات عاجلة للدكتور فتحى سرور رئيس البرلمان حول تجاوزات الشرطة مع المتظاهرين لمناقشتها مساء الأحد ٢٠٠٥/٥/٨ بحضور مندوب عن وزارة الداخلية.

وقد أكد الدكتور مرسى فى بيانه العاجل أن ما تقوم به قوات الأمن تجاه المتظاهرين إنما يمثل تحدياً لكل دعاوى الإصلاح التى ترددها الحكومة، خاصة وأنهم تظاهروا بشكل سلمى ولم يخالفوا القانون والدستور، وأشار مرسى إلى أن التطور الذى حدث وهو مقتل أحد المواطنين نتيجة تعرضه للاعتداء بالضرب من قوات الأمن وتعرضه للاختناق، طبقاً لما أكدته التقرير المبدئى للنياحة العامة، يُشكّل منحنى جديداً فى دور قوات الأمن فى حفظ الأمن والنظام، وطالب مرسى بمحاسبة المسؤولين عن هذه الكارثة لأنها تؤدى إلى زيادة حالة الاحتقان وسط الجماهير.

وفى بيانه العاجل أكد النائب محمد العزاوى أن قيام قوات الأمن بالاعتداء على المواطنين ومنعهم من التظاهر السلمى بطريقة سليمة متحضرة للتعبير عن وجهة نظرهم فى القضايا السياسية المطروحة، وقيام قوات الأمن باعتقال المئات من المواطنين فى عدد من المحافظات، والاعتداء على أحدهم بالضرب حتى فارق الحياة إنما يمثل خطورة على الأوضاع فى مصر ويستلزم محاسبة المسؤولين عن هذا التصعيد.

وهو ما أكده أيضاً النائب مصطفى محمد مصطفى الذى أكد أنه فى الوقت الذى تتطلع فيه جماهير الشعب المصرية للحرية والإصلاح السياسى، وفى الوقت الذى ينظر العالم فيه من حولنا ويترقب إلى ما يسفر عنه الحراك السياسى فى الشارع المصرى فوجئنا بقوات الأمن تتدخل لمنع الجماهير من التظاهر السلمى للتعبير عن وجهة نظرهم وإبداء رأيهم بطريقة سليمة وحضارية فى القضايا الوطنية والقومية المطروحة على الساحة السياسية، وقامت قوات الأمن باعتقال أعداد كمبيرة جداً فى عدد من المحافظات تجاوز الألف معتقل، كما قامت قوات الأمن بالاعتداء على أحد المواطنين بالضرب حتى أدى إلى وفاته، وهو الأمر الذى يسئ إلى سمعة مصر فى الخارج ويهدد المصريين فى الداخل.

وهو نفس ما أشار إليه الدكتور حمدي حسن فى بيانه العاجل، والذى قال: إن تعسف الشرطة فى استخدام العنف ضد المتظاهرين لم يقف عند حد استخدام العِصِيّ أو التفريق بالقوة، بل تجاوزه إلى وجود قتلى، وهو ما حدث مع المواطن الشهيد طارق غنام الذى لقى حتفه على يد رجال الشرطة الذين استخدموا القنابل المسيلة للدموع، وضربوا المتظاهرين دون مراعاة حقوق المواطنة.

وبوصول القضية إلى مجلس الشعب ومناقشتها داخل لجان المجلس تكون الرسالة الإخوانية قد وصلت إلى السلطة، وعلى الفور بدأت السلطة وقيادات الأمن دراسة الرسالة وكانت النتيجة حالة من الهدوء بين الطرفين وهدنة كان ثمرتها الإفراج عن العناصر التى قبض عليها، بما فيها القيادات التى اعتقلت وكان أشهرهم الرجل الثانى فى التنظيم الدكتور "محمود عزت" والذى أدلى بحوار مطول مع جريدة آفاق عربية لخص بين السطور التى نشرت كل شىء خاصة عندما سُئِلَ السؤال التالى:

فسر البعض الإفراج عنكم على أنه قرار من النظام يأتى فى إطار صفقة بين الإخوان والنظام تقضى بدعوة الطرف الأول للمشاركة فى الانتخابات الرئاسية مقابل إفراج الطرف الثانى عن معتقلي الإخوان فما رأيك؟

.. الصفقة الوحيدة التي عقدتها مع الله اللعب ما بين مباركه الأمريكان لصفقه مبارك وشارون ونفى الأخوان لوجود صفقه مع مبارك انطلقت فى مصر اكبر حملة دعاية لتزييف وتغييب الوعى والتي بدأت إرهاباتها الأولى مع نجاح مبارك فى الحصول على ضمانات وتأكيدات بعدم تدخل الأمريكان لفرض نوع محدد من الإصلاح السياسى وقتها أعلن الرجل على إدخال تعديل دستورى بإجراء انتخابات رئاسية تعدديه مصحوبة بزفة إعلامية تسبقها تأكيدات على أن الخطوة المباركية تعد الأولى فى تاريخ مصر ولتفتح لحاله فريدة وغير مسبوقه من الحراك السياسى خاصة وأنها جاءت بعد مشاورات واستطلاعات للرأى بين النخبة السياسية وممثلى المجتمع المدنى حول الأسلوب الأمثل لصياغة التعديل الدستورى وترجمه المبادرة التاريخية لمبارك.

مبادره مبارك تعامل معها الشارع بنوع من الاستهتار وعدم الاهتمام وأنقسمت حولها الأحزاب ما بين رافض للفكر من أساسها وما بين طامع فى الحصول على النصف مليون جنيه التى صرفت لممثلى الأحزاب والذين قبلوا أن يلعبوا دور المحلل.

أما الفريق الأخر فهو الذى تعامل مع المسألة بجديه وهم أيمن نور رئيس حزب الغد والذى كان قد حصل على وعود وضمانات أمريكية بإمكانية قبوله كرئيس مدنى لمصر بالإضافة إلى الدكتور نعمان جمعه رئيس حزب الوفد والذى أصاب الشارع المصرى بحاله من الذهول والاستغراب والدهشة لقبوله لفكرة الترشيح فى الانتخابات من أساسه.

المهم انطلقت الحملات الانتخابية لكل المرشحين وسمح التليفزيون لقاده الأحزاب بالظهور وإعلان برامجهم الانتخابية بل أن مبارك نفسه سمح للصحف القومية بنشر حملات الدعاية لمنافسيه بما فيها من تجاوزات وتعامل مبارك مع المسألة بنوع من الجدية وأختار لحملة الانتخابية نخبه من أساتذة فنون الدعاية والإعلان والذين تعاملوا مع بمنهج نجوم السينما الأمريكية فخلع الرجل رباط العنق وجلس على الأرض مع الفلاحين وتبادل القفشات مع العمال بالمصانع وداعب طلاب الجامعات ومع كل تحرك كانت الفضائيات تتحرك معه والصحف تنشر صورته وفى المقابل أنشغل منافسيه فى الحج لمكتب الإرشاد التابع للإخوان المسلمين وهو المكتب الذى أستقبل كل المرشحين

والذين ذهبوا على أمل الحصول على وعود لدعمهم فى العملية الانتخابية وللحق فإن كافة المرشحين عجزوا فى انتزاع وعد أخوانى بالدعم.

وهو الأمر الذى كان محل حيرة ودهشة كافة المراقبين عن أسباب رفض الإخوان دعم أى مرشح سواء الوفد برئاسة الدكتور نعمان جمعه والغد برئاسة أيمن نور.

وإلا أن الحيرة والاندھاش من موقف الإخوان فى الانتخابات الرئاسية سرعان ما تبدد وأنكشف مع أنتهاء عملية الانتخابات وحصول مبارك على نصيب الأسد من الأصوات بنسبه لا تقارن مع أقرب منافسيه أيمن نور الذى سرعان ما بدأ يدخل فى مرحلة العد التنازلى جزاء جرأته وتجاوزاته أثناء الانتخابات.

أنتهى العرض المسرحى وأسدل الستار ودخلت مصر فى مرحلة ما بعد انتخابات الرئاسة وما قبل انتخابات مجلس الشعب وكانت كل الأجواء تؤكد أن هناك شىء مريب وغريب يتم الإعداد والاستعداد له سواء خلف جدران الحزب الوطنى وكذلك داخل أروقة مكتب الإرشاد الإخوانى وسرعان ما تبددت هذه الريبة مع أنتهاء الجولة الأولى والثانية من الانتخابات والتي شهدت سقوط رموز الحزب الوطنى والقوى الوطنية أمام العناصر الإخوانية والذين نجحوا مع أنتهاء المرحلة الثالثة فى الحصول على ٢٠% من مقاعد مجلس الشعب وهو الأمر الذى قلب كافة الموازين وأثار التساؤلات عن المعايير والقواعد التى حكمت العملية الانتخابية خاصة فى ظل كشف وتسرب المعلومات عن إخلاء دوائر بالكامل لبعض رموز الحزب الوطنى فى مقابل إخلاء دوائر بالمقابل لعناصر جماعة الإخوان بالإضافة إلى السماح بحدوث تزوير وغلق صناديق انتخابية واسقاط رموز إخوانيه رغم ثبوت عمليات التزوير كان الإخوان يلتزمون الصمت.

الشكل الذى أنتهت إليه العملية الانتخابية وحصول الأخوان على ٢٠% من مقاعد مجلس الشعب واستبعاد الأقباط وخروج بعض وزراء وقيادات الحزب الوطنى صفر

اليدين كان محل اهتمامات كل الصحف العالمية والمحطات الفضائية فعلى سبيل المثال فى افتتاحية عنوانها "إعطاء الشرعية للإخوان المسلمين" كتبت كريستيان ساينس مونيتور:

بينما يفتح نظام مصر الاستبدادى الباب أمام الديمقراطية الحقيقية، هل يجب أن يدخل الإخوان المسلمون وهى جماعة اجتماعية سياسية ذات شعبية تريد الحكم بالشرعية الإسلامية؟ الجماعة تطالب بأن تكون حزبا سياسيا قانونيا لكن ذلك يمثل مخاطرة فى دفع الدول العربية نحو الديمقراطية.

من الواضح حتى الآن أن نظرية دومينو الديمقراطية كما قدمت إلى الشرق الأوسط حافلة بالتعقيدات. فتشجيع انتخابات نزيهة ومفتوحة على سبيل المقال يفتح الطريق أمام المنظمات الإسلامية المزعجة أيضاً للاندفاع إلى المشاركة - فى الانتخابات البرلمانية فى مصر هذا الشهر وفى العراق الشهر القادم وفى الأراضى الفلسطينية فى يناير المقبل.

فى مصر تكمن خطورة الإخوان المسلمين فيما إذا حصلوا على قوة كافية حيث يخشى البعض من أنهم يمكن أن يطيحوا بالدولة العلمانية، مثلما حدث فى إيران وعلى الرغم من أن الإخوان نبذوا العنف منذ عهد بعيد، ويعرفون أنفسهم كمعتدلين، ويقولون إنهم يحترمون صندوق الاقتراع، إلا أنهم يؤيدون تطبيق الشريعة الإسلامية أيضاً.

و حسنى مبارك، وهو عسكري سابق يحكم منذ ٢٤ سنة، تسامح مع الإخوان فى السنوات الأخيرة بسبب شعبيتها الكبيرة لكنه يحذر من تهديدهم الأصولى، وعندما فتحت مصر الانتخابات الرئاسية بشكل حذر أمام عدة مرشحين فى سبتمبر، استبعدت الإخوان وفى المرحلة الثانية من الانتخابات البرلمانية وبعد أن حصل الإخوان المستقون على مكاسب كبيرة فى المرحلة الأولى ضرب بلطجية الحكومة أنصار الإخوان، وقتلوا أحدهم واعتقل مئات من أنصار الجماعة أيضاً وحتى الآن فاز الإخوان المستقلون ب٤٢ مقعداً، مقارنة ب١٥ فى الانتخابات السابقة.

إن مسألة إعطاء المشروعية حساسة جداً لدرجة أن وزير الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس حثت مبارك على فتح العملية السياسية، لم تعلن موقفها منها ودبلوماسياً تقول إن ذلك قرار يخص مصر.

لكن الوزيرة نفسها تحذر ومعها حق، من أن الوضع الراهن فى الشرق الأوسط خطر أيضاً، ومن غير المحتمل أن يظل كما هو فى مقابلة مع مجلس تحرير شبكة فوكس نيوز فى سبتمبر أعلنت أن المخاوف من الإخوان المسلمين مبالغ فيها ورأت أن إبقاء الوضع الراهن يقدم أرضاً خصبة للمتطرفين.

وبينما يدرس مبارك موقفه من الإخوان المسلمين ربما يتذكر أن الأحزاب السياسية فى ظل الديمقراطية الحقيقية، لا تستطيع البقاء دون تأييد الرأى العام وف ضوء النهار الساطع، ربما لا يتعاطف الشعب مع وجهات نظر الإخوان المسلمين والأساليب الاستبدادية.

أفضل طريقة لطمأنة زعماء مثل مبارك فى مواجهة صعود الجماعات المقلقة هى أن يشكل حكومة نظيفة ويتبع سياسة فعالة يريدها الشعب وبدلاً من أن يقلق كثيراً من معارضيه، عليه أن يلقي نظرة متفحصة لأدائه السياسى.

* * *

وفى اتجاه مشابه تنشر شبكة إيه. بي. سى. نيوز الإخبارية تقريراً كتبه دان ميرفى عنوانه "فى مصر.. الإسلاميون يعتقلون لكنهم يكسبون المقاعد" يقول فيه:

بعد النجاح غير المسبوق للإخوان المسلمين فى الدورة الأولى، بدأت فرص نظام حسنى مبارك فى الحصول على مقاعد فى الدورة الثانية محدودة جداً وانتشر بلطجية الحزب الحاكم حول مراكز الاقتراع وقام الحزب الحاكم بحشد "ناخبين" فى أتوبيسات ينقلهم إلى الدوائر الانتخابية التى تشهد منافسة شديدة وبعد أن أطلق سراح نشطاء الإخوان المسلمين من السجون قبل الدورة الأولى من التصويت فى القاهرة اعتقلت الحكومة نحو ٤٠٠ قبيل الدورة الثانية، مدعية على لسان المتحدث باسم وزراء داخليتها أن "السبب هو مؤامرة دبرها أنصار المرشحين الإسلاميين".

وتؤكد قوة الإخوان (شعارهم "الإسلام هو الحل") تحذيرات أساتذة العلوم السياسية الذين توقعوا أن رقابة النظام الصارمة على الأحزاب السياسية الرسمية والتي اقترنت

بقدرة الإخوان على تجاوز القيود المفروضة عليها عن طريق المساجد والجمعيات الخيرية ستجعل المعارضة الإسلامية هي البديل السياسى الوحيد الفعال فى نظر الناخبين وفى مثل هذه البيئة ليس مت المفاجئ أن يكون الإسلاميون هم المعارضة ية فليدهم شبكة واسعة ليس فقط فى المساجد ولكن فى العيادات والمدارس الخاصة، وهم أقوىاء جدا فى الجامعات المصرية ولكن هناك من يرى أن نجاح الإخوان المسلمين هو نجاح للمعارضة ككل وانعكاس لغضب ملايين المصريين تجاه السياسات الاجتماعية والاقتصادية للحزب الحاكم.

وعن أداء جماعة الإخوان المسلمين رغم حدوث مخالفات بالجملة فى الانتخابات نقرأ لوليام والاس فى فاينانشيال تايمز البريطانية تحت عنوان "مخالفات على نطاق واسع فى الانتخابات المصرية":

وكانت التوجهات الخاطئة للسياسة المصرية أكثر وضوحا فى ظل التحدى الكبير الذى يواجهه الحزب الوطنى الديمقراطى من مرشحين مستقلين تحالفوا مع حركة الإخوان المسلمين أكبر قوة معارضة فى مصر وأفضها تنظيميا.

وعلى الرغم من أنها جماعة محظورة، استطاعت جماعة الإخوان المسلمين أن تقوم بحملة انتخابية بحرية للمرة الأولى وساعدت الناخبين باستخدام أجهزة كمبيوتر أمام اللجان الانتخابية فى البحث عن أماكن اقتراعهم فى سجلات الناخبين غير السليمة.

وساعد الإخوان على تحقيق ذلك الإصرار والتخطيط الدقيق وتمتعهم بمصادر مالية ولوجيساية كبيرة حيث وفروا مصادر غير محدودة فى هذه الانتخابات بينما لم تستطع أحزاب معارضة أخرى حشد الشباب مثلما فعلت جماعة الإخوان المسلمين التى يمثل الشباب إحدى قواها الأساسية.

وعن سير العملية الانتخابية كتب مايكل سلاكمان فى نيويورك تايمز الأمريكية عما يسميه "العادات السيئة.. ما زالت كما هى فى الانتخابات" يقول:

أفضل النوايا الحسنة لا تستطيع أن تغير الثقافة السياسى المصرية، حيث الرشوة وترويع الناخبين كانت على مدى سنوات جزءاً أساسياً فى العديد من الحملات السياسية مثلها مقل الشعارات واللوحات الدعائية حتى إن أى مراقب عادى يسير داخل المراكز الانتخابية فى القاهرة يمكنه أن يرى المخالفات على سبيل المثال، مسئولون حزيون يدفعون الناخبين لاختيار مرشحين معينين.

ويقول مسئولون حكوميون إنه فى ظل مزيد من التدقيق والمتابعة الدولية عن المعتاد سابقا يتصور الحزب الحاكم أن بإمكانه الاحتفاظ بالسلطة وتحقيق مصداقية أكبر بدون أن يلجأ إلى تكتيكات القبضة الثقيلة التى استخدمت فى الماضى.

ولكن فى الانتخابات الرئاسية فى سبتمبر، ومرة أخرى فى الانتخابات البرلمانية، لم تنفذ هذه الرسالة دائماً وتحدث مراقبو الانتخابات عن مخالفات فى القاهرة من بينها اتهامات بأن الناخبين الذين يؤيدون مرشحي المعارضة تعرضوا للضرب والاعتداء أحيانا وحتى المراقبين أنفسهم تعرضوا للضرب.

مثلا يفترض أن إدارة الحملة الانتخابية تتوقف يوم الانتخابات لكن السير داخل المراكز الانتخابية تضمن التعرض لهجوم من أنصار الحزب الحاكم وفى العديد من الأماكن كانت هناك مكبرات صوت ضخمة وتوزيع للشعارات بينما يحاول الناخبون شق طريقهم. وضباط الشرطة النظامية والمدنية كانوا فى الغالب لا يتدخلون والمرشحون وأنصارهم من أحزاب مختلفة كانوا يحشدون الناخبين فى أتوبيسات وسيارات إلى مراكز لتصويت ويقودونهم أحيانا إلى داخل المراكز ويأمرونهم بالتصويت لصالح من يحدونه وكان الجميع يفعلون ذلك، كما يقول أحد أنصار الإخوان المسلمين لكن الحضور فى ذاته لأنصار الإخوان المسلمين - والمرشحون الذين يروجون لأنفسهم بشعارات الإخوان - يمثل تغييرا كبيرا مقارنة بما كان يحدث فى الماضى، عندما كانت الشرطة تمنع مثل هذه التحركات.

* * *

وعن شهادة جهة محايدة ممثلة فى لجنة البرلمان الأوروبى نقرأ فى الجارديان البريطانية تحت عنوان البرلمان الأوروبى يعد تقريراً حول الانتهاكات فى الانتخابات البرلمانية المصرية:

تمثل زيارة وفد من أربعة أعضاء فى البرلمان الأوروبى إلى القاهرة كلجنة لتقصى الحقائق إشارة أخرى على المتابعة المتزايدة دولياً التى تواجهها مصر.

وقد قال إدوارد ماكميلان سكوت رئيس اللجنة ونائب رئيس البرلمان الأوروبى إنه واجه حقائق مزدوجة فى الانتخابات عملية أكثر انفتاحاً لكنها مقترنة بالكثير من المخالفات التقليدية المرتبطة بالانتخابات البرلمانية المصرية وظهر واضحاً أيضاً أن الإقبال على التصويت منخفض جداً".

"يمكننى القول إن الإجراءات تبدو بحسب الظاهر منافسة لكن هناك تقارير معتادة لمخالفات مثل: أخطاء فى قوائم الناخبين، الحزب الوطنى يحصل على القوائم الصحيحة فيما تحصل أحزاب أخرى على قوائم غير صحيحة حتى رشوة الناخبين، التى أخشى أن تكون آلية معتادة فى الانتخابات المصرية".

اللجنة المصغرة التى ذهبت إلى مصر دون دعوة من الحكومة المصرية، ولم يستقبلها أحد من وزارة الخارجية المصرية، قررت أيضاً الامتناع عن مواصلة متابعة عملية التصويت ورفضت العودة إلى مصر لمراقبة المرحلة النهائية وشعر الوفد بأنه لا مبرر للعودة بسبب الانطباعات السلبية التى تولدت لديه فى ٩ نوفمبر والتى أكدتها بعد ذلك المنظمات غير الحكومية والأحداث اللاحقة فى مصر.

وقال نائب رئيس البرلمان الأوروبى إدوارد ماكميلان سكوت إن "العديد من الانتهاكات لوحظت أثناء المرحلة الأولى من الانتخابات المصرية، وقد حاول أعضاء الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم منع الوفد من دخول مقر انتخابى.. وقد نظم ذلك التحرش ضدنا حشد من المجرمين.. وكان هدفه ترويع أنصار مرشحي المعارضة.

وأشار تقرير البرلمان الأوروبي إلى التدخل المتحيز في إجراءات تسجيل الناخبين لصالح الحزب الحاكم، وإلى حالات عديدة من شراء الأصوات.. وتتوافق بيانات ماكميلان سكوت مع تقارير أخرى أصدرتها منظمات المجتمع المدني التي تراقب الانتخابات.

النجاح الساحق للإخوان وسيطرتهم على نسبة ٢٠٪ من مقاعد مجلس الشعب والصدمة التي أصابت القوى الوطنية الأخرى والأحزاب الشرعية وغير الشرعية وحاله الإزعاج التي أصابت أجهزة الاستخبارات الغربية وعدد الصفحات التي أفردتها الصحف الأمريكية وساعات الإرسال التي خصصتها المحطات الفضائية كل هذه الأمور مجتمعه ساهمت في كشف المستور وإسقاط آخر أوراق التوت من على جسد نظام مبارك وأعلنت بكل وضوح عن صفقات خارجية وداخلية وقعها مبارك ونظامه كي يبقى فوق كرسي الرئاسة وإذا كان الغرب قد أستقبل صفقه مبارك وشارون بكل الترحاب وهلل لها.

إلا أنه توقف كثيراً أمام صفقه مبارك والإخوان وبدأت الصحف القومية تأخذ وضع الاستعداد لبدء حملة ضد الإخوان المسلمين وذلك على طريقة "ذبح القطة".

■ ■ ■





9

بعد السقوط..
الطريق إلى الخلافة
يبدأ من أمريكا



الخميس ١٢ يناير ٢٠١٢ انتقل الإخوان من مرحلة الإتصالات السرية مع واشنطن في عهد مبارك إلى إتصالات علانية مع مندوبى الإدارة الأمريكية. آخر هذه الزيارات كان اللقاء الذى جمع بين محمد مرسى رئيس الذراع السياسى للجماعة - حزب الحرية



والعدالة، وبين نائب وزيرة الخارجية وليام برينز من بادر باللقاء كانت وزارة الخارجية الأمريكية التى تعترف أن الحكومة القادمة فى مصر سوف تتكون من الإخوان المسلمين، وبناء

عليه، لا تجد الإدارة الأمريكية أى سبب لتأجيل لقاءات العمل.

بين واشنطن والإخوان المسلمين تفاهم ينص على أنه بدون مساعدات إقتصادية وبدون ترميم الإقتصاد المصرى فإن النصر السياسى سيكون بلا قيمة. "لدى الإخوان

الكثير من الأموال التي ربحوها من استثمارات واعية في دول الخليج وأوروبا" - هذا ما يقوله مصدر مصرى كان عضو كبير في الحزب الحاكم في عهد مبارك والذي تم حله في أعقاب الثورة. "لديهم رجل أعمال ممتاز، نائب المرشد العام خيرت الشاطر، والذي عرف كيف يرسخ البنية الإقتصادية والتنظيمية للجماعة وهو قادر أيضا على تولى وزارة المالية بشكل رائع. ولكن هذه الأموال التي تخص الجماعة لا يمتلكها الشعب المصرى. وسوف يحتاجون على الأقل عشرة مليارات دولار على المدى القصير بهدف إحداث تحول إقتصادى يهدئ الشارع".

عشرة مليارات دولار مبلغ ضخم بالنسبة لدولة غارقة في الديون ولا تمتلك مصادر دخل من السياحة، في حين توقف المستثمرون الأجانب عن التوجه إليها هذا العام.

وقد تحدث محمد مرسى مع بيرنز عن هذه الضائقة معربا عن أمله أن تواصل الولايات المتحدة الأمريكية تقديم مساعدات مالية لمصر مثلما كانت تفعل في عهد مبارك. ويعرف مرسى جيدا الشروط التي تضعها واشنطن لاستمرار المساعدات: الالتزام بإتفاقية كامب ديفيد، الحرص على حقوق الإنسان (خاصة حقوق الأقلية القبطية)، ومواصلة إتباع سياسات التباعد عن إيران مثلما حدث في عهد مبارك.

.....

الاجتماع بين بيل بيرنز ومحمد مرسى هو الأرفع مستوى الى الان بين الجماعة والادارة الامريكية وجاء ضمن سلسلة اجتماعات عقدها بيرنز مع شخصيات سياسية مصرية في عاصمة البلاد بحسب متحدثة باسم وزارة الخارجية الامريكية.

وقالت فيكتوريا نولاند "في رأينا أنها كانت فرصة للاستماع منهم وتعزيز توقعنا أن كل الاحزاب الكبيرة ستؤيد حقوق الانسان والتسامح وحقوق المرأة وستفى أيضا بالتزامات مصر الدولية القائمة حاليا".

ولقاء بيرنز الذى هو أهم نواب وزيرة الخارجية الامريكية هيلارى كلينتون مع مرسى هو الأرفع مستوى منذ تخلت الولايات المتحدة أوائل العام الماضى عن حظر طال وقته للاتصالات السياسية مع الجماعة.

وبنهاية الانتخابات المصرية يوم الأربعاء يأمل الاسلاميون وفي مقدمتهم جماعة الاخوان فى تعزيز سيطرتهم على مجلس الشعب.

وبفضل قاعدة تأييد شعبى جيدة التنظيم والمشروعات ستحصل الجماعة على نحو ٤١ فى المئة من مقاعد الاعضاء المنتخبين فى المجلس وعددها ٤٩٨ مقعدا.

وقالت نولاند ان بيرنز لم يجتمع مع أى من السلفيين الذين حققوا مكاسب انتخابية كبيرة لكنهم أكثر تشددا ويقارنهم البعض بحركة طالبان الافغانية.

وقالت "لم يكن باستطاعته مقابلة جميع الاطراف لذلك كانت هذه الجماعة مجموعة مختارة من بينهم". وأضافت أن السلفيين لم يتلقوا دعوة للاجتماع مع المسؤول الأمريكى الكبير.

ومضت قائلة "كانت تلك فرصة للتعارف مع بعض الناس الذين أراد أن يعرفهم".

وتأتى محادثات بيرنز مع ممثلين للاخوان المسلمين بعد قرار اتخذه واشنطن أوائل العام الماضى باسقاط الحظر على الاجتماعات الرسمية مع الجماعة اعترافا بدورها السياسى فى التحول الديمقراطى المصرى.

وسبقت رويترز غيرها بالنشر فى يونيو عن هذا التحول فى الموقف الأمريكى الذى بدا مرجحا أن يزعم اسرائيل ومؤيديها الأمريكيين.

ومنذ وقت طويل نبذت جماعة الاخوان العنف كوسيلة للتغيير السياسى فى مصر. وسيكون دور الجماعة كبيرا فى وضع الدستور الجديد للبلاد بما يجعلها قوة موازية لقوة المؤسسة العسكرية التى تدير شؤون البلاد منذ اسقاط الرئيس حسنى مبارك فى انتفاضة شعبية فى فبراير شباط.

وحاولت الجماعة إعطاء انطباع باعتدالها حين اتصلت من احتجاجات الشوارع التى تطالب بانهاء الادارة العسكرية لشؤون البلاد فورا.

وقالت الجماعة فى موقعها على الانترنت ان بيرنز بدأ الاجتماع "بتهنئة الحزب على النتائج التى حققها وترحيب بلاده بنتائج الانتخابات البرلمانية التى شهدتها مصر وأنهم

يحترمون خيار الشعب المصرى خاصة أن الانتخابات المصرية تمتعت بالنزاهة وحرية الاختيار."

وأضافت أن بيرنز أكد أن زيارته "تهدف فى الأساس الى الاطلاع على وجهة نظر الحزب فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية والمشهد السياسى بشكل عام فى مصر وفى المنطقة".

وحضرت الاجتماع السفيرة الامريكية فى القاهرة ان باترسون ومساعدون لبيرنز ونائب رئيس حزب الحرية والعدالة عصام العريان ومساعدون لمرسى.

وقالت نولاند ان بيرنز اجتمع مع مسؤولين مصريين آخرين لمناقشة سلسلة من المسائل من بينها مدهمة السلطات المصرية لمكاتب منظمات تراقب حقوق الانسان تدعمها واشنطن وهو العمل الذى وصفته واشنطن بأنه "غير مقبول".

وأضافت المتحدثة "أكد موقفنا القوي المؤيد (لتلك المنظمات). وتابعت "هو سعى بقوة لدى الحكومة محاولا حل المسائل المتبقية ونعتقد أنه أننا نحقق بعض التقدم لكننا لم نحل كل المسائل بعد".

.....

الاربعاء ١٨ يناير ٢٠١٢ استقبل المرشد العام للاخوان المسلمين الدكتور محمد بديع السفيرة الأمريكية بالقاهرة السيدة آن باترسون بمقر الجماعة الرئيسى فى المقطم بشرق القاهرة بحضور الدكتور محمود حسين الأمين العام للجماعة، ومن الجانب الأمريكى دونالد بلوم مدير المكتب الاقتصادى والسياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة.

وأعربت السفيرة الأمريكية - فى بداية اللقاء- عن شكرها على الاستضافة الكريمة وتهنئتها بفوز حزب الحرية والعدالة الذى يعد الجناح السياسى لجماعة الاخوان المسلمين فى الانتخابات التشريعية، مؤكدة على أن الولايات المتحدة تتطلع للتعاون مع من اختاره الشعب المصرى من برلمان وحكومة ديمقراطية.

وقال الدكتور محمود حسين الأمين العام للجماعة فى تصريحات للصحفيين عقب اللقاءات، إن المرشد العام تقدم بالشكر على التهئة، واعتبر أن الانتخابات فخر لمصر وشعبها، وأن النتيجة انتصار للتحالف الديمقراطى الذى يضم عددا من الأحزاب وليس الحرية والعدالة وحده، داعيا الله أن يجعل جماعة الاخوان المسلمين عند حسن ظن الشعب المصرى بها.

وأكد الدكتور محمود حسين، أن مرشد الاخوان أشار خلال اللقاء إلى أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت تحكم على شعوب المنطقة من خلال الحكام الدكتاتوريون وتدعم الطغاة مما جعل شعبية الولايات المتحدة تتراجع، موضحا أن العصر الحالى هو عصر الشعوب.

وقال الامين العام لجماعة الاخوان، "نريد أن نرى أفعالا لا أقوالا لاسترداد الولايات المتحدة لمصداقيتها لدى الشعوب العربية والإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بفلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى".

من جانبها، اعترفت السفارة آن باترسون بارتكاب الإدارات الأمريكية بعض الأخطاء، ولكنها دعت للتغلب عليها والاستفادة منها لعدم تكرارها فى المستقبل، مؤكدة أن الديمقراطية دائما ما تأتى بشركاء مستقرين. وأوضحت السفارة الأمريكية، أن الوضع الاقتصادى فى مصر صعب وأنها بحاجة إلى قروض من البنك الدولى وأن ذلك سيسهم فى تحسين الحالة الاقتصادية وتشجيع بلدان أخرى على تقديم قروض ومنح لها.

من جانبه أكد المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين، أن مصر عانت من سوء توزيع مواردها ونهب منظم لخيراتها، وأن المرحلة الحالية تحتاج لتضافر كافة الجهود والقوى، فالجميع شركاء فى المسئولية وإن لم يكونوا شركاء فى السلطة، كما أنهم شركاء فى الحقوق والواجبات ولا بد من عرض كل ما يهم مصر على ممثليهم المنتخبين وأوضح الدكتور محمد بديع، أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وهذا أكبر ضمان للحريات العامة والخاصة، لأنها تكفل حرية العقيدة والحريات الشخصية لكافة المواطنين على حد سواء.

وفيما يخص القروض والمعونات، أكد المرشد العام للاخوان المسلمين على أن محبى مصر على مستوى العالم كثيرون ويريدون معاونتها للقيام بنهضتها بعد ثورتها الرائعة ولا بد من أن تناقش هذه القضية فى مجلس الشعب المنتخب انتخابا حرا ونزيها، فى اللجان المختصة بذلك، وأنا نثق فى برلماننا وجيشنا كما يثقون هم فى برلمانهم وجيشهم. وشدد الدكتور بديع على رفض جماعة الاخوان المسلمين لما وصفه بوجود أى قوة فوق الدستور أو فوق الشعب، وضرورة أن تكون المعونة عبر طرقها الشرعية وبمعرفة الحكومة المصرية، ودون أية شروط.

.....

سرب موقع ويكيليكس عقب سقوط مبارك عددا كبيرا من البرقيات تناولت الجماعات الإسلامية فى مصر وتحركاتها، وركز جانب من هذه الوثائق بشكل واضح على جماعة الإخوان المسلمين. وكانت بداية البرقيات التى تناولت الحديث عن الإخوان، برقية صدرت عن السفارة الأمريكية فى القاهرة عام ١٩٨٦ تقول إن القيادة الجديدة لجماعة الإخوان حريصة على إقامة حوار مع سفارة الولايات المتحدة، لكنها فى الوقت نفسه، قلقة للغاية بشأن كيفية تجنب إحداث مشاكل مع وزارة الداخلية، وأشارت الوثيقة أن المرشد الجديد حامد أبو النصر يبدو دوره صوريا، بينما السلطة الحقيقية فى يد نائبه مصطفى مشهور.

وطبقا للوثيقة فإن الاتصال الرسمى الأول مع قيادة الإخوان المسلمين الجديدة بعد وفاة المرشد الأسبق عمر التلمسانى فى مايو ١٩٨٦ تم بعد ٤ شهور وبالتحديد يوم ١٠ سبتمبر من نفس العام. وكان اللقاء فى مكتب مجلة الدعوة التى كانت تصدرها الإخوان. وأشارت الوثيقة على إن الاجتماع كان قصيرا لكن وديا وتم التركيز خلاله على شرح أسباب الاجتماع بدلا من لقاء مطول وفقا لما كان مخطط له.

وطبقا للوثيقة فإن نائب المرشد مصطفى مشهور تجاوب مع طلب السفارة يوم ٩ سبتمبر للمرشد الجديد محمد حامد أبو النصر، لكنه طالب السفارة بضمان عدم وجود

مشكلات مع وزارة الداخلية، حرصا منه على تفادى أن تكون هناك سابقة منه يطلب خلالها السماح مسبقا بقاء دبلوماسى. وظهر المرشد فى الوقت المحدد، ورحب مشهور وأبو النصر بالمسؤولين الأمريكيين وقدموا لهم الحلوى التقليدية، واجتمعوا قرابة عشرين دقيقة، فى حضور شخص بدا وكأنه كان يدون الملاحظات.

وأكد كل من مشهور وأبو النصر مرارا على الحاجة لأن تحصل السفارة على إذن خطى كى يجتمع المرشد بالسفير واستمر الإصرار على هذا بنفس قوة ترحيبهم بالاتصال المستمر مع السفارة، وأعربوا عن استعدادهم لتلبية طلب المقابلة فى لقاء مطول فى أسرع وقت ممكن، وحتى فى وقت لاحق من نفس اليوم، أو خلال الأيام التالية فى حال وجود إذن كتابى من وزارة الداخلية. وأوضحوا أنه فى الماضى، كانت الحكومة المصرية تقدم موافقتها شفها للجماعة من أجل إجراء اتصالات مع السفارة البريطانية، لكن تردد مؤخرا أن هذه الاتصالات بمثابة أنشطة غير قانونية ووجدت السلطات أن ذلك يمكن استغلاله ضد الجماعة.

وأكد المسئول الأمريكى أن موظفى السفارة أجروا محادثات ولقاءات دورية مع التلمسانى خلال العامين السابقين لوفاته، لكن دون جدوى.

وأقر المحاورين بهذه النقطة، مؤكدين أن السفارة تقيم اتصالات مع المعارضة والرموز السياسية وأن ذلك طبيعى فى إطار عملها، إلا أن الجماعة يمكنها مقابلة الصحفيين بحرية، لكن القانون المصرى يطالبها بالحصول على إذن لقاء ممثلين

من أى حكومة أجنبية. وكانوا حريصين على مطالبة السفارة بضمان الحصول على إذن الداخلية للتمكن من التواصل مع أشخاص أعلى مرتبة من موظف السفارة حيث لا بد من الحصول على إذن خطى وليس من الضرورى الحصول عليه لكل اجتماع.

وأعرب المسئول الأمريكى عن احترامه الكامل للقانون المصرى وتفهمه لموقف الإخوان المسلمين، وعبر عن أمله فى أن يتم حل القضية بسرعة مما يسمح بقاء سريع بهدف تعزيز التفاهم المتبادل. وقبل رحيله نقل المسئول الأمريكى احترام السفارة للحضور ولدور

الإسلام فى المجتمع المصرى. وأجاب مشهور وأبو النصر مرحبين بحرارة بالاتصالات مع السفارة، زسواء كمسلمين أو كعربس.

وفى الانطباعات التى سجلتها السفارة عن اللقاء قالت إن الإخوان حريصون على تعزيز الاتصالات مع سفارة الولايات المتحدة. ويمكننا التخمين بأنه بغض النظر عن الأيديولوجيات فىمكن أن تعكس هذه الرغبة محاولة لإضافة شرعية للإخوان باعتبارها كيان سياسى. والملاحظة الثانية هى أن القيادة السابقة للإخوان كانت أقل اهتماما بالابتعاد عن المشاكل مع الحكومة المصرية. فالتلمسانى لم يطلب موافقة مسبقة، على الأقل ليس من خلال المسئولين فى السفارة، رغم اتصالاته المتكررة مع المسئولين بها.

وخلال محادثة منفصلة بين المسئول الأمريكى وصحفى متصل بالإخوان، أشار إلى أن الجماعة يساورها القلق إزاء الاعتقالات الأخيرة للأصوليين من خارج الجماعة والتى حظيت بتغطية إعلامية واسعة، وقد تكون حملة الحكومة المصرية على الأصوليين من غير الإخوان أحد العوامل وراء إصرار الجماعة غير المسبوق على الحصول على إذن أمنى للاجتماع بالأمريكيين.

وأشارت السفارة فى تعليقها الثالث أن قيادة الجماعة بدت تفتقر إلى الثقة بالنفس والتماسك، وهو ما قد يكون عاملا آخر وراء الحذر. كما بدا أبو النصر ضعيفا بدنيا وصوريا أكثر من كونه شخص مهم فى الاجتماع. ورغم أنه جلس فى مكان متميز خلف مكتبه، إلا أن مشهور الذى جلس فى الغرفة على الأريكة، كان أكثر من مجرد شكل. فمشهور، الذى بدا فى منتصف الستينيات من العمر، كان محترما، ورغم أنه لم يقاطع أبو النصر، إلا أنه لم يبال به، وسيطر بشكل واضح على الحوار بصوت ثابت تواصل بصرى وكان الشخص الذى يدون الملاحظات ينظر مرارا نحو مشهور بينما كان يدون الحديث. وعلاوة على ذلك، كانت تعليقات موظفى المكتب حول أسفهم لخسارة التلمسانى تبدو وكأنها تهدف إلى نقل تصور عن عدم كفاءة أبو النصر لخلافته.

وأشارت السفارة إلى أنها لا تتوى التدخل بين القيادة الهشة للإخوان والحكومة المصرية. وخاصة أن القيادة التالية للتلمسانى تبدو وأنها تحاول استخدام الولايات

المتحدة لاختبار ما إذا كانت مستعدة لإضفاء الشرعية على جماعة الإخوان. وأضافت أنه من خلال اتصالات على مستوى منخفض في وزارة الخارجية، تعتزم السفارة توضيح أن لديها عمل دبلوماسي طبيعي يشمل الاتصال بمساحة واسعة من أطراف المجتمع المصرى. وستواصل الاتصالات مع جماعة الإخوان المسلمين، وسنبذلهم بأننا أرسلنا لوزارة الخارجية بطريقتنا فى التعامل.

.....

آيان جونسون الكاتب الصحفى الشهير فى الـوول ستريت جورنال والحائز على جائزة بوليتزر عام ٢٠٠١ كتب تحليلا حديثا يذكر فيه تاريخ العلاقة بين الإخوان والمخابرات الأمريكية ويستحثها على التعاون معها يبدأ الكاتب متسائلا كيف ستعامل الإخوان مع إسرائيل ؟ وهل ستتخلى عن العنف حقا ؟ ويقر الكاتب بأن الإدارات الأمريكية بما فيها إدارة الرئيس أوباما ترى أن جماعة الإخوان من الجماعات التى يمكن للغرب التعامل معها " حتى لو أنكرتك تلك الاتصالات البيت الأبيض رسميا " كما يقول الكاتب، يرجع الكاتب التحالف بين الإخوان والمخابرات الأمريكية منذ الخمسينات ووصفه بالتحالف السرى وتم الاتفاق على قضايا متنوعة مثل القتال ضد الشيوعية وتهدة بعض التوترات للأوروبيين المسلمين، وفى كل مرة نرى نفس النموذج القادة الأمريكان يقررون أن الإخوان يمكن أن يكونوا مفيدين وراعين للأهداف الأمريكية ولكن فى كل مرة أيضا وبشكل واضح ولا يدعو للدهشة لا يستفيد من تلك العلاقة غير الإخوان المسلمين.

طالب الكاتب الحكومة الأمريكية أن تكون واعية بهذه العلاقة وخطورتها، ذكر الكاتب نقلا عن أحد الكتب لإيزنهاور تفاصيل اجتماع حضره سعيد رمضان مندوب الإخوان المسلمين وهو صهر حسن البنا والذى كان يوصف بوزير خارجية جماعة الإخوان وهو أبو الباحث السويسرى المثير للجدل طارق رمضان، وكان مسؤولى إدارة أيزنهاور يعرفون ما يفعلون فى معركة أمريكا ضد الشيوعية كانت أمريكا تحب أن تظهر نفسها ببلد الحريات والداعمة لحرية الدين مقابل الشيوعية الملحدة، ولقد نشرت تحليلات وكالة

المخابرات المركزية الأمريكية مؤخرا عن سعيد رمضان ووصفته بالتبذل الذهنى وأنه "لديه اهتمام فاشى بتجميع الأشخاص من أجل السلطة" ورغم كل ذلك فالإدارة الأمريكية حينها لم تجد غضاضة فى الاستعانة به.

يقول الكاتب فى معرض كلامه عن سعيد رمضان والسى آى إيه أن الأخيرة دعمته بشكل عنى وكانت تطلق عليه بكل بساطة عميل الولايات المتحدة وساعدته فى الخمسينات والستينات فى استيلائه على مسجد ميونيخ والذى كما يذكر الكاتب قام بطرد المسلمين المقيمين فى هذا المكان ليبنى المسجد الذى يعد من أهم مراكز الإخوان المسلمين فى أوروبا وفى النهاية لم تحصد أمريكا من دعمه شيئا فلقد عمل على نشر الإسلام أكثر من محاربة الشيوعية وفى السنوات اللاحقة دعم الثورة الإيرانية ويرجح الكاتب أنه قد يكون متورطا فى قتل أحد الدبلوماسيين المساندين للشاه الإيرانى فى واشنطن.

إن أيان جونسون هو نفسه الذى ألف كتابا شهيرا اسمه "مسجد فى ميونيخ" يتحدث فيه عن ذلك المسجد باعتباره رمزا لجماعة الإخوان المسلمين فى أوروبا وذكر أن حكومات أمريكا وألمانيا الغربية تنافسوا للسيطرة عليه ليكون قاعدة لمحاربة نظام حكم جمال عبد الناصر وهناك كتاب آخر كشف تفاصيل كثيرة عن استغلال المخابرات الأمريكية الإخوان المسلمين فى حربهم ضد عبد الناصر كتاب "إم آى سيكس: مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية" وهذا الكتاب كشف أيضا دور المخابرات البريطانية فى مساعدة سعيد رمضان لترتيب انقلاب ضد عبد الناصر سنة ١٩٦٥ و العملية التى انتهت بالقبض على أغلب عناصرها فيما عرف بقضية تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥ والذى كان يرأسه فى مصر سيد قطب.

يقول جونسون أن العلاقات بين الإخوان والمخابرات الأمريكية شهدت جزرا ومدا بعد ذلك ففى حرب فيتنام كان تركيز أمريكا فى مكان آخر ولكن العلاقات مع المسلمين عادت تحتل البؤرة فى حرب السوفييت فى أفغانستان حيث دعمت المجاهدين وعلاقتهم مع الإخوان كان فيها ما فيها من التودد والاقتراب.

فى السنوات التى أعقبت هجمات الحادى عشر من سبتمبر غيرت الولايات المتحدة موقفها من الإخوان حيث أعلنت من جانبها على لسان جورج دبليو بوش أن الولايات المتحدة تواجه حربيين الأولى مع العالم الإسلامى والثانية فى موجة الكراهية من قبل الأقليات الإسلامية فى عدد من الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا ودول أخرى حيث كانت مؤتمرات الإخوان المسلمين التى أعلن أعضاء بارزين فيها أنهم داعمين للإرهاب على حد تعبير الكاتب.

ويذكر إيان جونسن فى تحليله عن العلاقات بين الإخوان وأمريكا أن إدارة بوش وضعت استراتيجية فى التعامل مع الجماعات القريبة إيديولوجيا من الإخوان ولكن وزارة الخارجية الأمريكية لم تتبه لبروز الإخوان كقوة سياسية إلا منذ عام ٢٠٠٥ فى مصر وفى دول أخرى وشرعت فى بذل جهودها لخطب ودهم، ويذكر الكاتب مثالا لهذا التعاون أو لخطب الود كما يقول فى عام ٢٠٠٦ نظمت الخارجية الأمريكية مؤتمرا فى بروكسيل بين الإخوان المسلمين فى أوروبا والمسلمين فى أمريكا الشمالية أو الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية، التى تعتبر قريبة من الإخوان المسلمين وتمت مثل هذه الأشياء اعتمادا على تحليلات للمخابرات الأمريكية السى آى إيه التى وصف أحد أعضاءها إعجابه بالإخوان المسلمين فى الديناميكية الداخلية بين أعضائها، والتنظيم، وإعلامهم الذكى... وتم ذلك التعاون بين المخابرات الأمريكية وجماعة الإخوان المسلمين على الرغم من مخاوف الحلفاء الأوربيين الذين يرون فى هذا الدعم مخاطرة كبيرة.

أما بالنسبة لإدارة بوش فهى تحوى بين أعضائها من شاركوا فى وضع تلك الاستراتيجية فى التعامل مع الإخوان فى الإدارة السابقة.

يقول الكاتب أن القرضاوى أصبح رمزا لنمو الإخوان السياسى المتنامى فى المنطقة حيث تعمل الجماعة بشكل شرعى فى الأردن والغنوشى رجع إلى تونس وهو زعيم حزب النهضة الذى يلعب دور المعارضة الإسلامية البارزة فى تونس، إضافة إلى حماس فى غزة، وفى مصر يعتبر الكاتب جماعة الإخوان المسلمين الوجه المعارض البارز بجانب مجموعات سياسية وعلى الأقل يقول الكاتب أنها إن لم تحكم مصر فستلعب دورا مهما فى الحياة السياسية نظرا لتاريخها السياسى الطويل فى المنطقة.

وفى نهاية التقرير الذى كتبه إيان جونسون على موقع نيويورك ريفيو أوف بوكس يستحث إدارة أوباما على التعامل مع الإخوان المسلمين فمند نصف قرن تعامل الغرب مع الإخوان لتحقيق مكاسب تكتيكية قصيرة الأمد، وبعدها دعم الغرب العديد من الحكومات المستبدة التى حاولت أن تزيل جماعة الإخوان والآن - يقول الكاتب - ونحن نرى الحكومات تترنح الواحدة تلو الأخرى فالغرب ليس لديه خيار فبعد عقود من الكبت تظهر واحدة من الجهات الفاعلة والدائمة والثابتة جماعة الإخوان المسلمين وفى رؤيتها مزيج من الأصولية والأسلوب السياسى الحديث ويقول الكاتب أن العلاقات بين الإخوان والبيت الأبيض موجودة وإن أنكر أوباما ذلك رسميا... ومن حق القارئ أن يتساءل بعد قراءة هذا التحليل الخبرى إذا كانت الإدارات الأمريكية تعاونت مع الإخوان فى السابق ضد عبد الناصر الذى كان يمثل تهديدا لمصالحها، وكذلك استخدمتهم فى الحرب ضد الشيوعية لإظهار أمريكا بمظهر الدولة الداعمة للحرية الدينية ضد الشيوعية فالتعاون الإخوانى الأمريكى الآن وبعد موت عبد الناصر وانهاى الشيوعية سيكون ضد من ؟

.....

فى دراسة أعدتها الجماعة حول استراتيجية تعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية تحمل عنوان، رؤية الإخوان للسياسة الأمريكية وكيفية التعامل معها) انتهت الجماعة إلى وجوب استمرارية الإعلان عن معارضة الجماعة لسياسة الإدارة الأمريكية، مع استمرار السعى لفتح قنوات اتصال معها.. فى ذلك الوقت (أواخر ٢٠٠٤) عقد التنظيم الدولى للإخوان اجتماعا فى العاصمة التركية اسطنبول، شارك فيه ممثلو الأجنحة الإخوانية بكل مصر (مصر - فلسطين - الأردن - الجزائر) تمت خلاله مناقشة الانفتاح على الإدارة الأمريكية انطلاقا من العلاقة القديمة والمستمرة بينهما .

كما استغلت الجماعة سماح السلطات للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح للسفر خارج البلاد بالنظر لموقعه كأمين اتحاد الأطباء العرب للمشاركة فى حضور المؤتمرات التى

يشارك فيها مسئولون أمريكيون ومن بينها مؤتمر عقد بالعاصمة التركية اسطنبول نهاية شهر أبريل عام ٢٠٠٥ تحت عنوان (الجمعيات الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني) شارك فيها من الجانب الأمريكي، ريتشارد ميرفى (المساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأوسط) وجورج تينت (الرئيس السابق للمخابرات الأمريكية)، ومن الإخوان الدكتور عبد المنعم ابو الفتوح، كما التقى أيضا الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ومهدى عاكف، بالأمريكي جون شانك وهو شخصية بارزة بالكونجرس الأمريكي خلال شهر سبتمبر عام ٢٠٠٤، والذي أبلغهما استعداد السفير الأمريكي بالبلاد لاستقبال قيادات الجماعة والاستماع لوجهة نظرهم واقتراحه بتشكيل وفد إخوانى لزيارة أمريكا والالتقاء بالمسؤولين بوزارة الخارجية، كما عقد ممثلو الحكومة الامريكية عدة لقاءات مع العديد من الرموز الإخوانية ونوابها بمجلس الشعب من بينها لقاء النائب السابق محمد سعد الكتاتنى (مستول الكتلة البرلمانية للإخوان) بزعيم الأغلبية الديمقراطية بمجلس النواب الأمريكى "ستانى هويد" بمنزل السفير الأمريكى بالقاهرة فى ٤/٤/٢٠٠٧ خلال حفل الاستقبال الذى أقامه السفير الأمريكى بالبلاد بمناسبة زيارة وفد الكونجرس للقاهرة، وسبق هذا اللقاء، لقاء آخر للنائب سعد الكتاتنى بالمستشار السياسى للسفارة الأمريكية بالقاهرة للحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر مارس ٢٠٠٧، حيث أبلغه الدبلوماسى بإختياره كمندوب اتصال بين جماعة الإخوان والإدارة الأمريكية.....

.....

فى مارس ٢٠٠٦ كان عدد من الباحثين بمؤسستى كارنيجى اندومينت للسلام الدولى وهبريرت كواندت، قد أكد فى دراسة مشتركة حملت عنوان المناطق الرمادية: الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية فى العالم العربى، على ان سياسة المشاركة مع المنظمات الإسلامية، وبخاصة مع الأجنحة الإصلاحية فيها هى الخيار البناء الوحيد المتاح أمام المنظمات والحكومات التى تعتقد أن تنمية الديمقراطية فى الشرق الأوسط هى فى مصلحة الجميع.

بنى هؤلاء الباحثون استنتاجهم الأخير على فرضيتين أساسيتين، الأولى: تمثلت في عدم وجود امكانية لتشجيع أى عملية للتحول الديمقراطي أو على الأقل التحول الليبرالى، دون أن يحدث في نفس الوقت نفوذ متزايد للحركات الإسلامية، وذلك في معظم الدول العربية.

والثانية: ان المساعدات الديمقراطية سواء في شكلها المحايد فيما يتعلق بتدريب جميع الأحزاب السياسية، أو حتى في شكل التمويل المباشر للأحزاب العلمانية ومنظمات المجتمع المدني، لن تؤدي إلى تغيير هذه الحقيقة، نظرا للضعف الشديد الذي تعاني منه تلك الأحزاب، بالإضافة الى انعدام شعبيتها في الشارع العربي.

وأقرت الدراسة - في الوقت نفسه - بوجود عدد من المناطق الرمادية في فكر وأيديولوجية ومواقف الحركات الإسلامية لا يمكن إحداث تغيير جذري عليها في المدى المنظور، مشددة على ان حسم هذا الغموض في موقف تلك الحركات من هذه القضايا، هو المحدد الأساسى الذى سيقدر ما اذا كان صعودها سيقود بلدان العالم العربي، في نهاية المطاف، الى الديمقراطية أم إلى شكل جديد من النظم السلطوية ذات الطبيعة الإسلامية، وحدد الباحثون المناطق الرمادية بست مناطق أساسية هي: الموقف من الشريعة الإسلامية، والعنف، والتعددية، والحقوق المدنية والسياسية، وحقوق المرأة، والأقليات الدينية.

.....

في جريده الفجر بتاريخ ١٨ يناير ٢٠١٢ أجرى الزميل محمد الباز حوار مطول مع الباحث عبد الرحيم على المهتم بالاسلام السياسى وفي هذا الحوار كشف عبد الرحيم للدكتور محمد الباز عن الاتصالات التى تمت بين الاخوان والامريكان قبل سقوط نظام مبارك وبعد فشل صفقه الانتخابات البرلمانية فى ٢٠١٠ فيقول عبد الرحيم فى حوارہ:

وكان فى الأسبوع الأول من أغسطس ٢٠١٠، حيث توسط محمد سليم العوا بين حسن عبد الرحمن ومحمد بديع مرشد الإخوان، وتم اللقاء بحضور العوا وبديع ومحمد مرسى وسعد الكتاتنى، واثنين من المسؤولين فى الجهاز.

استمر هذا اللقاء نحو ٦ ساعات وتم الاتفاق فيه على أن يحصل الإخوان على ٤٥ مقعداً في برلمان ٢٠١٠، وأن وقتها لم تكن هناك إتصالات تمت مع الوفد بعد، وقام اللواء (ع خ) بالاتفاق مع رفعت السعيد، وكان أمن الدولة وقتها يرى أن هذه الصفقة ستكون تغطية للحياة السياسية المصرية المقبلة على سيناريو توريث الحكم لجمال مبارك.

كانت الصفقة حتى هذه اللحظة صنيعة الأمن، وكان لابد أن تعرض على الحزب الوطنى، يقول عبد الرحيم على: "فى الحزب الوطنى كانت لديهم خطة يعدها أحمد عز وجمال مبارك، كان فى ذهنهم أن انتخابات مجلس الشعب بروفة نهائية لانتخابات الرئاسة.. وكان يعينهم جدا الشكل دون أدنى اهتمام بالمضمون".

رفض أحمد عز الصفقة تماماً.. وقال إنه درب كوادر التنظيم - الحزب الوطنى - على أساس أن هذه الانتخابات مسألة حياة أو موت لأنها التى تمهد للرئاسة، وأنه يريد أن يعرف حجم الحزب الحقيقى فى الشارع المصرى، ولذلك سمح بالترشيح الثلاثى والرباعى فى الدوائر، حتى يعرف على وجه التحديد ما الذى يستطيع كوادره أن يفعلوه.

أول اتصال أمريكى عن طريق تركيا

فى تركيا يتواجد إخوانى هارب وممنوع من دخول مصر لتورطه فى عدة قضايا، هو أحمد محمد محمد عبد العاطى.. مسئول الجماعة هناك.. فى نفس التوقيت تقريباً الذى كان الإخوان يجلسون فيه مع حسن عبد الرحمن، كان هو يجلس مع مسئول أمريكى من جهاز أمنى، نصحه بالآلا يكمل الإخوان صفقتهم مع النظام المصرى فى هذا التوقيت.

يقول عبد الرحيم على: "التقى أحمد عبد العاطى ما أسماه هو فى التليفون فى مكالمة هاتفية - رصدت من جهة أمنية من تليفون مشفر كان يحمله محمد مرسى مسئول الملف السياسى بالجماعة وقتها.. وكان يعتقد أنه ليس مراقباً - الرجل رقم واحد فى الجهاز إياه".

عبد العاطى قال لمرسى: الأمريكان بيقولوا مفيش داعى لأى صفقات مع النظام المصرى الآن، وسأوافيك بالتفاصيل، وسوف أرسل لكم من يكمل لكم الصورة قريباً.. وقد

استمرت هذه المكاملة ١٦ دقيقة كاملة، وبالفعل جاء إلى مصر خلال هذه الفترة من أطلقوا عليه الرجل رقم ٢ وقابل محمد مرسى وسعد الكتاتنى فى مقر الكتلة البرلمانية للإخوان فى جسر السويس، وأكد لهم أن النظام يتخبط وأنه يمكن أن يتعرض لضربات قادمة، ولا داعى لعقد أى صفقات معه.

كان حسن عبد الرحمن يتعجب من أمر الإخوان، فصحيح أن الصفقة ألغيت، لكنه لم يبلغ الإخوان بذلك، كما كان يبلغ الأحزاب الأخرى التى كانت تعتقد للحظة الأخيرة أنها قائمة، وتحديدًا حزب التجمع، كان المفروض أن يتابعوا أمر الصفقة، لكنهم كانوا قد قرروا ألا يستمروا فى حديث الصفقة نزولاً على نصيحة الأمريكان.

.....

يؤكد عبد الرحيم على: "عندما وصلت تقارير الاتصالات السرية بين الإخوان والأمريكان إلى أمن الدولة أطلع قيادات الحزب الوطنى عليها، واقترح الضغط على الإخوان حتى يكسروا هذه الاتصالات، لكن أحمد عز رفض الصفقة مرة أخرى.. فتوقف أمن الدولة عن الكلام، لأن القضية أصبحت سياسية، ولا علاقة لها بالأمن".

كان رد فعل جمال مبارك عنيفاً على اتصالات الإخوان بالأمريكان، يقول عبد الرحيم: عقد جمال اجتماعاً فى مقر القوات الجوية، وحضره زكريا عزمى والمستشار محمد الدكرورى محامى الحزب الوطنى ومسئول مكافحة الإخوان واتفقوا على رفع قضية ضد الإخوان بتهمة أنهم تنظيم غير قانونى، فيكون بعد ذلك من السهل الإطاحة بأى عضو ينجح منهم فى الانتخابات، كما أنها ستكون فرصة لتهديد الجماعة.. وهى القضية التى تقدم بها الدكرورى بالفعل للنائب العام قبل الانتخابات بنحو عشرة أيام.. وروج لها الحزب الوطنى عبر التلفزيون المصرى بشكل جيد.

.....

عمل الإخوان بنصيحة الأمريكان، لم يعقدوا أى صفقة مع الحزب الوطنى برعاية أمن الدولة، وكانت النتيجة أنهم لم يحصلوا على أى مقعد فى البرلمان، ثم جاءت اللحظة

الحاسمة، عندما هرب زين العابدين بن علي من تونس، يقول عبد الرحيم: "بدأ الأمريكيان يدخلون بجديّة شديدة على الخط بداية من يوم ١٨ يناير، اجتمع أحمد عبد العاطى بالرجل الأول الأمريكي، وحضر الاجتماع مندوب من حزب النهضة التونسي، أعلن المسئول الأمريكي أن أمريكا سوف تدعم الثورات العربية وأنها تتوقع ثورة قريبة جداً في مصر".

نقل أحمد عبد العاطى لمحمد مرسى في القاهرة ما استقر عليه رأى المسئول الأمريكي، قال له: الأمريكيان رأيهم ألا ينزل الإخوان المظاهرات من أول يوم.. ولا يظهروا حتى لا يأخذهم النظام ذريعة للقضاء على الثورة من أول يوم، كانت النصيحة بالنص: لا تظهروا إلا بعد أن يتمكن الشباب من الشارع.

ويكشف عبد الرحيم على: "كان هناك محضر تحريات بهذه الاتصالات، وهو تحديداً المحضر الذى استتدت إليه نيابة أمن الدولة العليا فى القبض على عدد من قيادات الإخوان كان عصام العريان من بينهم، وهم الذين خرجوا بعد اقتحام السجون، ولا يزال هذا المحضر فى نيابة أمن الدولة العليا.. دون أن نعرف ما الذى تم فيه بالضبط".

الإشارة جاءت فى ٢٧ يناير

كان رأى الرجل الثانى فى الجهاز الأمنى الأمريكى أيضاً ألا يتحرك الإخوان إلا بعد أن يتلقوا الإشارة من الأمريكان، ويعتقد عبد الرحيم على - هنا تحليل وليست معلومة بالمناسبة - أن هذه الإشارة وردت يوم ٢٧ يناير، وكانت الأجهزة قد رصدت هذه الاتصالات كلها، وقد أشار حسن عبد الرحمن فى تقريره الذى رفعه إلى حبيب العادلى فى ١٨ يناير إلى أن هناك قوى دولية تتصل بعناصر داخلية.. وكان يقصد الإخوان تحديداً.

وهو ما عاد إليه عمر سليمان مرة أخرى بعد أن أصبح نائباً للرئيس حيث قال إن هناك تياراً سياسياً مصرياً على اتصال بجهة أجنبية وأن الأجهزة الأمنية رصدت كل هذه الاتصالات.

هنا يتبنى عبد الرحيم على وجهة نظر مختلفة لما حدث فى موقعة الجمل، فهناك إجماع على أن شباب الإخوان هم من تصدوا لبلطجية الجمل، يقول عبدالرحيم: "الشاهد أن الإخوان تعاملوا مع أنفسهم أنهم التيار الذى يمكن أن يدفع الفاتورة كاملة إذا فشلت الثورة، خاصة بعد أن انكشفت اتصالاتهم بالأمريكان.. كانوا يعرفون أن مبارك لو تمكن منهم فسيفعل بهم أكثر مما فعله عبد الناصر معهم فى ٥٤ عشر مرات على الأقل.. كان الإخوان يدافعون عن أنفسهم وليس عن الثورة.. كانوا يعرفون أنها المعركة الأخيرة مع النظام ولا بد أن يربحوها، وهو ما يجعلنى أضع علامات استفهام كثيرة على كواليس ما جرى فى هذه المعركة".

.....

لا توجد اتصالات واضحة بين الإخوان والأمريكان، وقد يكون ذلك بالنسبة لمن يرصد بسبب انهيار الأجهزة الأمنية التى كانت تعد على الإخوان أنفاسهم، لكن فى ٢٩ يونيه ٢٠١١ ظهر الأمريكان والإخوان على خط واحد.

يقول عبد الرحيم على: "فى هذا التاريخ أرسل مدير مكتب الاتصال بالجمهور والمساعدات بالبيت الأبيض بالسيدة جيلفر مزراحي مديرة مؤسسة أمريكية تهتم بإسرائيل خطابا، قال لها فيه إن البيت الأبيض فى حيرة حقيقية من جماعة الإخوان المسلمين ولا يستطيع أن يصنفها إلا على أنها منظمة إرهابية، لكنه لن يستطيع أن يفعل ذلك إذا ما قررت الإدارة الأمريكية استئناف الاتصال معها".

حسب تأكيد الخطاب الأمريكى فإن الاتصالات بين الإخوان والأمريكان تم استئنافها فى ٢٠٠٦ كانت هذه هى الاتصالات السياسية بين الجماعة والبيت الأبيض بعيدا عن الاتصالات الأمنية.

وصلت ذروة الاتصالات بين الجماعة والأمريكان بزيارة جون كيرى إلى القاهرة.. ثم منذ أيام قليلة عن طريق المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية الذى قال إن الإخوان منحوا الأمريكان تطمينات كاملة حول أنهم سيحافظون على المعاهدة مع إسرائيل.

قلت لعبد الرحيم على: لكن رشاد البيومي وهو أحد قيادات مكتب الإرشاد كذب هذه التصريحات، وقال كالعادة: لم يحدث. قال عبد الرحيم: "هذا ما حدث بالفعل.. وما قاله المتحدث الرسمي باسم الخارجية الأمريكية صحيح مائة في المائة، وقد يكون رشاد البيومي لا يعرف بالفعل ما يجري، فهناك أشياء داخل جماعة الإخوان المسلمين لا يعلن عنها إلا لثلاثة فقط هم محمد بديع ومحمود عزت وخيرت الشاطر.. أسرار الدنيا كلها عند هؤلاء الثلاثة.. حتى أن رئيس حزب الحرية والعدالة الدكتور محمد مرسى لا يعرف أشياء كثيرة تحدث داخل الجماعة.. عصام العريان نفسه ورغم أنه يحاول أن يبدو عالماً بكل شيء يحدث.. إلا أنه ليس كذلك".

زيارة جون كيري كانت مهمة بالنسبة للإخوان جدا، فقد ظلوا كثيرا يتحدثون أنهم لا يلتقون بأى مسئولين أجنبى إلا من خلال وزارة الخارجية، لكنهم الآن فعلوها، تجاوزوا كل ما قالوه ودعوا جون كيري إلى دارهم، يقول عبد الرحيم: "لم يكن صحيحا أن جون كيري جاء ليقابل قيادات حزب الحرية والعدالة.. لكنه كان يريد أن يتحدث مع قيادات الجماعة.. ورغم أنهم جلسوا معه وقالوا إنهم يحملون رسائل خاصة من المرشد".

كان كلام قيادات الجماعة مطمئنا لجون كيري ومن أرسلوا به، لكن عبد الرحيم على يكشف شيئا مختلفا، يقول: "بعد زيارة جون كيري مباشرة سافر الدكتور محمد بديع إلى تركيا، ذهب إلى المطار دون أن يتم الإعلان عن ذلك لا على مستوى الحزب ولا على مستوى الجماعة، وكانت هذه أول مرة يسافر فيها بديع إلى الخارج بوصفه مرشد الإخوان، استقبله هناك أحمد عبد العاطى".

لا توجد معلومات واضحة عما تم فى زيارة محمد بديع إلى تركيا لكن عبد الرحيم يقول: "من خلال أحاديث عديدة مع شخصيات عربية نافذة كانت هناك تأكيدات بأن بديع اجتمع هناك مع المسئول الأمريكى رقم واحد.. وذلك لأن الأمريكان لم يقتنعوا بما قاله قادة الجماعة.. كانوا يريدون تأكيدات من فم الرجل الأول فى الجماعة حول موقفه من إسرائيل.. حتى لا يأتى أحد بعد ذلك ويقول إن ما قيل عن احترام الإخوان لمعاهدة السلام لم يكن كلام المرشد، بل كان كلام قيادات الجماعة".

بعد زيارة محمد بديع إلى تركيا سارت الأمور في مصر في مصلحة الإخوان تماما،
فهناك كما يقول عبد الرحيم على ميزانية مفتوحة رصدتها الأمريكان لاحتواء الإخوان..
وإن كانت هذه الميزانية لا تغفل المشروع الليبرالي المصري، لابد من الحفاظ عليه.

يقول على: "ما لا يعرفه البعض أن هناك في أمريكا ديمقراطيين يهتمون بالتنسيق مع
الإخوان، وهناك جمهوريين ينتظرون غلطة واحدة تبديها إدارة أوباما في التعامل في
ملف الإخوان حتى يستغلوها ضده في الانتخابات الرئاسية القادمة".

يراهن الديمقراطيون على أمرين مهمين فيما يتعلق بالإخوان:

الأول: أن الجماعة يمكن أن تمتص الشباب المتطرف الغاضب الذي يمكن أن يقوم
بتفجيرات في أمريكا وأوروبا.

الثاني: أن الجماعة يمكن أن تنهى كل القضايا الساخنة في منطقة الشرق الأوسط،
وأهمها القضية الفلسطينية.. فأنت عندما تسأل الإسرائيليين - والكلام لعبد الرحيم -
عن حلم حياتهم؟ يقولون لك أن نوقع مع حماس.. فالتوقيع مع حماس معناه أن تنتهى
القضية الفلسطينية إلى الأبد.. ومما يقدر عليه الإخوان أن يجعلوا حماس تجلس مع
إسرائيل وتوقع على كل ما تريده منهم.



بدأ الكتاب بالحديث عن صفقة بين آل سعود والإنجليز لإقامة وطن لليهود.
وختم الكتاب بالحديث عن صفقة يحاول الأمريكان إبرامها مع الإخوان لضمان بقاء
إسرائيل ليظل مزاد بيع أرض فلسطين في يد من يستطيع أن يقدم تنازلات أكثر..

حمادة إمام

فبراير ٢٠١٢



مصادر ومراجع



- دراسات فى الجغرافيا السياسيه - دكتور صلاح الدين على الشامى
- تاريخ افريقيا - شارل اندريه
- الاستعمار فى الخليج الفارسى - دكتور صلاح العقاد
- العلاقات الدبلوماسيه الامريكيه فى الشرق الاوسط - توماس بروستون
- السعوديه تبتلع اليمن - يوسف الهاجرى
- واشنطن تخرج من الظل - جيفرى اورسون
- العلاقات السعوديه البريطانيه - دكتور فوزى اسعد
- الاسلام والعرش - دكتور ايمن الياسين
- الاخوان وانا - لواء فؤاد علام
- عبد الناصر والاخوان - عبد الله امام
- معالم على الطريق - سيد قطب
- تاريخ ال سعود - ناصر السعيد
- المفاوضات السريه بين العرب واسرائيل - محمد حسنين هيكل
- المعارف السياسيه - فلاديمير كاروشين ويان بافاركوف
- مفهوم الحريه فى الليبراليه المعاصره - دكتور ياسر قنصوة
- خريف الغضب - محمد حسنين هيكل
- البراجماتيه - وليام جيمس
- انا والجنزورى - عادل حموده
- حكومات غرف النوم - عادل حموده
- لجنه الشئون الماليه والاقتصاديه بمجلس الشورى دور الانعقاد الثامن عشر عن الاصلاح
- الاقتصادى فى مصر
- تقرير الجهاز المركزى عن شركات القطاع العام
- الحق فى الاتصال دكتور عواطف عبد الرحمن
- سيكولوجيه الراى العام احمد محمد ابو زيد

- أوراق الطعن رقم ٥٢١٩ مجلس الدوله
- العلوم السلوكيه دكتوراة ليلى شحاته
- الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى فى مصر - تقرير مجلس الشورى دور الانعقاد ١٨
- تقرير لجنة الشؤون الماليه والاقتصاديه عن الخطه الخمسيه - مجلس الشعب
- فى قبضه الاخطبوط - دونالد كودادر
- المخابرات الاسرائيليه - مجدى نصيف
- المخابرات الامريكيه من التأسيس - ابى ضاهر
- الخداع عن طريق الخداع - فيكتور اوسترفيسكى
- شخصيه مصر - جمال حمدان
- الامن القومى - عبد الكريم نافع
- مذكرات شمس بدران
- مذكرات عبد الطيف بغدادى
- مذكرات المشير الجمسى
- الاهرام عدد ٢٥ فبراير ١٩٦٨
- ملف القضيه رقم ١٩٧٤
- مجله عالم الفكر عدد اكتوبر ١٩٩٤

ثانيا صحف ومواقع ومقالات

- الفجر العدد ٢٢٧
- اشرق الاوسط العدد ٩٤١٢
- الموسوعه الحره
- الشبكه العربيه لحقوق الانسان
- الشرق الاوسط العدد ٩٥٧٧
- موقع الحزب الوطنى فى ١٧ أغسطس ٢٠١٠
- اليوم السابع فى ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٩
- اخوان اون لاين فى ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٩
- مصراوي ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٩
- شبكه الاعلام العربى
- موقع مصريات
- اليوم السابع ٩ يناير ٢٠١٠
- أخبار مصر
- المصريون حسين البربرى ٢٠٠٨/٩/٨
- الشرق الاوسط ٢٦ يونيو ٢٠٠٨

- موقع ايجيتى
- جريدة البديل
- منتديات شبك لبيك
- جريده الدستور ٢٥ يونيو ٢٠١٠
- اليوم السابع ٤ يونيو ٢٠١٠
- جريدة الانباء الدوليه
- قناة العربيةه فى ٢ أغسطس ٢٠١٠

برامج

- القاهرة اليوم
- العاشرة مساء
- مصر انهاردة
- قناة العربية
- حاله حوار
- ٩٠ دقيقه
- بالعربى جيزال خورى
- اليوم السابع - ٥ أكتوبر ٢٠١٠
- المصرى - ٢٧ أكتوبر ٢٠١٠
- العربية نيت - ١ مارس ٢٠١٠
- خالد الكيلانى - الحوار المتمدن - العدد ٢٠٩٢
- المصرى اليوم ٢٣ ستمبر ٢٠١٠
- موقع وزارة التجارة
- موقع وزارة المالىه
- روزليوسففى ٤ ستمبر ١٨ ستمبر ٢٠١٠
- شبكه الاعلام العربى
- الاقباط الاحرار
- نشرة الاصلاح العربى - ستيفن رول - ستمبر ٢٠١٠
- اصدارت معهد كارنجيى ٢٨ ستمبر ٢٠١٠



محتويات

- أما قبل ٥
- الفخ الأمريكى.. مصالح لاصداقات..! ١١
- إسرائيل تنقذ العرش السعودى مرتين ٣٠
- القدس.. مسرح للجريمة ٣٧
- غزو أفريقيا يبدأ من سيناء ٥٥
- وعد بلفور.. يدخل مرحلة التنفيذ ٧٧
- آل سعود.. خنجر فى يد بريطانيا ٩١
- آظهور إمبراطورية.. واشنطن تخرج من الظل ١١٩
- البنا فى ضيافة آل سعود.. والتمويل صداع فى رأسه..! ١٤٩
- اعترافات سيد قطب ١٨٤
- شارون طوق نجاه مبارك.. ونسف الأنفاق مقابل الحماية ٢٣٩
- بعد السقوط.. الطريق إلى الخلافة يبدأ من أمريكا ٢٧٩